جمال سليم

شبهة جنائية في وفاة عبد الناصر

شهادات : الفريق محمد فوزى - شعراوى جمعه - سامى شرف
حسين الشافعى - الفريق سعد متولى - أطباء عبد الناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

شبهة جنائية فى وفاة

عبـــد النـاصــــر

□ تصميم الغلاف : الفنان رءوف عياد
□ لوحة عبد الناصر : الفنان عمرو سليم
□ مراجعة لغوية : الأستاذ طه عبد الرءوف
□ التنفيذ : عادل عبد الله غريب

حقوق الطبع محفوظة للناشر
الطبعة الأولى
١٩٨٩ م / ١٤٠٩ هـ

شبهة جنائية في وفاة

عبد الناصر

المقدمات

لا يمكن أن نأخذ صفحات هذا الكتاب بجدية إلا إذا فتحنا أعيننا لنرى ما حدث خلال فترتين زمنيتين قصيرتين ، هما الفترة التى بدأت من الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ وامتدت عبر مكانين هما مطار القاهرة الدولى وبيت الرئيس وغرفة نومه بمنشية البكرى حتى الساعة السادسة والربع مساء .. والفترة الثانية التى بدأت مساء نفس اليوم إثر انتقال جثمان الرئيس جمال عبد الناصر إلى قصر القبة ليحفظ من التلف إلى حين الاحتفال بتشييع الجنازة فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الخميس الأول من أكتوبر سنة ١٩٧٠ من مجلس قيادة الثورة بالجزيرة .

ماذا حدث فى المكان والزمان ؟! ماذا حدث ما بين الساعة الثالثة والسادسة و ١٥ دقيقة فى غرفة نوم جمال عبد الناصر ؟!

ثم ماذا حدث بعدئذ لجثمان الرئيس عبد الناصر عندما انتقل إلى قصر القبة وظل فى هذا القصر الكبير من مساء الاثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ إلى صباح الخميس أول أكتوبر سنة ١٩٧٠ ؟

– صفحات هذا الكتاب هى إجابة عن هذين السؤالين ..

والواقع أن الأمر بدا لى غير قابل للتصديق عندما جلست أتمعن ذات يوم فى أسباب موت عبد الناصر، وكنت قد سمعت أن أحد الأطباء الذين وقّعوا شهادة الوفاة ينكر موت عبد الناصر بجلطة فى القلب و يقول إنه مات بكومة سكر كان من الممكن تداركها بقطعة سكر.. ، وإذا كان هذا الطبيب قد قال هذا .. فلماذا لا أستنتج أن التشخيص الخطأ يكون بسوء نية أو بحسن نية .. ؟!

وكنت قد استمعت إلى عدد من القصص أو الشائعات ، لكنى لم أعرها التفاتاً ، لا لأننى أملك الحقيقة ، ولكن لأننىَ فى بلد يعجز فيه أقوى الناس عن الوصول إلى الحقيقة .. بل إن الحقيقة أو المعلومات التى تؤدى إلى كشف الحقيقة ، تعتبر سراً من الأسرار التى لا يجوز معرفتها أو حتى الاقتراب منها .

أما السبب الوحيد الذى جعلنى لم أعر هذه الشائعات التفاتاً فهو أننى أعتبرها الشىء الحقيقى الوحيد ، والمثل الشعبى عندنا يقول : « لا دخان بلا نار» ! ولذا فقد كنت لا ألتفت إليها بل أسلم بها تسليماً إلى حين ، فإذا ما أخضعتها للبحث والفحص وثبت لى صدقها فبها ونعمت ، وإذا ما ثبت كذبها فالله لطيف بالعباد ..

لكن الحقيقة ليست بنت يوم وليلة .. فنحن مثلاً كنا نعرف إلى خمس سنوات مضت أن الامبراطور نابليون قد مات فى جز يرة سانت هيلانة سنة ١٨٢١ بسرطان فى المعدة .. ثم ظهر طبيب أسنان أحب الامبراطور وقرأ كل شىء عنه وظل يبحث و ينقب واكتشف أن امبراطوره لم يمت بالسرطان فى المعدة إنما مات بالسم .. وحدد القاتل الذى وضع السم على مراحل فى وجبات الطعام وفى أكواب النبيذ التى كان يتجرعها الامبراطور بشراهة ..

فى حالة جمال عبد الناصر وقفت أمامى عدة صعوبات من شأنها أن تثنى أى باحث عن السير فى طريق بحثه أو تحقيقه .

الصعوبة الأولى : أن مصدر المعلومات فى هذه القضية ضباط أحاطوا بعبد الناصر، وأطباء عالجوا عبد الناصر.. فالضباط كانوا حكاماً والأطباء تحولوا إلى آلهة ..

لقد اعتاد الضباط منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على ألا يُسألوا ، بل هم الذين يسألون .. ، وألا يذهبوا إلى الآخرين لأى سبب .. بل على الآخرين أن يذهبوا إليهم ، وألا يكشفوا عن أى سر لأن الأسرار كانت وقفاً عليهم وحكراً لهم .. بل إن المعلومات نفسها والتى قد تكون متداولة لا يمكن أن يعترفوا بها .. ومن المضحكات أنه إلى وقت قريب كانت مصلحة الاستعلامات المصرية

تصدر نشرة يومية باسم « جريدة الجرائد العالمية » وكانت تصلنى على عنوانى فى المجلة ، كما كانت تصل بالطبع إلى كثير من الكتاب والصحفيين على أنها سرية وللخاصة وليست للكافة .. وكان مكتوباً عليها بالخط الأحمر ومطبوع على الظرف « سرى جداً » .

مادة هذه الجريدة هى ترجمة حرفية لما يرد فى الصحف الأجنبية !! فهل هذا سر .. وسرى جداً ؟

وهذه العادة السيئة التى اكتسبها الضباط بثورة يوليو ، التى جعلت للضباط مكانة أعلى من مكانة المواطنين العاديين لم يقض عليها إلا بعض الضباط الذين مكنتهم ثقافتهم ووعيهم وأفلتوا من مرض الطفولة السياسية .. وهؤلاء الضباط كانوا واجهة جيدة لثورة يوليو وللضباط على حد سواء .. لكن لم يأت ضباط يوليو جميعهم من هؤلاء .. ولذا فقد كانوا حكاماً شرسين ومستبدين ، بالإضافة إلى أنهم كانوا ضباطاً سيئي السمعة مثل جنرالات هزيمة يونيو .. وضباط الأجهزة السرية التى كانت تعمل لا لحماية آمن البلاد بقدر ما كانت تعمل لحماية مكاسبها وامتيازاتها وإشباع نهمها إلى السلطة والثروة .

هؤلاء بالطبع كانوا مصادر معلومات سيئة للغاية ، فهم فضلاً على أنهم لم يكونوا محايدين ، فإنهم كانوا يفتقرون إلى التمييز بين ما ينفع وما لا ينفع ، فقراء فى المواهب .. عاجزين تماماً عن ابتكار أساليب جديدة فى العمل .. وفى تأدية الواجب ..

ومثل هذه النماذج من الصعب جداً على الكاتب أو المحقق الصحفى أن يأخذ ما يقولونه بصدق وجدية .

الصعوبة الثانية : أن الأطباء الذين كانوا يعالجون الرئيس أخذتهم العزة بالإثم فصاروا يتهمون كل من يقترب من منطقة البحث فى مرض عبد الناصر وأزمته الصحية بأنه يتعدى على اختصاصهم و يقتحم معبدهم .. على الرغم من أن الإحصائيات والأبحاث تثبت أنه من بين كل ١٠٠ طبيب يوجد ١٢ لا يحترمون آداب المهنة و يتقاضون أجوراً فاحشة لا تتفق مع ما يقومون به من أعمال .. ، ومن الـ ١٢ يتورط خمسة فى القيام بأعمال تتنافى مع احترام جسم الإنسان .. بل وتقتل الحياة فى هذا الجسم .. وتسبب له آلاماً مبرحة ..

الصعوبة الثالثة : أنه على مدى الـ ١٨ عاماً التى قضاها عبد الناصر زعيماً وحاكماً تكونت حوله بطانة من المستفيدين به و بسلطاته وزعامته وتوجهاته ، ونمت هذه البطانة وكبرت وتضخمت تحت أسماء وشعارات مختلفة وأصبحت تصنع حاجزاً بين عبد الناصر والجماهير .. وظل هذا الحاجز قائماً فى

حياته وبعد وفاته حتى كان من الضرورى على الباحث أو المحقق أن يدق على هذا الحاجز إذا ما أراد أن يبحث أمراً أو يحقق واقعة أو يستوضح سراً .. بل لقد كان الاعتراض الوحيد على إثارة قضية موت عبد الناصر هو أنها إذا ما أثيرت فيجب أن تثار من أصحاب هذا الحاجز.. أو لا بد من أخذ الإذن منهم .

الصعوبة الرابعة : أن تفسيرات مختلفة انطلقت حول أهمية صنع هالة قدسية حول عبد الناصر، سواء فيما يتعلق بطريقة إدارته للدولة أو فلسفته أو نظام الحكم ، بل امتدت هذه القدسية إلى الأفراد المحيطين به والقريبين إليه ، ومن هنا ــ فالقول بأن موت عبد الناصر يحمل شبهة جنائية يتضمن فى الوقت نفسه اتهاماً لرفاقه والمحيطين ، من حيث فشلهم فى حمايته والمحافظة على حياته وهو زعيم الثورة .. وهذا يعنى أنه إذا كانوا قد فرَّطوا وأهملوا وقصَّروا فى حماية الزعيم فهم بلا شك أضعف من أن يحملوا رايته بعد وفاته .. وأقل من أن يرفعوا شعاراته ويحافظوا عليها .. والناصرية على يديهم وبقيادتهم محكوم عليها بالموت ..

الصعوبة الخامسة : أنه لا يوجد « أرشيف » للدولة ولا دار وثائق قومية تفتح أبوابها للباحثين والمحققين .. والذى ينشد هذا الأمر ويريده ما عليه إلا أن يدق أبواب لندن وباريس وواشنطن .. والوثائق الأمريكية عن ثورة ٢٣ يوليو أشهر وأدق من كل ما لدى مصر فى هذا الشأن .

وصحيح أنه يوجد ما يسمى بأرشيف « منشية البكرى » ، لكنه فى الواقع لا وجود له إلاّ لدى السيد هيكل ، والجزء الذى تبقى نقله الرئيس السادات إلى مكان غير معلوم.. !

قصارى القول : أننى كنت أتحرك على حبال من الشوك ولا طوق نجاة أقفز به إلى هنا أو هناك ..

كان السؤال الذى يطرح نفسه قبل غيره ، ومنذ البداية ، كان السؤال هو:

هذا الزعيم الطويل القامة الممتلئ بالحيوية والنشاط ، الذى تدين له منطقة شاسعة من البلاد العربية ، من الخليج إلى المحيط .. ، ويحسب له الغرب ألف حساب ، والذى تكاتفت المخابرات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية والإسرائيلية والنظم العربية الرجعية على قتله والتخلص منه وفشلت .. فقد كان ينجو ليس

بأعجوبة أو معجزة ، إنما كان يخيف القتلة أنفسهم فلا يجرؤون على ضغط الزناد .. ، وقد اعترف له (صول) بأنه ضالع فى خطة لاغتياله والثمن عدة ملايين من الدولارات فما كان من عبد الناصر إلا أن أخذ الملايين وكافأ الصول ثم أمر بأن يقام بما تبقى « برج عال » يطل على القاهرة و يرى من يصعد إليه « الأهرام وأبوالهول » والقلعة المضاءة .. و يصبح هذا البرج عنواناً على فشل المخططات الغربية التى كانت ترمى إلى القضاء عليه ..

هذا الزعيم يموت بجلطة فى الشريان التاجى بلا مقدمات .. ؟

بالضبط كما قيل : إن نابليون بونابرت مات بالسرطان بلا مقدمات أيضاً ؟

كانت لياقة عبد الناصر وصحته وطاقته مضرب الأمثال .. وكان هذا الزعيم الذى مات على فراشه والذى لم يبلغ الثالثة والخمسين يتميز بحس مرهف ونظرة ثاقبة ونافذة للرجال .. كيف غفلت هذه النظرة عن كشف حقيقة المحيطين به .. ؟

وكما سبق القول ، لقد قيل عن نابليون عندما مات إنه مات بالسرطان ، لكن طبيباً للأسنان هاو يأ لعلم السموم ومن كبار المتحمسين لكل ما يمت بصلة إلى الامبراطور الفرنسى قام بتحريات واسعة ليبرهن أن نابليون مات مسموماً عام ١٨٢١ .. وما أن أثبت ذلك حتى شرع يبحث عن القاتل بين أفراد حاشية نابليون الذين رافقوه إلى منفاه الأخير فى جزيرة القديسة سانت هيلانة إلى أن عثر عليه وللأسف الشديد كان قد بارح الحياة !!

وكان ما تناثر من إشاعات هنا وهناك عن موت عبد الناصر بالسم من جراء تدليك ساقه ونفاذ السم من الجلد إلى الدورة الدموية على مراحل تجد رواجاً متزايداً خاصة وأن المخابرات المصرية كانت تعتبر السم سلاحاً من أسلحتها .. ، ومن هنا فقد راجت قصة محورها رجل يعمل بالعلاج الطبيعى عهد إليه تدليك ساق عبد الناصر .. بهدف قتله على مراحل ..

لم أكن بالطبع مهيئاً للبحث ، لكنى التقيت ذات يوم من عام ١٩٧٦ بالدكتور محمد شرف أخصائى الروماتيزم والعلاج الطبيعى والطبيب بالقوات المسلحة .. وتطرق الحديث عن وفاة عبد الناصر ، وسألته إذا ما كان يمكن لإنسان أن يموت بالسم دون أن يتناوله بفمه أو عن طريق الحقن ؟

أجاب الدكتور شرف : نعم ، يقال مثلاً إن علي العاطفى « المدلك » الخاص للرئيس جمال عبد الناصر كان يسممه عن طريق التدليك ..

قلت له : لكن الذى يقوم بالتدليك ــ فى هذه الحالة سوف يصاب أيضاً ..

أجاب : إن هناك بعض الدهانات تعزل أيدى المدلك عن التأثر بأية مادة يستعملها فى التدليك .. إنه يضع يده فى هذا السائل مثلاً فيصبح كمن يرتدى قفازاً فى يديه ثم يضع السم فى يده و يدلك جسم الشخص المطلوب فيسرى الدم من الجلد إلى الدورة الدموية .. و يأتى مفعول السم نتيجة لدرجة وكمية التركيز .. وقد يصل السم إلى الجسم على دفعات تمتد إلى ستة أشهر .. وهكذا إلى أن يصل التركيز إلى درجة معينة فى الجسم وعندئذ يموت الشخص ..

ثم أضاف د . محمد شرف : سمعت أن على العاطفى هذا قبض عليه بعد موت عبد الناصر ، وكانت التهمة هى : التجسس لصالح إسرائيل وصدر الحكم عليه بالسجن ١٥ عاماً .. ولكن كيف كان يتجسس .. وأين قضيته ومتى حُوكم .. لا يدرى أحد عن هذا شيئاً .

وفيما بعد فقد ذكر المحامى شوقى خالد فى كتابه « محاكمة فرعون ــ خفايا محاكمة قتلة السادات » الصادر عن دار سينا للنشر ، القاهرة ١٩٨٦ ، ذكر المحامى شوقى خالد أن السادات قد خفف الحكم عن الجاسوس الإسرائيلى « على العاطفى » من الإعدام إلى السجن ١٥ عاماً .. والعاطفى أحد المتهمين بقتل عبد الناصر بالسم عن طريق التدليك لساقه المريضة !

وفيما بعد ــ أيضاً ــ فقد ذكر هيكل فى كتابه « بين الصحافة والسياسة » ــ الطبعة السادسة ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٣٧٤ ، أن السادات صارحه فى صيف عام ١٩٧٦ بأن هنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا حمل إليه رسالة من جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل تطالب فيها بالإفراج عن عدد من الأشخاص الذين حُكم عليهم فى قضايا تجسس لصالح المخابرات الأمريكية وضمن هؤلاء : مزراحى وغيره .

وأن طلب جولدا مائير تضمن أيضاً طلب جثث اليهود الذين اغتالوا لورد موين بالقاهرة سنة ١٩٤٥ ، وقال السادات إنه سيفرج ــ فى هذه الصفقة ــ عن مصطفى أمين الكاتب الصحفى ، الذى أدين بتهمة التجسس لصالح أمريكا وحُكم عليه سنة ١٩٦٥ ، وعندما استبدت الدهشة بهيكل وظهر ذلك على قسمات وجهه ، قال السادات : إنهم يطلبونه وأنا أريد أن أجاملهم فيه ..

تساءل هيكل : من هم ؟

رد السادات : كثيرون .. الأمير سلطان طلب منى وكمال أدهم أيضاً !!

وكان من الغريب أن يرد اسم كمال أدهم وهو الشخصية الرئيسية أو حلقة الوصل بين عدد من قادة الدول العربية ومسئوليها والمخابرات الأمريكية، وقد نشر في حينه أن هؤلاء القادة والمسئولين كانوا يتقاضون مرتبات ثابتة من المخابرات الأمريكية ومنهم أنور السادات والملك حسين ... إلخ، وقد أثار هذا الموضوع النائب الناصرى كمال أحمد فى البرلمان المصرى وطالب الحكومة بالتحقيق فى هذه الوقائع .. لكن بدلاً من التحقيق فقد أبعد النائب من البرلمان المصرى .. !

وتردد حينئذ أن « على العاطفى » كان ضمن الصفقة التى طُلب من السادات إبرامها لصالح أمريكا وإسرائيل باعتبارها ـ أى الصفقة ـ بنداً من بنود اتفاقيات فك الاشتباك الأول بين الجيشين المصرى والإسرائيلى ..

وفى الثمانينيات عاد الحديث وتجدد مرة أخرى عن السم، ففى الثامن والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٨٦، راودنى خاطر البحث عن أصل حكاية السم .. وعن « على العاطفى » هذا .. وخُيِّل إلىَّ أن الدكتور أحمد ثروت الطبيب الخاص لجمال عبد الناصر والذى كان قد وصل إلى رتبة اللواء .. وإلى منصب كبير بالرياسة .. ثم أقصى فى حادث انتحار المشير عبد الحكيم عامر إثر هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧، وما تردد وقتذاك عن انتحاره بالسم .. خُيِّل إلىَّ أنه يستطيع أن يفيدنى .. فاتصلت به فى عيادته بشارع مصر والسودان بالقبة، لكن أحداً لم يرد فأعدت الاتصال ببيته فى مصر الجديدة فردت علىَّ السيدة حرمه وقالت لى: إنه توفى منذ ١٢ عاماً وأن ابنه الدكتور محمد سوف يكون فى عيادته بعد ساعة .. وبعد ساعة اتصلت بالدكتور محمد وأعطانى موعداً لمقابلته بعد يومين فى عيادته .. وكان قد نشر بجريدة الأهرام فى نفس اليوم (٢٨ / ٩ / ١٩٨٦) مقالاً مأخوذاً عن تصريحات للسيد صلاح الشاهد كبير أمناء القصر الجمهورى فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر، نشرت فى إحدى المجلات العربية تتضمن استرجاعاً لذكريات هذا اليوم (٢٨ / ٩ / ١٩٧٠) منذ ١٦ عاماً، أى يوم (٢٨ / ٩ / ١٩٧٠) تاريخ وفاة جمال عبد الناصر ..، وتتضمن الذكريات طعناً فى الأطباء المعالجين للرئيس ناصر وتطعن فى كفاءتهم ومقدرتهم وتخصصاتهم .. وأوردت الصحيفة أسماء عدد منهم وضمنهم الدكتور أحمد ثروت، وكان جوهر المقال هو أن جمال عبد الناصر لم تكتب له شهادة وفاة لأنه مات نتيجة إهمال الأطباء وعدم تخصصهم .. وكان من الطبيعى أن يكون الدكتور محمد ثروت قد قرأ المقال الذى يتضمن مساساً بكفاءة والده الراحل .. ولذا لم يمانع ـ كما سبق القول ـ فى مقابلتى بعد يومين حيث ذهبت إليه وكان قد أعد مجموعة من الأوراق خلّفها والده وهى

عبارة عن روشتات ، وأجندات صغيرة ، وأوراق منتزعة من كراريس ، وقدم لى بعضها فأخذت أقلب فيها أمامه ..

إن د . أحمد ثروت من مواليد المنيا سنة ١٩١٦ فهو أكبر من عبد الناصر بعامين ، والمنيا هى مسقط رأس المشير عامر ، ومن الواضح أن المشير هو الذى دفع به إلى رئاسة الجمهورية ليكون الطبيب الأول فيها .. و يقال إن عبد الناصر كان يستبشر به ، و يقال ــ أيضاً ــ إنه كان عيناً على جمال عبد الناصر لصالح المشير .. ، وهو من الأفراد القلائل الذين زاروا المشير عامر أثناء حصاره ببيته بالجيزة ، وكان د . ثروت يعمل فى الوقت نفسه بالمخابرات و يعزى إليه إنشاء القسم الطبى بالمخابرات والرياسة معاً ..

كان فى أوراق د . أحمد ثروت أسماء كثيرة لأعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكان اسم اللواء محمد نجيب ــ أول رئيس لجمهورية مصر ــ يرد أحياناً ، كذلك كانت هناك أسماء : جمال عبد الناصر ، عبد الحكيم عامر ، صلاح نصر ، عباس رضوان .. كذلك كانت ترد بعض الأسماء مسبوقة بكلمة : « عائلة » فلان ..

وكان ابنه د . محمد ينظر إلىّ وأنا أقرأ ، ويحاول أن يقرأ ما يجول بنفسى ، وكان د . محمد قد أصبح ــ الآن ــ أستاذاً مساعداً بكلية طب عين شمس ، وقال لى إن والده كان طبيباً أساسياً فى الرئاسة منذ قيام الثورة وإنه كان فى الأصل طبيباً فى القوات المسلحة ..

قرأت فى إحدى الأوراق تحذيراً لجمال عبد الناصر من صلاح نصر مدير المخابرات العامة من أنه قد يصافحه بيد ملوثة بالسم ليقتله ..

من ناحية أخرى ذكر لى د . محمد أحمد ثروت أنه قرأ فى إحدى الأوراق تحذيراً آخر موجهاً من والده إلى عبد الناصر حتى لا يقابل صلاح نصر ــ وإذا قابله ــ فلا يصافحه ، ما معنى هذا .. ؟

ثم تعود الأوراق لتتحدث عن قفاز مسمم بالسيانور وإمكانية أن ينفذ السم من خلاله إلى الجلد و يتسرب إلى الدورة الدموية ويموت الشخص .

ثم تمتلىء صفحتان من الأوراق بحكاية عن ضياع أو فقد ٧ زجاجات من السم من المخابرات العامة فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ..

والأخطر من ذلك ما جاء فى ورقة من الأوراق بلا تاريخ عن مسئولية الدكتور الصاوى حبيب فى إعطاء عبد الناصر حقنة الأنسولين .. ، و يتردد ذكر الأنسولين

والحقنة أكثر من مرة .. فهل كان المقصود نوعاً معيناً من الأنسولين أو حقنة معينة من الأنسولين .. أم المقصود هى الحقنة التى أعطاها الدكتور الصاوى حبيب للرئيس عبد الناصر صباح يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ وهو اليوم الذى فارق فيه الحياة .. ؟

لم أعثر على إجابة شافية بالنسبة لتاريخ عدد كثير من الأوراق ، ضمنها الأوراق التى تتضمن حكاية حقنة الأنسولين ..

إلا أن الأوراق أرشدتنى إلى طريق آخر ، كان الرئيس جمال عبد الناصر يسير فيه بالنسبة للعلاج ، وبالنسبة للتغلب على عوامل الإرهاق والتعب التى كان يعانيها .. ومن هذا الطريق كان من السهولة بمكان أن يصل إليه السم .. فقد كان - كما ظهر من أوراق د . أحمد ثروت - يتعاطى جرعات كثيرة من الفيتامينات عن طريق الحقن .. وكان الذى يقوم بذلك هو د . ثروت نفسه **!!**

امتدت جلستى مع د . محمد أحمد ثروت قرابة ساعتين تواعدنا بعدها على اللقاء بعد أسبوع لإعادة ترتيب الأوراق من جديد وتصويرها .. ، وبالفعل فقد أجريت اتصالاً هاتفياً ، - بعد أسبوع - لتحديد موعد اللقاء إلا أن الدكتور محمد اعتذر بسفره إلى الأسكندرية وقال فى معرض كلامه إنه يريد « **أن يظل بعيداً** » عن هذا الأمر .. وقال إنه نُصح بهذا .. ولكن - بالطبع - لا مانع من اللقاء .

لكن هذا اللقاء لم يتم ..

□ من الذى طلب منه أن يظل بعيداً عن هذا الموضوع ؟ موضوع السم ؟
□ ومن الذى نصحه بذلك .. ؟

والغريب أننى لم أشعر بأننى أسير فى طريق مسدود ولذا واصلت تحقيقى ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

فى مساء الأربعاء ١٥ أكتوبر سنة ١٩٨٦ كنت فى زيارة للأستاذ ضياء الدين داود المحامى الذى كان وزيراً ثم عضواً فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ، وكان واحداً ممن قدموا فى قضية أمن الدولة العليا رقم ١ لسنة ١٩٧١ فيما يعرف بقضية ١٥ مايو أو مراكز القوى . وقد حُكم عليه بالسجن مع زملائه : على صبرى وسامى شرف وشعراوى جمعة ومحمد فايق وفريد عبد الكريم وغيرهم .

كان ضياء داود يحضر إلى القاهرة يومى الأربعاء والخميس كل أسبوع ، أما بقية أيام الأسبوع فيقضيها فى مدينة دمياط حيث مكتبه وقضاياه ، وكنت أعرفه منذ عام ١٩٦٤ عندما كان أميناً للاتحاد الاشتراكى لمحافظة دمياط .. وامتدت صداقتنا وتعمقت أكثر .. وسألته إذا ما كان يشك فى موت عبد الناصر .. وأن موته لم يكن جلطة بل إنه مات ميتة بها شبهة جنائية .. ؟ نفى ذلك أول الأمر .. ، لقد كان ضياء داود فى هذا اليوم فى جبهة قناة السويس مع الوزراء والمسئولين بناء على رغبة عبد الناصر لمعايشة الضباط والجنود الذين يخوضون حرب الاستنزاف وإشعارهم بأن قلب مصر ينبض مع قلوبهم .. ، لكن استُدعى مساء ذلك اليوم الحزين على عجل للقصر الجمهورى بالقبة .. وحضر اجتماعاً مشتركاً لأعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء .. وقبل حضوره كان قد عرض فى بداية الاجتماع تقرير طبى عن وفاة الرئيس عبد الناصر وأسبابها .. و يبدو أنه لم يلمس شيئاً غير عادى فى أسباب الوفاة فقد كانت الفاجعة أكبر من أن تترك للإنسان فسحة من التفكير فى الظروف التى أحاطت بالوفاة ..

كان هناك شك عندى فى أن الخطأ فى التشخيص وراءه ما وراءه ولذا فقد صارحت السيد ضياء داود بشكوكى فلم ينكرها أو يؤيدها ولم يتسع الوقت عندئذ للدخول فى التفاصيل ـ نظراً لقدوم جماعة من الزوار ـ وحرص على نصيحتى بضرورة الاتصال بالأستاذ محمود فهمى مدير مكتب عبد الناصر أو محمد أحمد سكرتيره الخاص .. و يفضل الاتصال بسامى شرف وزير رئاسة الجمهورية .. ، وقال لى وهو يودعنى عند المصعد : إنه سوف يعرف بأسماء الذين حضروا وفاة عبد الناصر وتوقيتات وصولهم إلى البيت ودخولهم غرفة عبد الناصر .. ثم أضاف يشير علىّ بالاتصال باللواء حسن طلعت رئيس مباحث أمن الدولة وقتذاك ..

كان الشك يتزايد عندى ، لقد مات عبد الناصر ، لكنه مات بسبب آخر غير ما جاء فى إعلان الوفاة .. فما هو هذا السبب .. ؟ السم .. أم حقنة مملوءة بالموت .. ؟!

كنت فى الواقع أبحث عن دليل خاص وهو: هل كان السم وارداً ضمن المواد أو الأسلحة التى تقرر أن يموت بها جمال عبد الناصر .. ؟

كنت أتحسس وقع أقدامى فى البحث ، ولم أشأ أن أعلن هدفى منذ كانت هناك محاولات كثيرة لقتل عبد الناصر .. كان مطلوباً أن يموت منذ قيام ثورة يوليو حتى سبتمبر ١٩٧٠ .

ففي كتاب « الطريق إلى السويس » ـ مثلاً ـ أكثر من حكاية عن محاولات القتل، ويذكر هيكل أن دراما السويس بدأت في الواقع عندما سمع « إيدن » عن طرد « جلوب » القائد العام للجيش الأردني أو الفريق السير « جون باجوت جلوب » في أول مارس سنة ١٩٥٦، وتقرر أن يغادر الأردن فوراً .. فمنذ هذه اللحظة أعلن إيدن حرباً شخصية على الرجل الذي اعتبره مسئولاً عن هذا العمل وهو: جمال عبد الناصر.

وكتب أنتوني ناتنج في مذكراته يقول: كرجل قضى المساء بطوله ونصف الليل بعده يناقش « إيدن » يوم طرد « جلوب » فإني أستطيع أن أشهد أنه وضع كل اللوم على ناصر، وفي هذا اليوم المشئوم فإنه قرر أن العالم لم يعد يتسع له ولـ « ناصر ».

ويستطرد ناتنج موضحاً مدى الكراهية التي يكنها إيدن لعبد الناصر فيقول:

في مساء يوم ٤ مارس سنة ١٩٥٦ دعوت « هارولد ستاسن » عضو في وزارة أيزنهاور إلى العشاء في فندق سافوي، وأثناء العشاء دُعيت إلى التليفون وجاءني صوت يقول: « إنه أنا » « It's me » وعرفت صوت رئيس الوزراء يقول: « ما هذا الكلام الفارغ الذي أرسلته إليَّ، إنني لا أوافق على كلمة واحدة مما جاء به .. » وكان إيدن يشير إلى مذكرة أرسلها إليه ناتنج باسم وزارة الخارجية بناء على طلب رئيس الوزراء عن البدائل المتاحة للعمل ضد جمال عبد الناصر، ويقول ناتنج: رددت على إيدن بأنها كانت محاولة للنظر في المستقبل ولترشيد موقفنا في الشرق الأوسط حتى نتجنب في المستقبل نوع الضربات التي أصابتنا في موضوع « جلوب »، واستطرد إيدن: وما هو هذا الهراء حول عزل « ناصر » أو تحييده كما تقول؟ ألا تفهم أني أريد تدميره؟ إني أريد إزاحته، وإذا كنت أنت ووزارة الخارجية لا توافقان فالواجب أن تحضر اجتماع الوزارة لتشرح السبب، وقد حاولت تهدئته بأنه قبل أن نقرر تدمير « ناصر » قد يكون من الحكمة أن نبحث عن بديل لا يكون أكثر عداء لنا، وأنه في الوقت الحالي لا يوجد بديل، عدواً كان أو صديقاً، وأن النتيجة الوحيدة لإزاحة « ناصر » هي انتشار الفوضى في مصر ..

وروى ناتنج بعد ذلك في برنامج وثائقي لهيئة الإذاعة البريطانية أن إيدن قال له: إنني أريد جثة « ناصر » .. أريده مقتولاً .. وقام إيدن بعد ذلك باستدعاء السير جون سينكلير رئيس إدارة المخابرات البريطانية (M.I.6) وطلب إليه أن تتولى إدارته تصفية « جمال عبد الناصر » في أسرع وقت!

بالطبع لم تكن هذه المحاولة الأولى ، فقد سبقتها محاولات وتلتها محاولات لم تتوقف لتصفية جمال عبد الناصر: محاولات بريطانية وإسرائيلية وأمريكية ، ومن خلال عملاء ورجال يقبضون الثمن و يبيعون قادة بلادهم لقاء أى شيء !

وتؤكد أقوال أنتونى ناتنج ما جاء فى الاعتراف المثير أمام القضاء الاسترالى الذى أدلى به « جون ديتلام » رئيس وزراء استراليا خلال الفترة من عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٧٥ .. حيث قرر أمام المحكمة العليا بمدينة جنوب و يلز باستراليا بشأن القضية المنظورة أمام المحكمة لحظر نشر كتاب « صائد الجواسيس » الذى ألفه الضابط السابق بالمخابرات البريطانية بيتر رايت ، والذى كانت حكومة المحافظين تبذل جهوداً مكثفة للحيلولة دون نشره خاصة وأنه يكشف عن كثير من أسرار المخابرات البريطانية التى عمل خلالها رايت فى جهاز المخابرات ، وذلك فى جلسة الأول من ديسمبر سنة ١٩٨٦ حيث اعترف بأن أنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا وافق على أكثر من محاولة لاغتيال الزعيم الراحل جمال عبد الناصر خلال أزمة السويس .

ودعمت هذه الشهادة الإذاعة البريطانية فى نشرتها الإخبارية المذاعة الساعة الثانية بتوقيت جرينتش يوم ٢ ديسمبر سنة ١٩٨٦ حيث أعلنت أن قاضى المحكمة العليا بجنوب و يلز الجديدة قد أصدر أمراً بتسليم الوثائق الخاصة بالسويس إلى محامى الضابط السابق بيتر رايت .. وأوردت الإذاعة نص شهادة جون و يتلاند رئيس وزراء استراليا السابق ، حيث ذكر أن إيدن خلال أزمة السويس قد وافق مرتين — على الأقل — على الإجراءات الخاصة باغتيال جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٦ فى الوقت الذى كان فيه رئيس الوزراء الاسترالى منزيس يستعد للتفاوض مع الزعيم المصرى (!!) .

ولم تكن — بالطبع — المخابرات البريطانية وحدها هى التى تعمل فى مجال تصفية جمال عبد الناصر ، فقد كانت بالطبع تستعين بالموساد (المخابرات الإسرائيلية) وكانت هذه الأخيرة تنفرد فى محاولات كثيرة للقيام بهذا العمل الذى لم توفق أبداً فيه .. فيذكر كتاب « عملية ياخنين » لمؤلفه شمونيل سيجيف ، وهو الكتاب الذى ظل حبيساً فى الرقابة الإسرائيلية لمدة ١٥ عاماً ، يذكر أن منظمة « النطاق » التابعة للموساد ، وهى المنظمة التى كانت تعمل على تهجير اليهود من المغرب إلى إسرائيل وكان قد تسلم قيادة النطاق إرهابى اسمه الحركى « أرسين » وكانت المغرب تستعد لاستقبال « لجنة الدار البيضاء » التى دعاها الملك محمد الخامس لبحث مسألة الكونغو ، واجتمعت اللجنة فى ٣ يناير سنة ١٩٦١ بمشاركة كل من : جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ، وفرحات عباس رئيس جمهورية الجزائر المؤقتة ،

بالإضافة إلى رؤساء كل من غانا وغينيا ومالي وممثل عن حكومة ليبيا .. وافتتح الجلسة الملك المغربى محمد الخامس ..

وعلى الرغم من أن اللجنة قد اجتمعت لبحث مشاكل الكونغو إلاّ أنها أدانت إسرائيل ونشاطها فى إفريقيا ، وقال الملك محمد الخامس : إنه يؤيد وحدة الأراضى وأصحابها وضمنها فلسطين العربية التى قُسمت ضد إرادة أصحابها .. وشدد الملك على أن بلاده سوف تحارب لتحرير فلسطين من الصهيونية ..

أما جمال عبد الناصر فقد كان عنيفاً فى إدانته لإسرائيل ، وقال إن إسرائيل أداة فى يد الدول الغربية .. واتهم الإمبريالية الغربية بأنها هى التى زرعت إسرائيل كرأس حربة وقاعدة للهجوم فى الشرق الأوسط ، وأكبر دليل على هذا العدوان الثلاثى الذى وقع على مصر سنة ١٩٥٦ .

وكان يهود المغرب قد ارتدوا الثياب السوداء احتجاجاً على زيارة عبد الناصر للمغرب ، وقبضت الشرطة المغربية على بعضهم .. ووضع « أرسين » رئيس جماعة النطاق التابعة للموساد خطة قتل عبد الناصر بواسطة وضع متفجرات فى فراش عبد الناصر بواسطة عامل فى الشاليه الذى كان يقيم فيه عبد الناصر .. لكن هذا الاقتراح رفض لأن رجال الأمن المصرى اعترضوا على وجود يهودى فى طاقم العمال والخدم بالشاليه .. واستبدل الاقتراح بإرسال باقة من الزهور مشحونة بالمتفجرات إلى الرئيس فى الشاليه .. وبالفعل وصلت هذه الباقة واستطاع رجال الأمن المصريون إبطال مفعول المتفجرات .. وعندئذ فقد قررت السلطات المغربية تنظيم رقابة قوية وفعالة على وجبات الطعام التى تقدم للرئيس ناصر ومرافقيه خوفاً من دس السم له .

كان السم سلاحاً وارداً أيضاً للتخلص من عبد الناصر . وبصرف النظر عن ما فى قضية السم من محاذير إلا أنه من الضرورى على كل باحث يتصدى لهذا الأمر أن يوفى هذه النقطة حقها .. وأعتقد أن أوراق القضية رقم ٤ لسنة ١٩٧٩ أمن دولة عليا فيها شبه تغطية لهذه النقطة .

والمتهم الرئيسى فى هذه القضية هو الدكتور على العاطفى الذى اشتهر بأنه كان يدلك ساق عبد الناصر وأنه دس السم فى كريم التدليك فتسرب ببطء إلى الدورة الدموية وأدى إلى موت الرئيس دون ظهور أعراض السم عليه .

وعلى العاطفى هذا كان عميداً لمعهد العلاج الطبيعى وقبض عليه بتهمة التجسس لصالح إسرائيل وقضت المحكمة عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، إلا أن الرئيس السادات تعاطف مع المتهم وخفف الحكم إلى ١٥ عاماً .

ومن خلال أوراق القضية وما كتب عنها (١) فإنه فى نهاية الخمسينيات سافر العاطفى الذى كان وقتها « مدلكاً » بالنادى الأهلى إلى أمستردام ومعه مدرب كرة القدم عبده صالح الوحش ، وفى هذه الزيارة تعرفا معاً على فتاتين هولنديتين وكان أن تزوج العاطفى آنا ماريا جوهانى وتزوج عبده صالح الوحش صديقتها .

ومن هنا بدأت رحلات العاطفى إلى أمستردام تتكرر دون أن يثير ذلك شكوك رجال الأمن المصريين .. فقد اتخذ العاطفى زوجته ستاراً لاتصالاته بالإسرائيليين ، وحصل العاطفى على شهادة الدكتوراه فى العلاج الطبيعى بطريقة غامضة وهذا ما فتح له الباب ليصبح عميداً لمعهد العلاج الطبيعى بالقاهرة .. وكان قد نجح قبل ذلك فى توطيد علاقته بأنور السادات .. (!!)

هل دخل العاطفى بيت الرئيس عبد الناصر فى منشية البكرى عن طريق السادات .. ؟!

وقبل هذا : هل دخل العاطفى ــ فعلاً ــ بيت الرئيس ناصر وقام ــ فعلاً ــ بمهمة تدليك ساقه ؟!

لا يوجد فى أوراق القضية ما يشير إلى ذلك ، إلا أنه من الملاحظ أن العاطفى كان يصر فى التحقيقات أنه لم يعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية إلا منذ عام ١٩٧٦ ، أى بعد وفاة عبد الناصر بست سنوات (!!) لكن المحقق استطاع أن يواجهه بمعلومات تسجل عليه أنه قام بإرسال معلومات عن طريق اللاسلكى منذ عام ١٩٧١ وهذه المعلومات ثابتة بموجب التسجيلات الرقابية التى ترصدها محطات التسجيل التابعة للمخابرات .. وهنا انهار العاطفى واعترف أنه كان يعمل لحساب الإسرائيليين منذ عام ١٩٦٩ (!!) على أنه لم يشر إلى أنه قام بتدليك ساق عبد الناصر بالسم !

اعترف على العاطفى ــ أيضاً ــ بأنه كان يعرف السيدة جيهان السادات معرفة شخصية وعائلية ، ومن كبار الشخصيات التى ذكر العاطفى أنه كان يعرفها : كمال حسن على رئيس الوزراء الأسبق والذى رافق الوزير حسن التهامى فى رحلته إلى المغرب لمقابلة الإسرائيليين فى قصر الملك المغربى والاتفاق معهم على خطوات السلام (!!) كما ذكر العاطفى -أيضاً- أنه يعرف شقيقه طلعت حسن على ،

---

(١) شفيق أحمد على ــ جريدة الأهالى القاهرية ــ العدد ٣٦٤ فى ١٩٨٨/٩/٢٨ ، حيث عرض الكاتب تلخيصاً لكتاب « عبد الناصر أسرار المرض والاغتيال » تحت الطبع ــ كما قيل ــ للصحفى عادل حمودة .

والمهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب فى عهد السادات وعبد المحسن مرتجى وعثمان أحمد عثمان الذى أدين ابن شقيقته بهجت حمدان بتهمة التجسس لحساب إسرائيل وأعدم سنة ١٩٧٩ ..

وعندما قدم العاطفى للمحاكمة كان الحكم المتوقع هو الإعدام ، إلا أن المحكمة اكتفت بالأشغال الشاقة المؤبدة وخفض السادات الحكم إلى ١٥ عاماً ودونما سبب واضح ، و يذكر الكتاب ـ دون ذكر المصدر ـ أن السادات عندما خفض الحكم فإنه فعل ذلك « استجابة لطلب مناحم بيجين ، وأمر أيضاً بعدم اقتراب الصحافة من هذه القضية حتى لا تغضب إسرائيل » .

و بعد صدور الحكم جرى حصر ممتلكات العاطفى وقدرت بحوالى مليونى و ٢٠٠ ألف جنيه .. وصودرت ..

والمعلومات الجديدة فى هذا الموضوع والتى استقيتها من شقيقه أن العاطفى مازال مسجوناً فى مزرعة طرة وأنه قد فقد بصره تقر يباً ، ويحاول شقيقه ـ الآن ـ تقديم التماس للإفراج عنه .

■ □ ■ □ ■ □ ■

إن أوراق العاطفى لم تحسم قضية السم ، كذلك لا يستطيع أحد حسم هذه القضية إلا هؤلاء الذين كانوا بحكم مناصبهم يعرفون كل من يقترب من بيت جمال عبد الناصر فى منشية البكرى وأهم هؤلاء هم :

سامى شرف : وزير الدولة ومدير مكتب الرئيس للمعلومات
محمد أحمد : السكرتير الخاص للرئيس ناصر
شعراوى جمعة : وزير الداخلية فى العهد الناصرى
اللواء فؤاد عبد الحى: السكرتير المساعد والمسئول عن أمنه

□ **قال السيد سامى شرف :** لا أعرف شخصاً بهذا الاسم دخل بيت الرئيس جمال عبد الناصر ، ولا أعرف أحداً يسمى العاطفى قام بتدليك ساق عبد الناصر ، وقد سمعت هذه الرواية من قبل ، وسألت السيد محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس عما إذا كان هناك شخص دخل بيت الرئيس بهذا الاسم فأنكر ذلك ..

وأضاف السيد سامي شرف :

وقد سمعت بوجود هذا الشخص معنا فى سجن طرة ، كان فى زنزانة يقضى بها عقوبته إزاء تهمة التجسس لصالح إسرائيل ، وعلى كل حال فإن السيد محمد أحمد سكرتير الرئيس كان هو المسئول عن علاج الرئيس وعن الأطباء المعالجين ..

□ **وقال السيد محمد أحمد :** لم يكن العاطفى من مدلكى ساق الرئيس جمال عبد الناصر .. بل إننى لا أذكر شخصاً دخل بيت الرئيس بهذا الاسم ، أو كان ضمن الهيئة الطبية التى تعالج الرئيس ..

□ **وقال شعراوى جمعة :** ليس لدى أية معلومات عن العاطفى هذا إلاّ أنه كان جاسوساً لإسرائيل وقُبض عليه وحُوكم ..

□ **وأكد هذا اللواء فؤاد عبد الحى ،** الذى سخر من هذه الادعاءات وقال : « إذا كان دخل بيت الريس .. يبقى دخل من ورا ظهرنا وده **مش معقول .. !! »** .

وما كدت أوشك على إغلاق صفحات هذه الرواية نهائياً حتى فوجئت بالأخ والصديق د . خالد عبد الناصر يزورنى فى بيتى القريب من مستشفى الدكتور إبراهيم بدران ، حيث كانت تجرى لابنته ماجدة عملية جراحية لاستئصال الأعور .. كان لا يريد حضور العملية وفضل أن يقضى بعض الوقت لدىَّ .. وسألته عن العاطفى هذا والسم .. فلم يزد تعليقه عما قرره السادة سامى شرف وشعراوى جمعة ومحمد أحمد وفؤاد عبد الحى ..

وفى يناير سنة ١٩٨٨ قابله الصحفى اللامع مصطفى بكرى فى يوغسلافيا وسأله بالتحديد :

« يردد البعض أكثر من مرة أن الزعيم الراحل قد توفى بفعل مؤامرة إسرائيلية أمريكية عبر تدليك جسمه بالسم البطيىء ، كما تردد أن الدكتور على العاطفى عميد معهد العلاج الطبيعى سابقاً وأحد الذين كانوا يعالجون عبد الناصر قد اعترف بذلك داخل السجن ــ ما مدى صحة ذلك .. ؟

أجاب خالد : طبعاً كانت هناك مؤامرات أمريكية وإسرائيلية دائمة ضد عبد الناصر، هذا معروف، لكن هذه الواقعة ليس لى بها علم ولا أذكر أننى رأيت على العاطفى هذا من قبل (٢).

■ □ ■ □ ■ □ ■

كان من الضرورى أن أنفض يدى نهائياً من موضوع الشك فى قتل الرئيس جمال عبد الناصر بالسم .. لأن المعطيات التى عندى ناقصة، مفككة الأجزاء، لا أكاد أسير فى درب منها حتى أجده يُفضى إلى غيره .. قد ينجلى الأمر بعد فترة من الوقت .. ولكن متى .. وجثة جمال عبد الناصر فى القبر منذ وفاته فى عام ١٩٧٠ حتى الآن عام ١٩٨٨، ولا أحد من أسرته أو من المعنيين بالأمر لديه الرغبة أو مجرد الاستجابة لدواعى الشك التى أثارتنى والتى تدعو إلى فتح القبر وإخراج الجثة وإعادة تشريحها وفحصها.

ومن الواضح أن تصريحات خالد عبد الناصر الأخيرة تظهر ــ بما لا يدع مجالاً للشك ــ أن فكرة السم لم ترد لهم ــ أى لأفراد الأسرة ــ على بال.

ولنفرض أن أحداً من الأسرة اعتوره الشك وداهمه الارتياب فهل سيبعث هذا لديه الرغبة فى إخراج الجثة وإعادة تشريحها من جديد ؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى : هل يمكن اكتشاف السم بعد ١٨ عاماً من الوفاة .. ؟!

وحتى لو كانت هذه الإمكانية متوافرة .. فعلى أى أساس يصدر قاضى الأمور المستعجلة قراراً بفتح المقبرة .. ؟ أتكفى الشكوك ومجموعة الاستنتاجات المتناثرة هنا وهناك .. ؟

لقد كان لدى أسبابى الخاصة التى يمكن أن تصلح دليلاً ــ فى تقديرى ــ أمام قاضى الأمور المستعجلة لإصدار قراره بفتح المقبرة وإخراج الجثة .. ومن هذه الأسباب :

١- انتشار إشاعة التسمم بالسم البطئ عن طريق التدليك لساق الرئيس ناصر بواسطة الدكتور على العاطفى مدير معهد العلاج الطبيعى بالقاهرة والمتهم فى قضية تجسس لصالح إسرائيل رقم ٤ لسنة ١٩٧٩ أمن دولة عليا

(٢) جريدة الأحرار فى ١٨/١/١٩٨٨ ص ٣، القاهرة، [خالد عبد الناصر فى حوار مع «الأحرار»].

وحكم عليه بالسجن مدى الحياة وخفض إلى ١٥ عاماً بأمر من السادات ..

٢ - تردد استعمال السم فى كثير من مغامرات المخابرات المصرية وما ذكره د. أحمد ثروت عن ضياع ٧ زجاجات من السم من المخابرات ومن تحذيره للرئيس بألاّ يصافح بيده صلاح نصر خوفاً من تسرب السم إليه من خلال الجلد.

٣ - استعمال سم الأكونتين فى انتحار المشير عبد الحكيم عامر مساء يوم ١٣/٩/١٩٦٧ (وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع: انظر البحث الذى قدمه للنائب العام اد كتور على محمد دياب ــ الخبير بتحليل السموم بالمركز القومى للبحوث، ونشر فى يومين متتاليين ٦، ٧/٨/١٩٨٧ بجريدة الوفد التى تصدر بالقاهرة).

٤ - ما أثير عن حكاية موت الدكتور أنور المفتى الطبيب الخاص للرئيس عبد الناصر، حيث ذكر موسى صبرى أن مصطفى أمين نشر قصة الحكم الذى أصدره ــ كما يزعمون ــ عبد الناصر على المفتى لأنه عرف حقيقة مرضه وأن هذا المرض يسبب له انفصاماً فى الشخصية وعندئذ قرر التخلص منه حتى لا يذيع هذا بين الناس، وأن مصطفى أمين ــ الذى اتهم بالجاسوسية سنة ١٩٦٥ وأدين وحُكم عليه بالسجن ١٥ عاماً وأفرج عنه أنور السادات ضمن صفقة الإفراج عن الجواسيس الإسرائيليين بناء على إلحاح من جولدا مائير خلال مفاوضات فك الاشتباك بين القوات المصرية والإسرائيلية عند الكيلو ١٠١ بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ــ مصطفى أمين هذا قد اتصل بالسيدة فاطمة المفتى أرملة د. أنور المفتى الذى كان يشارك فى علاج عبد الناصر وأسرته ليعرف حقيقة الرواية فأكدتها له الزوجة الحزينة (!!).

وتستطرد هذه الرواية التى أرويها لمجرد الاستدلال على لعبة السم فى جهاز السلطة، تقول الرواية: إن عبد الناصر كان يستمتع بالحوار مع د. المفتى بعد أداء مهمته الطبية، وأذيع بين الناس أن أنور المفتى كان يردد فى مجالسه الخاصة أنه اكتشف من الحوار مع عبد الناصر أنه مصاب بالـ Paranoia وأنه أصبح غير مؤهل للحكم لأن مرض السكر فى الدم يمكن أن يؤثر على توازن التفكير.

وأن د. المفتى كان يحلل شخصية عبد الناصر وأنه كان يترك أهم شئون الحكم ويتفرغ لتحقيق واقعة قدمت إليه فى تقرير عن أن شخصاً عادياً هاجمه فى مجتمع أو جلسة.. وقد مات أنور المفتى فى ظروف مفاجئة،

وتصورت السيدة فاطمة المفتى أن زوجها مات مسموماً بأمر من عبد الناصر ونشرت أخبار اليوم هذا الاتهام ، وتصنع السادات الغضب وقال : هذا افتراء وتشهير.. عبد الناصر لم يكن قاتلاً .. لماذا هذا الحقد .. ؟! (٣) .

ونفى صلاح نصر ــ مدير المخابرات فى عهد عبد الناصر ــ نفى هذه الرواية ، وقال : إن المخابرات فى عهده لم تقم بدس السم لأنور المفتى .. أو أنها قدمت « السم » لعبد لناصر ليستخدمه ضد أعدائه ..

ولم يذكر صلاح نصر إذا كان المفتى مات بسم المخابرات .. أو دُس له السم فى كوب العصير الذى قدم له فى منزل عبد الناصر.

و يتردد ــ فى نفس الرواية ــ أن عبد الناصر سأل المفتى :

ــ هل يحق للطبيب أن يفشى سر مر يضه ؟

وعندئذ رفع د . المفتى كوب العصير إلى شفتيه وشربه ، وعندما عاد إلى منزله نظر إلى المرآة ، ووجد مفعول السم يسرى فى جسده و يظهر أثره فى حدقة عينيه والتفت إلى حرمه قائلاً :

ــ سأموت بعد فترة ..

ومات بعدها بساعات !!

ونشرت هذه الأكاذيب وذاعت هذه الرواية ووصل خيط منها إلى هؤلاء الذين يبحثون عن أية ثغرة لينفذوا منها و يفرقوا المصرى عن المصرى والعربى عن العربى طبقاً لمبدأ « فرق تسد » .. وكان هؤلاء فى باريس يعملون عملاء للــ CIA وأصدروا كتاباً بعنوان « هؤلاء المرضى الذين يحكموننا » .. وتحدث الكتاب عن جمال عبد الناصر وإيدن وبومبيدو وديجول وستالين والبابابيوس الثانى عشر... إلخ .

المهم أن هذا الكتاب تناوله أنيس منصور بالترجمة وادعى تأليفه كالعادة ، ثم دفع ببعض صنائعه لتقديم بعض شذرات منه تخدم الهدف فى صورة كتاب تحت عنوان « التاريخ يصنعه هؤلاء » حيث يذكر فى الصفحة (١٤) :

« .. وأخيراً استشار (عبد الناصر) أنور المفتى الذى لم يستمر فى علاجه طويلاً ، قال أنور المفتى : إن عبد الناصر مريض منذ فترة طويلة بمرض

(٣) لا نعتقد أن غضب أنور السادات كان غضباً حقيقياً وإنما كان تظاهراً بأنه يحمى سمعة عبد الناصر.. فالثابت أن السادات كان يمثل دور الصديق لعبد الناصر والأمين على مبادئه فى أول الأمر.. لكنه فى الحقيقة كان العدو اللدود لعبد الناصر ولمبادئه.. وفى الوقت الذى كان يصرح فيه بأن عبد الناصر ليس قاتلاً كان يسمح للطبقات الاجتماعية المنقرضة بالهجوم على عبد الناصر والإساءة إلى سمعته .. وكان عدواً لثورة يوليو وما تمثله بالنسبة لمصر وللعالم الثالث ، ولذا فقد راح ينهال على مبادئها بالهدم واحداً إثر الآخر.. لكنها كانت مجرد محاولات انتهت بالفشل وأدت على المدى الطويل بخروج طوائف من ظلام القرون الوسطى واغتالته وهو على المنصة .

السكر دون أن يعرف (!) ، وأن المرض قد وصل إلى مرحلة خطيرة ، وكان معنى هذه الأعراض أن التهاباً شريانياً ينمو ويزداد فى الأعضاء كلها ، وقال الطبيب : إن هذه الأعراض ستؤثر على قواه العقلية .. » .

ويقول الكتاب : إن الدكتور أنور المفتى دفع ضريبة صراحته ، فقد نفذ صلاح نصر الأوامر بقتل هذا الطبيب بالسم ! (٤) .

٥- ويظهر السم أيضاً فى الجناية رقم ٣٨٤٢ / ١٨٠ كلى لسنة ١٩٧٥ المتهم فيها صلاح نصر رئيس هيئة المخابرات العامة وآخرون ، حيث اتهمتهم النيابة العامة بأنهم فى الفترة من ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ إلى ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٥ أمروا بتعذيب مصطفى أمين المتهم فى الجناية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥ دولة عليا . ، وقد نظرت هذه الجناية فى جلسات ١٥ / ٢ / ١٩٧٦ إلى ٢٥ / ٥ / ١٩٧٦ وصدر الحكم فيها فى ٢٦ / ٦ / ١٩٧٦ بالحكم بسجن صلاح نصر ١٠ سنوات .. وقد ذكر صلاح نصر فى ختام دفاعه أنه أنشأ قسماً للسموم فى المخابرات عندما ثبت أن إسرائيل كانت تستعمل السموم وأن الذى أنشأ هذا القسم هو الدكتور النبوى المهندس وأساتذة كبار من كليات الطب والعلوم (٥) .

وجاء فى أسباب الحكم وما أثاره الدفاع فى القضية أن السم كان سلاحاً من الأسلحة التى تستعملها المخابرات المصرية للتخلص من خصوم النظام أو الذين يمكن أن يكشفوا بعض الأسرار التى يجب أن تظل فى الكتمان وأن الدكتور أنور المفتى من هذه النماذج التى ماتت بالسم .. كذلك فإن كمال الدين حسين الذى كان نائباً لرئيس الجمهورية قد دُس له السم ولكن زوجته هى التى شربته فماتت على الفور.. (!!) (٦) .

وقالت أسباب الحكم : إن المخابرات المصرية استوردت سم الأكونتين من ألمانيا الغربية .

هذه بعض أسباب شكى فى موت عبد الناصر بالسم نتيجة لتدليك ساقه ، وطبقاً لأقوال الأطباء المعالجين أن جمال عبد الناصر كان بحاجة إلى تدليك ساقيه لأنه كان مصاباً بما يسمى « مرض بيرجر » وهو مرض يؤدى إلى تخثر الدم أى تجمد الشعيرات الدموية فى الساقين ، وقد أطلق على هذا المرض أيضاً اسم : « مرض اليهود » لأنه

---

(٤) زهيرة البيلى — التاريخ يصنعه هؤلاء — دار المعارف (رئيس مجلس الإدارة أنيس منصور) — سنة ١٩٧٩ — القاهرة .

(٥) أسباب الحكم فى الجناية رقم ٣٨٤٢ / ١٨٠ لسنة ١٩٧٥ .

(٦) من الذى دس السم لكمال الدين حسين وزوجته .. ؟! لم يقل الحكم .. ، ولكن ربما يظهر من يدعى أن عبد الناصر خرج من القبر وأطلق النار على السادات !!

أصـاب اليهـود الـذيـن يـعملون فى بورصة نيو يورك ، حيث الأعصاب مشدودة وحيث الإصـابـة بمـرض الـسكـر مـنـتـشـرة ، وحـيث التدخين بإسراف ، وهو مرض يصيب ــ أيضاً ــ هؤلاء الذين يجلسون إلى مكاتبهم فترات طو يلة .

إن ما يؤكد شكوكى أو يدحضها دليل واحد هو: الجثة .

ولما كانت الجثة فى المقبرة و يقتضى الحصول عليها قرار من النيابة العامة بناء على طـلـب مـن ولـى الأمر وولى الأمر هنا هو أسرة عبد الناصر .. ولما كانت أسرة الزعيم مـازالـت تعتبر الوفاة قضاء وقدراً ، فضلاً عما يبعثه فحص الجثة وإعادة تشريحها ــ هذا إذا كـان فيهـا بـقـيـة مـا ــ مـن ألم وحـزن .. فإن المـوت بـالسم يصبح خارج نطاق الـبـحـث .. على أنه لا يجب إغلاق هذا الملف ــ موت ناصر بالسم ــ دون النظر إلى عدة احتمالات :

■ **الاحـتـمـال الأول** : أن قرار النيابة بفتح المقبرة وإخراج الجثة يتضمن بـالـضرورة اتهاماً بالقتل و يصبح تحديد اسم الجناة أو الجانى أمراً لا مفر منه .. وهـذا ــ فى حـد ذاتـه ــ يـثير قـضـايـا كثيرة .. منها ضرورة الإشارة إلى الدول والجـهـات صـاحـبـة المـصـلـحـة الأولى فى تـصفية جمال عبد الناصر ، وتسمية الـوسـطـاء والـعـمـلاء الـذين قاموا بتجنيد أشخاص وزرعهم فى أماكن معينة يـتـواجـد فيهـا الـرئيس عبد الناصر .. ، وتحديد أدوات الجريمة والإمساك بها .. وتـسـلـيـط الـضـوء على الذين استفادوا استفادة حقيقية من وفاة الرئيس جمال عـبـد الـنـاصـر ، سـواء بـالقفز على السلطة أو بالحصول على مراكز وامتيازات أو الـشـراء الـفاحش وتحقيق مكاسب غير مسبوقة .. والظروف المحلية والعربية غير قادرة الآن على مواجهة هذا الفيض من الاتهامات .

■ **الاحـتـمـال الثاني** : إغلاق هذا الملف المفتوح بواسطة قرار مّا بحجة أن فـتـح هـذا المـلف يمنح أجهزة المخابرات الغربية مثل الــ C.I.A والموساد وعـمـلائـهـا فى المـنـطـقـة .. يمنحها امتياز اليد الطو يلة بأنها تستطيع الوصول إلى الخصوم السياسيين داخل بيوتهم ..

■ **الاحتمال الثالث** : محاولة التشكيك فى استمرار فتح الملف بأنه يخدم الـقـوى المعادية للناصر ية بمقولة : إن رفاق عبد الناصر والمحيطين به وقد عجزوا عـن حمايـتـه وقـصـروا فى الـدفـاع عـنـه .. هم بطبيعة الحال عاجزون عن حماية الناصر ية وبناء الحزب الجديد .

هذا ولابد من التذكير بأن كثيراً من الصحف الأجنبية أشارت إلى وثائق تدين عدداً من رؤساء الدول والملوك وتتهمهم صراحة بأنهم كانوا يتقاضون رواتب شهرية من المخابرات المركزية عن طريق بعض المسئولين العرب الذين كانوا يتآمرون على جمال عبد الناصر .. تنفيذاً لتوجيهات أسيادهم .

وبالطبع لا يوجد لدينا وثائق بالمبالغ التى تسلمها هؤلاء الرؤساء عن طريق الوسطاء ولا أرقام الشيكات أو أرقام الحسابات التى أودعت هذه المبالغ بها .. كما لا نملك ــ بالطبع ــ وثائق تتضمن أوامر القتل وتوجيهات الاغتيال .

وسوف يظل ملف استعمال السم مفتوحاً إلى أن تظهر وثائق جديدة .. أو تتمكن السلطة من وضع يدها على أدلة فى هذا الموضوع .. وإلى أن يحين هذا .. فلنفتح الصفحة الأولى من الملف الثانى .. وهو يبحث فيما إذا كانت وفاة عبد الناصر بجلطة الشريان التاجى أم بكومة سكر .. وهل كان الخطأ فى التشخيص هو الذى عجّل بالوفاة وأفقد الرئيس جمال عبد الناصر حياته .. أم كان الأمر مُدبّراً .. ؟!

■ □ ■ □ ■ □ ■

٢٨ سبتمبر ١٩٧٠

١

فى مساء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ذهب أنور السادات إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون وكان ينتظره على الباب الرئيسى محمد حسنين هيكل وزير الإعلام ، وصحبه إلى حيث كان الاستديو معداً ليلقى بيانه على الأمة الذى تضمنه خبر وفاة الرئيس جمال عبد الناصر :

قال السادات فى بيانه :

فقدت الجمهورية العربية المتحدة ، وفقدت الأمة العربية ، وفقدت الإنسانية كلها ، رجلاً من أغلى الرجال وأشجع الرجال وأخلص الرجال ، وهو الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى جاد بأنفاسه الأخيرة فى الساعة السادسة والربع من مساء اليوم ٢٧ رجب ١٣٩٠ ، الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، بينما هو واقف فى ساحة النضال يكافح من أجل وحدة الأمة العربية ، ومن أجل يوم انتصارها .

لقد تعرض البطل الذى سيبقى ذكره خالداً إلى الأبد فى وجدان الأمة والإنسانية ، لنوبة قلبية حادة بدت أعراضها عليه فى الساعة الثالثة والربع بعد الظهر . وكان قد عاد إلى بيته بعد انتهائه من آخر مراسم اجتماع مؤتمر

الملوك والرؤساء العرب ، الذى انتهى بالأمس فى القاهرة ، والذى كرس له القائد والبطل كل جهده وأعصابه ، ليحول دون مأساة مروعة دهمت الأمة العربية .

إن اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ومجلس الوزراء ، وقد عقدا جلسة مشتركة طارئة على إثر نفاذ قضاء الله وقدره ، لا يجدان الكلمات التى يمكن بها تصوير الحزن العميق الذى ألمَّ بالجمهورية العربية المتحدة و بالوطن العربى والإنسانى ، إزاء ما أراد الله امتحانها به فى وقت من أخطر الأوقات .

إن جمال عبد الناصر كان أكبر من الكلمات ، وهو أبقى من كل الكلمات ، ولا يستطيع أن يقول عنه غير سجله فى خدمة شعبه وأمته والإنسانية ، مجاهداً عن الحرية ، مناضلاً من أجل الحق والعدل ، مقاتلاً من أجل الشرف ، إلى آخر لحظة من العمر .

ليس هناك كلمات تكفى عزاءً فى جمال عبد الناصر .

إن الشيء الوحيد الذى يمكن أن يفى بحقه و بقدره ، هو أن تقف الأمة العربية كلها الآن وقفة صابرة ، صامدة ، شجاعة ، قادرة ، حتى تحقق النصر الذى عاش واستشهد من أجله ابن مصر العظيم ، و بطل هذه الأمة ورجلها وقائدها .

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وعند منتصف الليل أذيع التقرير الطبى ونصه كالآتى :

أثناء توديع سمو أمير الكويت بالمطار فى الساعة الثالثة والنصف مساء اليوم ٢٨ / ٩ / ١٩٧٠ شعر سيادة الرئيس بدوخة مفاجئة مع عرق شديد وشعور بالهبوط .

وقد توجه سيادته بعد ذلك فوراً إلى منزله بمنشية البكرى ، حيث حضر على الفور الأطباء ووجدوا عند سيادته أزمة قلبية شديدة نتيجة انسداد بالشريان التاجى للقلب .

وقد أجريت لسيادته جميع الإسعافات اللازمة بما فى ذلك استعمال أجهزة تنظيم ضربات القلب . ولكن مشيئة الله قد نفذت وتوفى إلى رحمة الله فى الساعة السادسة والربع أثناء إجراء هذه الإسعافات :

توقيـــع :
د . رفاعى كامــل
د . منصـور فايــز
د . زكـــى الرملـــى
د . الصاوى حبيب
د . طــه عبد العزيــز

■ □ ■ □ ■ □ ■

وكـان الـرئيـس جمـال عـبـد الـنـاصر قـد قـضـى الـعشرة الأيام الأخيرة فى عمل متـواصل ، ففى يوم الخميس ١٧ / ٩ / ١٩٧٠ التقى بالعقيد معمر القذافى فى مطروح وعـقـدا اجـتـمـاعـاً طـويلاً امتد حتى المساء ، تناولا فيه تطورات الموقف فى الأردن ، حـيـث كـان الجـيـش الأردنى قد بدأ فى قصف مناطق الفلسطينيين وتجمعاتهم بهدف تصفية المقاومة والقضاء عليها .

وفى الـيـوم نـفـسـه جرى اتصال مع الرئيس السودانى جعفر نميرى واتفق الرؤساء الـثـلاثـة على تكليف الفريق محمد صادق رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المـصرية بأن يطير إلى عمان حاملاً رسالة إلى الملك حسين ملك الأردن و ياسر عرفات رئيس قوات المقاومة يطالبون فيها بوقف الصدام المسلح وإعطاء فرصة للمشاورات .

وكـان عبد الناصر قد تلقى ثلاث رسائل من ياسر عرفات يطلب فيها منه التدخل الفورى و بكل الوسائل لإيقاف محاولة تصفية الثورة الفلسطينية ، وأمضى اليوم التالى ــ الجمعة ــ بطوله يتابع تطورات الموقف فى الأردن دقيقة بدقيقة .

وفى يـوم الـسـبـت والمـعـارك تـتـصـاعـد فى عمان ، وكانت الولايات المتحدة تهدد بـالـتـدخـل ، اتخـذ الـرئـيـس نـاصر خطوة مباشرة لتعزيز مهمة الفريق صادق فبعث برسالتين إلى الملك حسين و ياسر عرفات ، قال فى الرسالة الأولى للملك :

« إننى أتوجه إليكم مباشرة بنداء عربى صادق مخلص بأن يتوقف إطلاق النار بأسرع وقت ولو لمدة ٢٤ ساعة لكى يتيح لأمتنا فرصة نحتاجها وطنياً وقومياً وحتى إنسانياً .. إن معلوماتنا عن الخسائر مخيفة ، وتقديراتنا للعواقب محفوفة بالخطر وهناك آلاف الأبرياء تحت رحمة النيران أو تحت رحمة النزيف فى الشوارع ، إن ذلك وضع لا يمكن أن تقبله أمتنا وهو عار يلحقنا جميعاً أمام ضمائرنا وأمام أجيالنا المقبلة وأمام العالم صديقنا فيه وعدونا .. إننى واثق أن هذا النداء سيلقى استجابتكم الفورية بما يمكننا جميعاً من وقف المأساة المحزنة الجارية الآن .. ووضع حائل يصد المؤامرة الدولية التى تبدو فى التحركات المشبوهة للأسطول الأمريكى السادس بالبحر الأبيض » [1] .

وقال عبد الناصر فى رسالته لياسر عرفات :

« .. إن الجمهورية العربية المتحدة تعتقد أن الشعب الفلسطينى هو العصب الحساس فى النضال العربى المعاصر كله وأن المقاومة الفلسطينية هى تجسيد حى لوجود هذا الشعب ولدوره وآماله ، ورجائى إليكم أيها الأخ

(١) كانت دبابات الجيش الأردنى من طراز باتون تركز هجماتها على منطقة الأشرفية لخلع جيوب المقاومة الباقية فى عمان ، وكان الدمار فى أبشع صوره ــ كما يقول هيكل فى مقاله بجريدة الأهرام بتاريخ ١٦ / ١٠ / ١٩٧٠ ــ وكان التدبير الأمريكى الإسرائيلى أعد مخططاته كاملة للتدخل فى أزمة الأردن ، وكانت خطة التدخل قد حدد لها ساعة الصفر فى اللحظة التى يزيد فيها عدد الدبابات السورية التى تدخل الأردن على مجموعة لواءين ، التى قيل إنها دخلت فعلاً شمال الأردن ، والخطة أن تبدأ العملية بضربة جوبة يقوم بها الطيران الإسرائيلى ضد المدرعات السورية وعلى أن يتولى الأسطول الأمريكى السادس ، بطائراته ، حماية التدخل الإسرائيلى الأمريكى ضد أى عمل قد تقوم به مصر ، أو قد يفكر فيه الاتحاد السوفيتى ، وكان الرئيس نيكسون قد وصل بنفسه إلى نابولى ، وكانت أقوى قطع الأسطول السادس الأمريكى أمامه تحيط بجزيرة كابرى ، و٣ من حاملات الطائرات وعلى ظهرها قرابة ٣٠٠ طائرة قاذفة مقاتلة أكثرها من طراز فانتوم وعليها مجموعة من بطاريات المدفعية وقواعد إطلاق الصواريخ ، وتتقدم هذه الحاملات مجموعة من البوارج والطرادات الصاروخية ، وكان مقرراً لهذه القوة البحرية أن تقوم بمناورة تكون بمثابة مظاهرة بالنار ، وكان المقصود من هذه العملية كلها شيئاً واحداً : **أن يسمع جمال عبد الناصر فى القاهرة ، دوى مدافع الأسطول الأمريكى السادس** .. وكان الموعد المقرر لبدء المناورة هو الساعة العاشرة من مساء يوم ٢٨ سبتمبر .. وهو الوقت تقريباً الذى انتقل فيه أنور السادات بصحبة هيكل إلى استديو الأخبار بالتليفزيون المصرى ليعلن على الأمة خبر وفاة جمال عبد الناصر .

أن تساعدونا من جانبكم فى تحقيق ذلك حتى نستطيع تجنب موقف متفجر كما هو محزن .. » .

واقترح الرئيس التونسى ــ عندئذ ــ عقد مؤتمر على مستوى القمة لرؤساء وملوك الدول العربية لبحث الموقف المتردى فى الأردن و يتم ذلك بحضور الملك حسين و ياسر عرفات ، وقد أبدى جمال عبد الناصر موافقته على الاقتراح وقال إن القاهرة على استعداد للقيام بكل جهد فى سبيل تجنب الأمة العربية و يلات حرب أهلية كتلك التى جرت فى الأردن .

و بدأت القاهرة الاتصالات بالعواصم العربية للتمهيد لمؤتمر القمة ، وفى نفس الوقت حذرت القاهرة الولايات المتحدة الأمريكية من التدخل فى أزمة الأردن .. هذا بينما كان السيد حسين الشافعى عضو اللجنة التنفيذية العليا قد ذهب إلى الرياض يحمل رسالة من الرئيس إلى الملك فيصل حول تطورات الموقف فى الأردن .

ثم أرسل الرئيس برقيتين عاجلتين إلى الملك حسين قال فى الأولى :

« إن آخر التقارير التى تلقيتها من الفريق صادق تظهر أن هذه المخاطر سوف تؤثر على أمتنا ومسيرتها ونضالها وآمالها إلى مدى كبير، إننى أرجو تدخل جلالتكم الشخصى والفورى لكى تلتزم وحدات الجيش الأردنى بوقف إطلاق النار، وأرى من واجبى أن أرفع صوتى محذراً من خطورة النتائج التى يمكن أن تترتب على عدم تنفيذ ذلك .. » .

أما البرقية الثانية فكانت تتضمن :

« لقد علمت الآن أن المكان الذى رتب فيه اللقاء بين الفريق صادق و ياسر عرفات يتعرض هذه اللحظات لقصف عنيف من جانب عناصر من الجيش الأردنى وذلك وضع أعتقد أن جلالتكم لا يمكن أن ترضوا به أو تقبلوه .. كما أن جميع العرب ، معكم ومعى فى أنه وضع لا يمكن لأحد أن

يرضى به أو يقبله .. إني أناشدكم مرة أخرى أن تساعدونا على تفويت هذه المحنة بما ألحقته بنا جميعاً حتى الآن من آلام وكوارث ..

« .. إنني أرى أن أى خطأ فى التقدير أو الحساب يمكن أن يجرنا جميعاً إلى حيث لا نريد وإلى حيث لا تريد أمتنا . وعلينا جميعاً أن نتدبر موقع خطانا قبل أن يسوقنا تداعى الحوادث إلى مضاعفات بالغة الخطورة ، ..

« .. إنني أتمنى من كل قلبى أن تتخذوا من القرارات الفورية ما هو كفيل بوضع حد لما يجرى الآن ، و يكفى هذه الأمة ما عانته من عذاب خلال الأيام الأخيرة وأدعو الله أن يوفقكم و يسدد خطاكم .. » ..

وفى يوم الاثنين ٢١ / ٩ أصدر الملك حسين قراراً بوقف إطلاق النار استجابة لرسائل جمال عبد الناصر فى الوقت الذى كان فيه الرئيس يستقبل رؤساء الدول العربية الذين بدأوا يتوافدون إلى القاهرة استعداداً لاجتماعات القمة العربية لكن هذا القرار لم ينفذ .

وفى اليوم التالى (الثلاثاء ٢٢ / ٩) كان قد تجمع فى القاهرة زعماء ٩ دول عربية وأصبحوا مجموعة عمل لمواجهة الموقف العربى بالأردن ، وقد عرض عبد الناصر خلال سلسلة من الاجتماعات مجموعة مراسلاته مع الملك حسين و ياسر عرفات وتقارير الفريق صادق وتقارير المعلومات الواردة من عمان .

وحضر الرؤساء والملوك و بدأت الاجتماعات بالهيلتون حيث أنشىء كوبرى معلق يوصل بينه و بين قاعات الاجتماعات بمبنى جامعة الدول العربية بحيث لا توجد فواصل أو حدود بين أماكن إقامة الرؤساء والملوك ووفودهم و بين قاعات الاجتماعات بحيث يعقد المؤتمر وتدور المشاورات .. وحضر الملك حسين .. و ياسر عرفات ، واستطاع ناصر أن يقرب وجهات النظر و يوقف نزيف الدم .. وتم ذلك مساء الأحد ٢٧ / ٩ / ١٩٧٠ ، وذهب إلى بيته .. وفى صباح اليوم التالى كان عليه أن يذهب لوداع الملك فيصل .. ثم عاد إلى المطار بعد الظهر لوداع أمير الكويت .. وعاد إلى البيت وصعد فوراً إلى غرفة نومه وطلب طبيبه الخاص د . الصاوى حبيب الذى حضر حوالى الساعة الرابعة من مساء يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٧٠ .. وفى الساعة السادسة والربع بالتوقيت الصيفى قيل إن الرئيس قد أسلم الروح بجلطة فى الشريان التاجى .. فكيف حدث هذا .. ؟

٢

كـان الـكـاتب الصحفى محمد حسنين هيكل رئيس تحر ير الأهرام ــ وقتذاك ــ ووز ير الإعـلام هـو أول مـن رسـم صـورة لـيـوم ٢٨ سـبـتـمبر فى بـيت الرئيس جمال عـبـد الـنـاصر .. وأول مـن تحـدث عـن مـرض الـرئـيس وأول من قدم للعالم تفاصيل الـسـاعات الأخيرة فى حياة جمال عبد الناصر .. ولم يفعل ذلك مرة واحدة .. إنما فعلها ثلاث مرات وأكثر.

المـصـدر الوحيد إذاً لهذا اليوم الحز ين هو هيكل ، وقد قدم ثلاث روايات ــ على الأقل ــ لصورة هذا اليوم .

الـروايـة الأولى قـدمـهـا فى الأهـرام صـبـاح الـيـوم الـتـالى مـبـاشـرة ، أى يوم ٢٩ / ٩ / ١٩٧٠ ، والـروايـة الـثـانـيـة قـدمها يوم ١٦ / ١٠ / ١٩٧٠ ، والرواية الثالثة قـدمـهـا بـعـد خمس سـنـوات مـن الـوفـاة و بـالـتحديد فى ينايرسنة ١٩٧٥ فى كتاب « بصراحة عن عبد الناصر » لفؤاد مطرــ دار القضايا ــ بيروت .

وفى كل رواية من هذه الروايات كان هيكل يغير فى الوقائع و يضيف و يعدل .. ويحـذف إلى أن جـاء عـام ١٩٨٨ حيـث أثـيـرت قـضـيـة وفـاة عـبـد الـنـاصر فى مجلة « الـتـضامن » التى تصدر بلندن فى سلسلة من الحلقات خلال شهرى يونيو و يوليو .. هـنا قدم هيكل رواية أخرى أو رواية رابعة فى مجلة « أكتو بر» ــ العدد ٦٠٨ الصادر

فى ١٩ / ٦ / ١٩٨٨ ، ولا يمكن لأى باحث أو كاتب أو محقق أن يتعرض لظروف وفاة جمال عبد الناصر دون أن يأخذ هذه الروايات الأربعة فى الاعتبار لا لأن صاحبها « شاهد عيان » إنما لأن صاحبها رغم صداقته وقربه الشديد من جمال عبد الناصر لم يكن له وجود فى القضية الحقيقية لوفاة جمال عبد الناصر .. فهو لم يدخل حجرة الرئيس جمال عبد الناصر إلا بعد أن لفظ أنفاسه الأخيرة بأكثر من ساعة .. إنما استقى رواية موت عبد الناصر من خلال هؤلاء الذين كانوا يريدون — أو من مصلحتهم — أن تظهر هذه القصة بالشكل وبالطريقة وبالمضمون الذى قدمت به فى الروايات الأربع .

وقبل أن ندق على باب الحقيقة ينبغى أن نقرأ وبتمعن الروايات الأربع :

الرواية الأولى

عبد الناصر فى رحاب الله

« .. وقف الشعب المصرى وأمته العربية والعالم كله أمس أمام فجيعة بغير حدود ، مفاجئة كأنها الصاعقة وذلك بانتقال الرئيس جمال عبد الناصر بطل هذه الأمة وقائدها ومعلمها إلى رحاب الله ، وكان ذلك إثر نوبة قلبية مفاجئة أحس بأعراضها وهو فى مطار القاهرة الدولى يودع أمير الكويت الذى كان آخر من غادر القاهرة من الملوك والرؤساء العرب الذين شاركوا فى اجتماع القاهرة الكبير لبحث أزمة الأردن .

وأحس الرئيس بألم فى صدره وهو واقف بجوار طائرة أمير الكويت فى انتظار تحركها ، ثم أحس بالعرق يتصبب منه بغزارة والتفت بجانبه وطلب أن تجىء سيارته إلى حيث يقف لأنه يشعر بتعب مفاجىء ولا يستطيع هو أن يسير إليها كما كان يفعل عادة .

ودخلت السيارة بسرعة إلى جوار الطائرة وركب عبد الناصر متوجهاً إلى بيته ودخل غرفته ولحق به طبيبه المقيم الدكتور الصاوى حبيب ، وبعد كشف أوّلى ،

وكانت الساعة الرابعة إلا ثلثاً وجد الدكتور الصاوى أن الأمر خطير فطلب استدعاء الدكتور منصور فايز الذى يشرف على علاج الرئيس ، كما طلب الدكتور زكى الرملى والدكتور طه عبد العزيز ، ثم لحق بهم جميعاً الدكتور رفاعى محمد كامل .

وكان التشخيص الفورى أن هناك جلطة شديدة أحدثت أزمة قلبية حادة وأن هناك عدم انتظام يثير الانزعاج فى دقات القلب .

وبدأت الإسعافات السريعة بأجهزة الأوكسيجين وأجهزة الصدمة الكهربائية وغيرها من أنواع العلاج .

وفى نفس الوقت كان بعض معاونى الرئيس وأصدقائه قد هُرعوا إلى بيته وشبح الكارثة يخيم على حجرة النوم التى رقد فيها جمال عبد الناصر والأطباء من حوله يصارعون الخطر .

وكانت السيدة قرينته تقف خارج حجرة نومه بأمر الأطباء وكانت دموعها تتدفق فى صمت كما كان بقية أفراد أسرته من حولها ودموعهم فى عيونهم والقلق يشد كل الوجوه والأعصاب .

وفى داخل غرفة النوم كانت كل دقيقة تحمل معها نذيراً مروعاً فقد كانت الحالة تتدهور باستمرار ووقف بجانب الفراش الفريق محمد فوزى والسيد شعراوى جمعة والسيد سامى شرف والسيد محمد أحمد ومحمد حسنين هيكل ، ثم ما لبث أن انضم إليهم السيد حسين الشافعى والسيد على صبرى ثم وصل نائب رئيس الجمهورية السيد أنور السادات .

وكان الموقف مذهلاً لا يكاد يصدق .

كان الأطباء عاكفين على كل محاولة فى طاقة الطب والعلم ، وكان الباقون فى حجرة النوم واقفين فى أركانها يرقبون الفراش الذى يرقد عليه حبيب مصر وبطلها ، كان بعضهم يبكى فى صمت ، وكان بعضهم يصلى وكان بعضهم فى ذهول مما يرى .

وبدأ الدكتور الصاوى يقوم بعملية تدليك للقلب ثم راح يضغط على الصدر عشرات المرات .

وفى الساعة* السادسة والربع تماماً بدا أن الأمل ضاع وأن الروح فارق الجثمان المسجّى ولكن أحداً لم يكن يريد أن يصدق أن ما يروه أمامهم يمكن أن يحدث .

كان ما يحدث أكثر هولاً من أن يُصدق ، كأنه كابوس مخيف يمسك بقبضته كل العالم وكل البشر .

وفى الساعة السابعة بدأ الطب والعلم يدرك أنه لا فائدة أمام قضاء الله . . وابتعد الأطباء عن الفراش ثم انفجر الدكتور منصور فايز باكياً وانفجر بعده كل الواقفين فى غرفة النوم .

وأحست السيدة قرينة الرئيس بما يجرى فاندفعت إلى غرفة النوم تمسك بيد رفيق عمرها وتقبلها وهى فى حالة ذهول تمزق القلوب واندفعت السيدة هدى عبد الناصر داخلة ومعها شقيقتها السيدة منى ثم تبعها خالد عبد الناصر وعبد الحكيم عبد الناصر ولم يكن عبد الحميد عبد الناصر موجوداً لأنه ضابط بالكلية البحرية وكان فى عمله بالاسكندرية ودُعى على عجل بالطائرة ليجىء إلى القاهرة .

وأفسح كل الموجودين فى الحجرة مكانه وغادروها ليتركوا لأسرة البطل العظيم لحظات الوداع الأخير وكان كل شىء لا يزال وكأنه كابوس مخيف يمسك فى قبضته بالدنيا كلها وبالبشر جميعاً .

وكان الذين خرجوا من غرفة النوم واقفين فى غرفة المكتب الملاصقة لها ونشيج الوداع الأخير بين الأسرة ورجلها العظيم يصل آذانهم وكلهم مجهش فى البكاء لا يتمالك نفسه أو يقدر على الإمساك بأعصابه .

وكان لابد من تحرك لمواجهة الموقف ودعا السيد أنور السادات إلى اجتماع فى صالون بيت الرئيس حضره السيد حسين الشافعى والسيد على صبرى والسيد شعراوى جمعة والفريق أول محمد فوزى والسيد سامى شرف ومحمد حسنين هيكل .

وكان إحساس الكل أن خير ما يقدمونه لقائدهم وبطلهم ومعلمهم ، أن يكفلوا عنصر الاستمرار من أجل مصر ، ومن أجل الأمة العربية ، وقد أعطاها البطل ، الذى دخل رحاب الله ، وتم الاتفاق على عدة إجراءات :

- **إعلان حالة الطوارئ فى الجبهة ، مواجهة لأية طوارئ .**
- **دعوة اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى العربى ومجلس الوزراء إلى جلسة عاجلة لإعلان النبأ المروع ، وبحث الإجراءات المترتبة عليه .**
- **نقل جثمان الرئيس إلى القصر الجمهورى بالقبة ، باعتباره المقر الرسمى لرئيس الدولة .**
- **تحديد موعد الجنازة فى الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس ، حتى تتاح الفرصة لأصدقاء عبد الناصر من ملوك ورؤساء الدول ، الذين يرغبون الاشتراك فى وداعه الأخير.**
- **أن يكون مدفن البطل العظيم فى المسجد الجديد فى منشية البكرى ، وهو مسجد أشرف الرئيس جمال عبد الناصر على بنائه بنفسه من أموال التبرعات التى كانت تصل إليه ، و يطلب أصحابها توجيهها بمعرفته لخدمة الإسلام**

ودعى الأطباء الخمسة الذين حضروا الساعات الأخيرة ، إلى كتابة تقرير رسمى عن الوفاة ، لكى يعرض على الاجتماع المشترك للجنة التنفيذية العليا ولمجلس الوزراء .

وجاءت السيدة قرينة الرئيس تطلب محمد حسنين هيكل ، وتمسك بيده ، ترفض أن تصدق ما حدث ، بينما خالد عبد الناصر وعبد الحكيم عبد الناصر وحاتم صادق يحاولون جميعاً قدر ما يستطيعون مساعدتها .

وكانت السيدة الجليلة فى حزنها العميق تقول :

ـــ لا أريد شيئاً ... لم أرد فى حياتى غيره ... لم يكن بالنسبة لى رئيساً للجمهورية ... كان زوجى ، وليس من أمل فى الدنيا غير أن أدفن إلى جانبه .

وكان المشهد يمزق القلوب والأكباد والأعصاب .

وجاءت سيارة الإسعاف الخاصة برئاسة الجمهورية ، ورُفع جثمان البطل العظيم من فوق فراشه ، وسُجى على النقالة الخاصة بها ، ثم حملها أصدقاؤه وهو عليها وهبطوا بها من السلم حتى أدخلوها سيارة الإسعاف .

وخرجت سيارة الإسعاف إلى القصر الجمهورى بالقبة وإلى العيادة الخاصة فى القصر، حيث تقرر أن يغسل الجثمان الطاهر و يُصلّى عليه فى مسجد القصر الصغير، ثم يبقى فى نعشه حتى موعد تشييع الجنازة، بعد اتخاذ الإجراءات الطبية اللازمة لحفظه حتى ذلك الوقت.

و بدأ أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء يتدفقون على القصر، و بعضهم لا يعرف لماذا دُعى، و ينهار مرة واحدة عندما يسمع النبأ الرهيب، وكان هناك جمع من الوزراء فى ز يارة خاصة للجبهة، ونقلتهم طائرة خاصة بسرعة، وهم بعدُ بملابس الميدان لحضور الاجتماع.

وتحدث السيد أنور السادات، فقال: إنه كان يتمنى أن لا يعيش هذا اليوم، وأن ينعاه جمال عبد الناصر ولا يقوم هو بنعى عبد الناصر.

وأجهش الدكتور عز يز صدقى بالبكاء، ونهض سيد مرعى من مائدة الاجتماع يترك القاعة، ير يد أن تنفجر دموعه خارجها، وكان الدكتور محمود فوزى يبكى فى سكون حز ين.

ودُعى الأطباء إلى تقديم تقر يرهم، ثم تم الا تفاق على أن يتوجه السيد أنور السادات نائب رئيس الجمهور ية ليذيع بنفسه بياناً عن الفاجعة، وكانت الإذاعة والتليفز يون قد قطعا البرامج العادية، اكتفاء بتلاوة القرآن الكريم، وكانت تلك أول إشارة إلى العالم بأن هناك شيئاً مروعاً قد حدث.

ولم تكن هذه هى النوبة القلبية الأولى التى أصابت الرئيس جمال عبد الناصر، فلقد تعرض فى سبتمبر من العام الماضى لنوبة قلبية، واتفق يومها، حرصاً على أشياء كثيرة، أن يعلن عنها، باعتبارها نوبة أنفلونزا، وقضى الرئيس وقتها فى الفراش ستة أسابيع، وكانت نصيحة الأطباء له أن لا يجهد نفسه، وأن يراعى ظروفه الصحية، ولكن الرئيس، بعد قيامه من الفراش، وجد نفسه مشدوداً إلى دوامة العمل، بحكم الظروف السياسية والعسكر ية، التى تحيط بالوطن.

وعندما كان الرئيس جمال عبد الناصر فى ز يارته الأخيرة للاتحاد السوفيتى، عاده طبيب القلب المشهور، الدكتور شازوف، و يومها قال له الدكتور شازوف: إنه يتابع من بعيد برامج عمله، و يعرف أنه كان أخيراً فى ليبيا، وفى السودان، وأنه

يعمل أكثر من أربع عشرة ساعة فى اليوم ، وأن هذا خطر عليه ، وأنه يحذر من استمرار هذا الوضع .

وقبل الرئيس جمال عبد الناصر وقتها ، بعد إلحاح طويل عليه ، أن يدخل مصحة بربيخا لأسبوعين من العلاج المنظم ، على أن يلتزم بمواعيد محددة للعمل بعد ذلك ، ولكن الرئيس عاد إلى القاهرة لاجتماعات متصلة ، ولعمل لا ينقطع .

وأخيراً وبعد إلحاح شديد عليه ورجاء كل الذين كانوا يعرفون الحقيقة قبل الرئيس جمال عبد الناصر أن يذهب فى إجازة إلى مرسى مطروح ولكن فى يوم وصوله إليها انفجرت أزمة الأردن والمقاومة الفلسطينية وطار الرئيس معمر القذافى إلى مرسى مطروح لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر ثم تطورت الأمور بما اضطر الرئيس فى اليوم التالى إلى قطع إجازته والعودة إلى القاهرة بعد أن نشأت فكرة اجتماع الملوك والرؤساء العرب فى القاهرة .

وكان الشغل الكبير فى هذا المؤتمر الحافل بعوامل التوتر كله على كاهل الرئيس جمال عبد الناصر وكان حزنه شديداً طول الوقت على نزيف الدم المستمر فى الأردن .

وحين لفت بعض الأصدقاء نظره إلى الجهد العنيف الذى بذله قال بالحرف :

ـــ إن هناك رجالاً ونساء وأطفالاً يموتون .. نحن فى سباق مع الموت !

ولم يلتفت أحد إلى أن هناك إشارة أقدار فى هذه العبارة .

ولمدة تسعة أيام كان عبد الناصر يوجه جهده وفكره وأعصابه فى جو مشحون إلى هدف واحد هو « وقف النزيف فى الأردن » و« إتاحة الفرصة للمقاومة الفلسطينية » حتى تم توقيع اتفاق القاهرة .

وغادر الرئيس جمال عبد الناصر فندق هيلتون فى الساعة العاشرة من مساء أمس الأول بعد توقيع الاتفاق وهو يشعر بإرهاق شديد .

وقام بتوديع الرئيس معمر القذافى وظل معه الليلة حتى الفجر يتابع عمل اللجنة التى كانت قد سافرت إلى الأردن برئاسة البهى الأدغم ، وفى توفير كل ضمانات

العمل لها ابتداء من وضع اعتمادات مالية تحت أوامر اللجنة إلى الأمر بتوفير معدات الاتصال اللاسلكي لها مع القاهرة .

وفى الصباح الباكر كان عليه أن يودع عدداً من الملوك والرؤساء الذين سيغادرون القاهرة .

وفى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً اتصل الرئيس تليفونياً مع محمد حسنين هيكل يسأله عن آخر التطورات بعد اجتماع كان هيكل قد عقده مع ياسر عرفات وبقية زعماء المقاومة الفلسطينية .

وقال له الرئيس جمال عبد الناصر فى نهاية الحديث :
ــ إننى أشعر بتعب شديد ، ولا أحس أننى قادر على الوقوف على قدمى .

وقال له محمد حسنين هيكل :
ــ إن الوقت قد حان لإجازة .

وضحك الرئيس وقال :
ــ سوف أضع قدمى فى ماء ساخن به ملح ، وسوف أشعر براحة بعدها .

وقال له هيكل :
ــ إن الجهد كان كبيراً ، ومازال الرئيس فى حاجة إلى إجازة .

ثم اقترح عليه أن يقضى بضعة أيام فى الإسكندرية .

وقال الرئيس :
ــ بعد قليل سأذهب لوداع أمير الكويت وأعود بعدها لأنام .

واستطرد :
ــ أريد أن أنام نوماً طويلاً ... لن أستطيع أن أستريح فى الإسكندرية ... أريد يوماً أو يومين من النوم هنا ، وبعدها نفكر فى الذهاب إلى الإسكندرية .

واستراح الرئيس بعض الوقت فى بيته ، ثم غادره فى الساعة الثانية والنصف إلى مطار القاهرة ، وشعر بما شعر به هناك ، وعندما عاد لم ينس أن يسأل السيدة قرينته ، وهو يدخل متعباً إلى غرفة النوم :
ــ هل تغديت ؟

وقالت السيدة الجليلة :
ــ كنت فى انتظارك ..

وقال لها وهويدخل الغرفة :
ــ لا أشعر أننى أستطيع أن أضع فى فمى شيئاً .

وتبعته إلى غرفته ووقفت معه وهو يخلع ملابسه و يستلقى على الفراش ، ثم يدق الجرس و يطلب الدكتور الصاوى طبيبه المقيم .

وخرجت هى من الغرفة ، وكان قضاء الله وقدره يدخل إليها فى هذه اللحظات الحزينة .. »

[أهرام ١٩٧٠/٩/٢٩]

■ □ ■ □ ■ □ ■

وقبل أن نغلق صفحات الرواية الأولى عن موت عبد الناصر فإنى أطلب من القارئ الفطن أن يضع خطاً على عدد من الوقائع وردت فى سياق الرواية .. وسوف نعود إلى هذه الوقائع ونراها من جديد ونقلبها إثر كل رواية تجئ بعد هذا التاريخ .

الوقائع هـــى :

١ـ أن الرئيس جمال عبد الناصر أحس بأعراض النوبة القلبية وهو فى المطار: ألم فى الصدر، العرق يتصبب منه بغزارة .

٢ـ وأنه طلب أن تجئ إليه السيارة لأنه شعر بتعب مفاجئ .

٣ـ عندما حملته السيارة إلى بيته بمنشية البكرى اتجه إلى حجرة نومه ولحق به طبيبه المقيم د . الصاوى حبيب ، والساعة الرابعة إلاّ ثلثاً (٣,٤٠) ووجد الصاوى أن الأمر خطير فطلب استدعاء د . منصور فايز، كما طلب د . زكى الرملى و د . طه عبد العزيز ثم لحق بهم د . رفاعى كامل .

٤ـ بدأت الإسعافات السريعة بأجهزة الأوكسجين وأجهزة الصدمة الكهربائية وغيرها من أنواع العلاج ، لكن الحالة كانت تتدهور باستمرار وكان إلى جانب الفراش : الفريق فوزى ، شعراوى جمعة ، سامى شرف ،

محمد أحمد ، هيكل .. ثم انضم إليهم حسين الشافعى وعلى صبرى وأخيراً جاء أنور السادات .

٥- أن الأطباء كانوا عاكفين على كل محاولة فى طاقة الطب .

٦- بدأ د . الصاوى حبيب يقوم بعملية تدليك للقلب ثم راح يضغط على الصدر عشرات المرات !!

٧- وفى الساعة السادسة و١٥ دقيقة بدا أن الأمل ضاع ، وفى الساعة السابعة بدأ الطب والعلم يدرك أنه لا فائدة أمام قضاء الله .

هذه هى الملاحظات السبع على الرواية الأولى لمحمد حسنين هيكل عن وفاة جمال عبد الناصر .

والآن إلى الرواية الثانية وتاريخها يرجع إلى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٧٠ .

ماذا تقول هذه الرواية .. ؟

■ □ ■ □ ■ □ ■

٣

فى السادس عشر من أكتوبر سنة ١٩٧٠ قدم هيكل روايته الثانية عن وفاة الرئيس جمال عبد الناصر تحت عنوان : « بصراحة : ٢٨ سبتمبر .. الأربع والعشرون ساعة الأخيرة » و بالمصادفة البحتة أنه كان قد جرى فى اليوم السابق الاستفتاء على أنور السادات رئيساً للجمهورية ، و بالتالى فقد صدرت صحف ذلك اليوم (أى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٧٠) بالمانشتات بالصفحات الأولى عن الاستفتاء وكان مانشيت الأهرام : الملايين أمام صناديق الاستفتاء أمس بإصرار قاطع على تحمل المسئولية ، نسبة الاستفتاء كانت قاطعة باهتمام جماهير الشعب وتصميمها على توجيه الأمور ، الاتجاه الغلاب فى نتائج الاستفتاء هو: نعم .. (!)

و بالطبع كانت صورة السادات وهو يدلى بصوته فى قرية ميت أبو الكوم منوفية على الصفحة الأولى .

فى هذا الوقت استرجع هيكل وفاة عبد الناصر .. ومن هنا كانت الرواية الثانية .. فماذا قال فيها ؟

الرواية الثانية

« وصلتُ إلى مكتبي بالأهرام فى الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم (الاثنين ٢٨ سبتمبر) وحين دخلت ، كان أول ما قيل لى :

« إن الرئيس اتصل بنفسه وسأل عنك ... ولما عرف أنك لم تحضر بعد ، قال : إنه لا داعى لأن تطلبه ، لأنه خارج إلى المطار الآن ، وسوف يتصل بك هو عند الظهر» .

ولم أذهب إلى وزارة الإرشاد كما أفعل عادة فى الحادية عشرة صباحاً ، وإنما بقيت فى الأهرام قريباً من التليفون الذى يطلبنى عليه عادة .

□

كان تليفونه قبل الثامنة والنصف أول اتصال أجراه ذلك اليوم .

ثم قام ــ كما علمت فيما بعد ــ إلى حمام الصباح ، ثم جلس إلى إفطاره وأكل تفاحة واحدة **من صندوق تفاح جاء به الوفد اللبنانى إلى مؤتمر القاهرة ثم فنجان قهوة مع السيدة الجليلة قرينته .**

وقالت له هى قبل أن ينزل إلى أول وداع رسمى ذلك اليوم فى مطار القاهرة :
ــ إن « الأولاد » سيكونون جميعاً على الغداء اليوم .

وسألها عن أحفاده قائلاً :
ــ و« هالة » و« جمال » ..

وقالت هى إن « جمال » هنا منذ الصباح الباكر... جاءت به « منى » ، وهى فى طريقها إلى عملها ، وتركته فى البيت لكى يراه جده فى الصباح كما طلب قبل أن ينام... وأما « هالة » فهى فى الطريق الآن ..

وقال لها إنه سوف يراهم جميعاً على الغداء .

وخرج من البيت قبل الساعة التاسعة بدقيقتين .

□

وفى الساعة الواحدة دق جرس التليفون فى مكتبى ... وجاءنى صوته ، وأحسست به متعباً ، متعباً إلى أقصى حد .

وأعدت عليه حديث الإجازة ، وقال إنه سوف يستريح بعد وداع أمير الكويت ...

وسألته عما يشعر به ، قال :

ــ أجد نفسى غير قادر على الوقوف .

وسألته :

ــ هل رأيت الطبيب :

وقال :

ــ كان عندى الدكتور الصاوى ، وأجرى رسماً جديداً للقلب ... وقال لى : إن كل شىء كما هو.

وقلت :

ــ وآلام الساق ... أما من دواء لها ؟

وقال :

ــ سوف أضع قدمى فى ماء دافئ به ملح ، وأظن أن الألم سوف يتحسن ... هو طول الوقوف فيما أعتقد !

وعدت ألح فى حديث الإجازة ، وأقترح أن يذهب إلى الإسكندرية .

وقال :

ــ لا أستطيع الذهاب متعباً بهذا الشكل ... سوف أنام هنا يوماً كاملاً ... وبعدها أفكر فى الذهاب إلى الإسكندرية .

ثم تطرق الحديث إلى السياسة كالعادة ، وسألنى عن رد الفعل فى إسرائيل لا تفاق حكومة الأردن مع المقاومة .

وأجبته بملخص البرقيات التى وردت ذلك الصباح .

ثم قال :

ــ هل تعرف أن بيرجيس ــ يقصد دونالد بيرجيس القائم على شئون الرعايا الأمريكيين فى القاهرة ــ سوف يسافر إلى إيطاليا ، وهناك سوف يجتمع بنيكسون ...

إنه اتصل بالخارجية أمس ، وسأل إذا كان هناك ما يستطيع أن ينقله إلى نيكسون ...

أريدك أن تطلبه الآن ، وأن تبلغه رسالة منى إلى نيكسون .

اطلب منه أن ينقل له أننى مازلت أسعى إلى حل على أساس قرار مجلس الأمن ... إن موقفى لم يتغير .

إن الضجة التى يثيرونها عن الصواريخ زادت عن حدودها ، وهى بلا منطق .

إذا كانت إسرائيل تنوى الانسحاب من كل الأراضى المحتلة ، فما هو خوفها من الصواريخ ، على فرض أننا قمنا بتركيبها ؟

وإذا كانت إسرائيل لا تنوى الانسحاب ... إذن فإن الواجب يقتضينا ــ إذا لم نكن قد ركبنا الصواريخ ــ أن نبادر فعلاً إلى تركيبها ؟

قلت له : إننى سأطلب بيرجيس .

قال : اطلبه الآن .

ورفعت سماعة التليفون الآخر وطلبت إلى مكتبى إيصالى بدونالد بيرجيس ، وقلت له :

ــ إن لدى رسالة كُلفت بإبلاغها إليك لكى تنقلها إلى نيكسون .

وقال بيرجيس :

ــ متى تريدنى أن أجىء ؟

قلت له :

ــ الساعة السابعة مساء .

وأقفلت التليفون معه ، والرئيس على الخط الآخر يواصل الحديث ، ولا يخطر ببالى أننى سأؤجل موعدى مع « بيرجيس » ، لأن عبد الناصر سوف يكون قد رحل قبل الموعد المحدد .

ثم تشاء المقادير أن أسلم الرسالة إلى ريتشارد سون الذى رأس وفد العزاء فى عبد الناصر ، وكان قد جاء ليتحدث معى ، وقلت له :

ــ « ليس لدىَّ ما أقوله لك غير رسالة كلفنى هو بإبلاغها إلى بيرجيس لينقلها لنيكسون ، وهذه الرسالة الآن لك ! »

واستطرد الرئيس يقول :

ــ لا أظنهم سوف يفهمون شيئاً ، ومع ذلك فلابد أن يكون موقفنا واضحاً ، ولو أمام أنفسنا ، وليتصرفوا هم كما يشاءون .

ثم مضى الرئيس يقول :

ــ قد لا أتصل بك فى المساء لأننى سوف أنام .

ووجدتنى أقول له بطريقة تلقائية :

ــ تصبح على خير .

وقال ضاحكاً :

« ليس بعد ... نحن مازلنا الآن فى عز النهار ! »

وكانت تلك آخر مرة أسمع فيها صوته .

□

واستراح قليلاً فى غرفته ، ثم قام يرتدى ملابسه ، مستعداً للتوجه إلى المطار لمراسم الوداع الأخير مع أمير الكويت .

واتصل بالسيد سامى شرف يسأله عما إذا كان هناك جديد ؟

وقال له سامى شرف إنه ليس هناك جديد ، ولكنه يلح على الرئيس فى ضرورة أن يريح نفسه ، لأن الجهد الذى يبذله عنيف .

وقال الرئيس :
« سوف أنام بعد أن أعود ... سوف أنام نوماً طويلاً » .

ثم استطرد :
ــ « وفى الغد نتكلم عن الإجازة » .

وخرج من غرفته متوجهاً إلى السلم ، وتردد لحظة أمام المصعد ، ثم ضغط على الزر يطلبه ، وكانت أول مرة منذ تركيب المصعد فى بيته يستعمله فيها للنزول ... كان دائماً يستعمله فى الصعود ... وعند النزول كان يفضل السلم .

□

وفى وداع أمير الكويت ، أحس فى الدقائق الأخيرة ، أنه متعب بأكثر مما يحتمل ، لكنه تماسك بجهد لا يصدق .

وقبل أمير الكويت وهو يتصبب عرقاً ... والدوار يعتريه .

وصعد أمير الكويت إلى طائرته ، والتفت الرئيس يطلب سيارته ... وكان ذلك على غير المعتاد ، فقد كانت العادة أن يذهب هو ماشياً إلى حيث تقف سيارته ، وأن يحيّى جماهير المودعين .

وجاءت السيارة ودخل إليها وهو يقول للسيد محمد أحمد :
ــ اطلب الدكتور الصاوى يقابلنى الآن فى البيت .

واستقل المصعد من الدور الأول إلى الدور الثانى ... وكانت الأسرة كلها فى انتظاره .

وأحسوا جميعاً أنه متعب ، ولكنه وقف وسطهم دقيقة يتحدث فيها مع حفيديه « هالة » و« جمال » ، ثم يتوجه بعد ذلك إلى غرفة نومه ، وتلحق به السيدة الجليلة قرينته ، تسأله متى يريد الغداء ، ويقول لها وهو يخلع ملابسه :
« لا أستطيع أن أضع شيئاً فى فمى » .

ويرتدى بيجامة بيضاء مخططة بخطوط زرقاء ويدخل إلى سريره .

ويجىء الدكتور الصاوى ، وتستأذن السيدة الجليلة قرينته فى الخروج ، لأنها ــ كما عودها دائماً ــ لا تقف فى الحجرة وهناك فيها غيره ، حتى ولو كان الطبيب .

لكن قلبها لا يطاوعها على الخروج بغير سؤال لمحه الرئيس فى عينيها قبل أن تنطق به .

وقال لها مطمئناً :

ــ لا تخافى ، أظنه نقصاً فى السكر...

وقالت بسرعة :

ــ هل أجيئك بشيء ... ؟

وقال الدكتور الصاوى :

ــ أى عصير...

وذهبت هى تعصر كوب ليمون وكوب برتقال ...

بينما الدكتور الصاوى يشعر من أول لحظة أن هناك طارئاً خطيراً ... ويخرج من الغرفة ليتصل بالسيد محمد أحمد على التليفون ، و يطلب منه استدعاء الدكتور منصور فايز ، والدكتور زكى الرملى .

و يعود إلى الغرفة ، والسيدة الجليلة قرينة الرئيس تدخل إليها حاملة كوب عصير برتقال وكوب عصير ليمون .

ويختار الرئيس كوب البرتقال و يشربه ... وتخرج هى من الغرفة ، و يبدأ الدكتور الصاوى محاولاته لوقف الطارئ الخطر .

كان تشخيصه على الفور أن هناك جلطة فى الشريان الأمامى للقلب ... ولما كانت الجلطة السابقة فى سبتمبر من العام الماضى قد أثرت فى الشريان الخلفى ... إذن فإن الموقف دقيق وحرج .

□

و يصل الدكتور منصور فايز ، وعند وصوله ، تحس السيدة الجليلة قرينة الرئيس أن هناك شيئاً غير عادى .

كانت طول الوقت واقفة تنتظر فى قاعة الجلوس التى تجتمع فيها الأسرة ، وهى على مدخل البهو المؤدى إلى غرفة مكتب الرئيس ، ثم غرفة نومه فى الدور الثانى من البيت .

وحين وجدت الدكتور منصور فايز أمامها ، اقتربت منه والقلق يشد ملامحها ، لتقول له :

« لا تؤاخذني يا دكتور ... لا أقصد إساءة ... ولكن مجيئك يقلقني ... أنت تجيء عندما يكون هناك شيء غير عادي » .

وقال لها الدكتور منصور فايز :

« أرجوك أن تطمئني ... كل شيء بخير إن شاء الله » .

ودخل ... وبعد قليل لحق به الدكتور زكي الرملي .

كان التشخيص واحداً ... وكانت الإسعافات التي بدأها الدكتور الصاوي قبل مجيئهما مستمرة ، وكان الرئيس متنبهاً إلى كل ما يجري .

وحوالي الساعة الخامسة ، بدا أن الأمل يقوى .

كان النبض قد بدأ ينتظم ، وضربات القلب تعود إلى قرب ما هو طبيعي .

واستراح الأطباء ، والتقطوا أنفاسهم وهم بجواره ، وهو يراقبهم بابتسامة هادئة على شفتيه .

ثم بدأ يتحدث معهم .

كانت الساعة الخامسة إلا خمس دقائق بالضبط .

وقال له الدكتور منصور فايز :

« إن الرئيس في حاجة إلى إجازة طويلة » .

وقال الرئيس :

« كنت أريد أن أذهب إلى الجبهة قبل الإجازة ... هل أستطيع أن أذهب وأرى « أولادنا » هناك قبل أي إجازة » .

وقال الدكتور منصور فايز :

« إن ذلك سوف يكون صعباً .. ويجب ألا تسبق الإجازة أي نشاط آخر » .

وقال الرئيس :

« إن كل الوزراء اليوم في الجبهة ... لقد طلبت أن يذهبوا إلى هناك ، وأن

يعيشوا يومين مع الضباط والجنود ... يجب أن يعرفوا ، و يعرف كل مسئول حقيقة ما يقوم به الجيش فى الجبهة » .

وهَــمَّ الرئيس فى فراشه ومد يده إلى جهاز راديو بجانبه وفتحه ، يريد أن يسمع نشرة أخبار الساعة الخامسة من إذاعة القاهرة .

و بينما اللحن المميز لنشرة الأخبار من إذاعة القاهرة ينساب فى الغرفة ، و يبدد بعض الشىء جوها المشحون بالطارئ الخطر أحس الدكتور منصور فايز أنه يريد أن يدخن سيجارة ، وتصور أن خروجه من الغرفة ليدخن سيجارته قد يكون فرصة يطمئن فيها السيدة الجليلة قرينة الرئيس على صحته .

وخرج فعلاً إلى غرفة المكتب ثم إلى البهو المؤدى إلى غرفة الجلوس و وجدها أمامه و يداها تعصران وجهها من القلق ومشقة الانتظار .

وقال لها باسماً :

« إنه بخير والحمد لله » .

وسألته بلهفة :

ــ صحيــح ؟؟

وقال لها :

« إننى كطبيب ، أسمح لك بأن تذهبى وتريه بنفسك » .

وقالت له :

« أخشى إذا دخلت أن يشعر بقلقى و يتضايق ... إنه لم يتعود أن أدخل وهناك أطباء ، وإذا دخلت فقد يتصور أن هناك شيئاً غير عادى » .

□

فى غرفة النوم ، كان المشهد يتغير بسرعة لم تكن متوقعة ..
استمع الرئيس إلى مقدمة نشرة الأخبار ثم قال :
« لم أجد فيها الخبر الذى كنت أتوقع أن أسمعه ... »

[ولم يقل شيئاً عن الخبر الذى كان ينتظر سماعه] .

وتقدم منه الدكتور الصاوى وقال :

ــ ألا تستريح سيادتك ... إنك فتحت جهاز الراديو ثم قفلته ولا داعى لأى مجهود الآن ؟

وعاد الرئيس يتمدد تماماً على فراشه ، و يقول بالحرف :

ــ « لا يا صاوى .. الحمد لله ... دلوقت أنا استريحت » .

ولم يفرغ الدكتور الصاوى من عبارة يقول فيها :

« الحمد لله يا فندم ... »

لم يفرغ ، ونظره مركز على الرئيس ، حتى وجده يغمض عينيه ثم وجد يده تنزل من فوق صدره ، حيث كان وضعها ، وتستقر بجواره .

بعدها لم يشعر عبد الناصر بشىء ...

لم يقل كلمة .

وكانت ملامح وجهه تعكس نوعاً غريباً من الراحة المضيئة .

وجرى الدكتور الصاوى هالعاً ، ينادى الدكتور منصور فايز ، ووقف كل الأطباء حول الفراش ، و بيدهم وعقولهم كل ما يستطيعه العلم .

□

ووصلتُ إلى البيت ، وصعدت السلم قفزاً ، وكانت السيدة الجليلة قرينة الرئيس أول من لقيت ، وكانت إحدى يديها تضغط على خدها ، واليد الأخرى تمسك برأسها ، وليس على لسانها ، وقد ملكها الخوف والخطر ، إلا نداء واحد :

« جمال ... جمال ... »

وكانت تكتم نداءها ، حتى لا ينفذ إلى حيث يرقد هو.

وعبرتُ غرفة مكتبه بسرعة إلى غرفة نومه ، وإلى فراشه ، وكان الأطباء مازالوا من حوله ، وكان ممدداً على الفراش وسطهم ... بالبيجامة البيضاء وخطوطها الزرقاء .

وفوجئت بما رأيت .

عندما دُعيت إلى البيت لم يخطر ببالى ما قدر لى أن أراه .

أقصى ما خطر ببالى عندما دعيت إلى بيته « لأنه متعب » ، هو أن شيئاً مما ألم به فى العام الماضى قد عاوده .

لكننى لم أكن مهيأ لما رأيت .

ولأول نظرة على الفراش ، فإننى أحسست بما لا أستطيع اليوم ، ولا غداً ، أن أصفه من مشاعرى .

كان هناك على الفراش هدوء غريب .

صمت كامل . . .

كان هناك شيء واحد يلمع بشدة ، وهو دبلة الزواج فى يده ، ينعكس عليها ضوء النور المدلى من السقف .

ولم أحاول أن أقترب من أى واحد من الأطباء ، فلم يكن من حق أحد أن يشغلهم .

والتفتُّ حولى إلى بقية من فى الغرفة : شعراوى جمعة ، وسامى شرف ، ومحمد أحمد .

وكانوا جميعاً مثلى معلقين بين السماء والأرض .

ووجدتنى أدور فى الغرفة وأبتهل . . .

أردد والدموع تنزل صامتة : يارب . . . يارب .

ثم أرقب محاولات الطب الأخيرة ، وأناديه فى علاه : يارب غير ممكن . . . يارب غير معقول » .

وتستمر محاولات التدليك الصناعى للقلب .

وتتكرر تجربة الصدمة الكهربائية ، والجسد الطاهر المسجى يختلج ، ولكن الهدوء يعود بعد كل اختلاجه . . . بلا حس ولا نبض .

وأحسست أن الأطباء قد فقدوا الأمل . . . وأنهم لا يحاولون بالعلم . . . ولكن يحاولون ضد العلم .

وجاء على صبرى ووقف مبهوتاً أمام ما يجرى .

وجاء أنور السادات ووقف أمام الفراش رافعاً وجهه إلى السماء يتمتم بآيات من القرآن .

ودخل الفريق أول محمد فوزى والذهول يملأ وجهه ، فى نفس اللحظة التى قال فيها أحد الأطباء :

« إن كل شىء قد انتهى ... » .

وقال الفريق أول فوزى بحدة ملتاعة :

ــ « لا ... لا يمكن ... واصلوا عملكم . »

وانفجر الدكتور منصور فايز باكياً ... وانفجر معه كل الأطباء باكين .

وانهمرت الدموع ... طوفان من الدموع .

. . . .

. . . .

ودخلت السيدة الجليلة قرينته إلى الغرفة المشحونة بالجلال والحزن .

. . . لا يمكن لأحد أن يصف أحزانها المتوهجة كالجمر المشتعل ...

أمسكت يده تقبلها وتناديه .

وسمعت أحد الباكين يقول :

ــ الرئيس ... الرئيس ...

والتفتت تقول :

« لا تقولوا الرئيس ... قولوا إنه جمال عبد الناصر وكفى ... سيبقى بالنسبة لى وللناس كلهم جمال عبد الناصر» .

ثم انحنت عليه تقبل يده مرة أخرى وهى تقول :

« لم يكن لى فى الدنيا سواه ... ولا أريد فى الدنيا غيره ... ولا أطلب شيئاً إلا أن أذهب إلى جواره حيث يكون » .

ثم التفتت إلىّ السيدة الجليلة فى حزنها الذى يفتت الصخر، تسألنى :

« قل لى أنت ... رد علىّ ... ألن أسمع صوته بعد الآن ؟ » .

وأقبل أحد الأطباء يغطى وجهه .
ونظرت إليه متوسلة بالدموع والنشيج :
« اتركوه لى ... أنظر إليه ... أملأ عينىَّ به » .

واستدار كل من فى الغرفة خارجين ... تاركين لها اللحظة الأخيرة ، وحدها معه ...

وعندما جاءت السيارة التى تنقل جثمانه الطاهر إلى قصر القبة ، كانت فى وداعه حتى الباب ، وكانت كلمتها المشوبة باللهب الحزين والسيارة تمضى به :
« حتى بعد أن مات ... أخذوه منى ... لم يتركوه لى » .
وانطلقت به السيارة فى جوف الليل الحزين .

□

وسرى النبأ كعاصفة برق ورعد ... وزلزال يهز البحر الأبيض ــ قلب الدنيا و بؤرة التاريخ ــ من أعماق الأعماق إلى ذرى الأمواج العالية ..

● وفى شرق البحر الأبيض ــ فى عمان ــ تسمرت الدبابات فى أماكنها ، وخرج رجال المقاومة من خنادقهم يصرخون و ينادون عليه .

وأجهش حافظ أسد وزير الدفاع السورى بالبكاء وهو يقول :
ــ « كنا نتصرف كالأطفال ، وكنا نخطىء ... وكنا نعرف أنه هناك يصحح ما نفعل و يرد عنا آثاره . »

● وفى شرق البحر الأبيض ــ فى تل أبيب ــ كان النبأ أخطر من أن يصدق للوهلة الأولى ، وقالت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل :
ــ « من الذى أطلق هذه النكتة السخيفة ؟ »

ثم تأكد النبأ ، وخرجت جولدا مائير تشارك شعب إسرائيل فرحته بالخلاص من أعدى أعداء إسرائيل .

وأصدر ديان أمره إلى القوات المعدة للتدخل الإسرائيلى ــ الأمريكى أن تتفرق . . .

● وفى شمال البحر الأبيض ، كان الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون قد صعد لتوه إلى ظهر حاملة الطائرات ساراتوجا . . . ثم توجه إلى كابينة القيادة التى سيحل بها أثناء مناورات الأسطول الأمريكى السادس ، التى كان الهدف منها أن يسمع جمال عبد الناصر فى القاهرة ، صوت مدافعه .

ودخل عليه مساعده هالدمان بالنبأ . .

وذهل نيكسون . . .

ثم كان قوله بعد قليل :

ــ « لا داعى الآن لهذه المناورة كلها » .

وصمتت قعقعة السلاح على قطع الأسطول الأمريكى السادس ، وطأطأت المدافع رؤوسها للحدث الخطير الذى يتعدى بآثاره كل الحدود .

. . . .

وران على البحر الأبيض ــ قلب الدنيا وبؤرة التاريخ ــ سكون كسيف ، وهدأت العواصف وارتمت الأمواج على الشواطىء وقد استنفدت كل قواها .

وكان جمال عبد الناصر فى حياته أكبر من الحياة .

وكان جمال عبد الناصر بعد رحيله أكبر من الموت !

■ □ ■ □ ■ □ ■

ومرة ثانية أرجو القارئ أن يكون يقظاً معى ليضع يده على نقط الاختلاف بين الروايتين ، الأولى المنشورة فى ٢٩ / ٩ / ١٩٧٠ والرواية الثانية المنشورة فى ١٦ / ١٠ / ١٩٧٠ .

١ - ففى الرواية الأولى يحس الرئيس بأعراض النوبة القلبية وحددها بأنها : ألم فى الصدر والعرق يتصبب بغزارة .. ، وفى الرواية الثانية أن الرئيس أحس فى الدقائق الأخيرة من وداع أمير الكويت بأنه متعب أكثر مما يحتمل وقبّل أمير الكويت وهو يتصبب عرقاً والدوار يعتريه .

* فالدوار فى الرواية الثانية شىء جديد .

٢ - دار حوار فى الرواية الثانية بين الرئيس وحرمه والدكتور الصاوى حبيب ، وقال الرئيس إنه يشعر أنه بسبب نقص السكر ، وعرضت السيدة حرمه تقديم عصير ، فقال د . الصاوى بلهفة « أى عصير » وأنه فى النهاية اختار عصير البرتقال .. بينما لم يرد ذكر لهذا الحوار فى الرواية الأولى ..

٣ - تذكر الرواية الأولى أن الأطباء الذين حضروا ودخلوا غرفة عبد الناصر هم بترتيب وصولهم : الصاوى حبيب ، زكى الرملى ، منصور فايز ، طه عبد العزيز ، رفاعى كامل ..

بينما تسقط الرواية الثانية الدكتور طه عبد العزيز والدكتور رفاعى كامل .. ، والمعروف أن د . رفاعى كامل هو الذى طعن فى تشخيص الأزمة المرضية لعبد الناصر .. ود . طه عبد العزيز هو الطبيب الوحيد الذى لم يوقع على شهادة وفاة عبد الناصر أو على تقرير وفاته الذى أودع بمضابط اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء .. (!!)

٤ - فى الرواية الأولى أن حالة عبد الناصر كانت تتدهور باستمرار إثر عودته من المطار وأن د . الصاوى كان يقوم بتدليك القلب و يضغط على الصدر عشرات المرات ، بينما تقول الرواية الثانية أنه فى حوالى الخامسة بدأ الأمل يقوى والنبض ينتظم وضربات القلب تعود إلى قرب ما هو طبيعى ..

* كيف يمكن التوفيق بين هذا التناقض الصارخ ؟!

٥ - فى الرواية الثانية ترد لأول مرة قصة الراديو الذى فتحه الرئيس لسماع نشرة الأخبار ثم لم يجد الخبر الذى توقع أن يسمعه بينما لم يجئ ذكر شىء من ذلك فى الرواية الأولى !

٦ـ في الرواية الأولى : أن الأمل ضاع فى إنقاذه الساعة السادسة والربع ، بينما تقرر الرواية الثانية على أنه مات بعد سماع موجز نشرة الأخبار.. والفرق بين التوقيتين أكثر من ساعة !

٧ـ فى الرواية الأولى : أن السادات كان آخر من دخل حجرة الرئيس ناصر... وفى الرواية الثانية أن الفريق فوزى هو آخر من دخل غرفة عبد الناصر!

هذه الاختلافات السبعة بين الروايتين الأولى والثانية والتى لا يفصلها عن بعضها سوى ١٥ يوماً تثير لدى أكثر الناس إيماناً وثقة ... الشك والريبة .

وعلى كل حال فلنقرأ معاً نص الرواية الثالثة التى نشرها هيكل فى الكتاب الذى كتبه فؤاد مطر وأصدرته دار القضايا للنشر ببيروت فى يناير سنة ١٩٧٥ ..

ماذا تقول الرواية الثالثة وهل تختلف كثيراً عن الروايتين .. ؟

■ □ ■ □ ■ □ ■

٤

يقول هيكل فى روايته الثالثة عن وفاة عبد الناصر:

صباح يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٧٠ توجهت إلى مكتبى ، ونحو التاسعة صباحاً اتصل بى الرئيس عبد الناصر هاتفياً على مكتبى فى « الأهرام » يسأل عن ردود الفعل حيال اتفاق القاهرة ، وكان مهتماً جداً بمعرفة رد فعل إسرائيل . وكان محور المناقشة : ما الذى يمكن أن تفعله إسرائيل حيال هذا الاتفاق ؟!

وقبل أن يتصل بى كان عبد الناصر اتصل بالفريق صادق يسأل عن الموقف فى عمان وعمّا إذا كان القتال توقف بين المقاومة والجيش الأردنى (١) .

بعد ذلك توجه إلى المطار ليودع الملك فيصل و بعض الملوك والرؤساء الذين شاركوا فى مؤتمر القمة . ونحو الثانية عشرة والنصف اتصل بى ثانية هاتفياً وقال إنه

● محمد حسنين هيكل ●

(١) ذكر هيكل فى روايته الثانية (جريدة الأهرام ١٦/١٠/١٩٧٠) أن الرئيس عبد الناصر اتصل به قبل الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم ٢٨/٩/١٩٧٠ « وكان تليفونه قبل الثامنة والنصف أول اتصال أجراه ذلك اليوم .. » ومع ذلك فها هو يذكر فى روايته الثالثة (يناير ١٩٧٥) أنه اتصل بالفريق صادق قبل الاتصال به !

عائد من المطار فى غاية التعب ، وقال أيضاً عبارة تشاءمت منها وهى : « فاضل الوداع الأخير(٢) .. مع أمير الكويت » .

وقلت له : مادمت متعباً إلى هذا الحد فلماذا لا يقوم أحد بالنيابة عنك بتوديع أمير الكويت ؟

أجاب : صحيح أن ألم قدمى شديد لكننى سأضعهما فى الماء والملح وهى وصفة قديمة يلجأ إليها الفلاح المصرى فى مثل هذه الحالات .

ورداً على تحفظ منى تجاه هذه الوصفة أجابنى بما معناه أنه يعرف أننى « بتاع تكنولوجيا » وأنه متأكد من أن الوصفات البلدية تفيد .

وقال لى إنه سيتوجه إلى المطار ليودع أمير الكويت وعندما سيعود لن يتصل بى لأنه يريد أن ينام نوماً طويلاً ، وذكر لى أنه قال لطبيبه الدكتور أحمد ثروت أن يستعد لإعطائه حبة تمكنه من النوم الطويل (٣) !

---

(٢) لم يذكر هيكل فى روايته الثانية شيئاً عن فاصل الوداع الأخير ولا شيئاً عن أمير الكويت .. فالكلام عن الوداع الأخير جديد هذه المرة أيضاً ..

(٣) لم يكن د . أحمد ثروت هو الطبيب المقيم أو الطبيب الخاص لجمال عبد الناصر فى هذا الوقت . لأن د . ثروت كان قد أبعد لسببين ، **أولهما** : أنه كان ذا علاقة شديدة بالمشير عامر وأنه كان من المخابرات وملحقاً على قوتها وهو الذى أنشأ الأقسام الطبية فى كل من المخابرات ورئاسة الجمهورية .. **وثانيهما** : أن صحته فى الأيام الأخيرة لم تكن تساعده على القيام بأى عمل .. إلاّ أننا لا يجب أن نتجاهل أن د . ثروت كان من الشخصيات المحببة لجمال عبد الناصر وأنه كان يزوره و يدخل عليه باستمرار حتى بعد أن حل محله د . الصاوى حبيب .. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن صلاح الشاهد يذكر فى معرض حديثه أن د . ثروت كان يأتى إلى الرئاسة بحقيبة محشوة بالأدوية والعقاقير المنشطة والمهدئة وكأنما يحمل السحر .. وقد وقع بينه و بين صلاح الشاهد أزمة عندما كانا يرافقان الرئيس فى رحلة للخارج ، حيث حمل صلاح الشاهد حقيبة د . ثروت وألقى بها من النافذة لينقذ عبد الناصر من عقاقير ثروت ــ كما قال ــ وسواء كان هذا « نكتة » أو غيره فإنه يكشف عن نوع العلاقة التى كانت تربط د . ثروت بالرئاسة .

هذا ومما لا شك فيه أن هناك احتمالاً كبيراً لأن يكون ذكر اسم د . ثروت جاء فى سطور هيكل بطريق الخطأ وأنه كان يقصد د . الصاوى حبيب ، فإذا كان يعنى هيكل اسم د . ثروت حقاً فإننا لا نعرف نوع « الحبة » التى سيقدمها إلى عبد الناصر وهل قدمها أم لا .. ومتى ؟ وهل جاء إلى بيت الرئيس فى منشية البكرى بعد عودة الرئيس من المطار وتوديع أمير الكويت ، وهل قابل الرئيس وأعطاه الحبة المنومة ؟!

لقد أحصينا من قبل الأشخاص الغرباء الذين دخلوا بيت الرئيس على إثر عودته من المطار بعد توديع أمير الكويت وليس من بينهم د . أحمد ثروت .. ، فمن كان يقصد هيكل .. وما هى الشخصية بالتحديد الذى أعطى صاحبها للرئيس حبة منومة ؟

وقلت له : إذن ، نتكلم فى اليوم التالى ، أى يوم ٢٩ / ٩ / ١٩٧٠ وعندما تستيقظ من النوم أرجو أن تتصل بى لأننى لا أريد أن أقطع عليك نومك .

وتوجه إلى المطار ليودع أمير الكويت ، وكان قبل ذلك طلب من زوجته وأولاده انتظاره لتناول طعام الغداء معهم ذلك أنه طوال فترة انعقاد قمة « الهيلتون » لم يرهم لأنه كان مقيماً فى الفندق .

بعد ما عاد إلى منزله من توديع أمير الكويت توجه على الفور إلى غرفة نومه ، وكشف عليه طبيبه الذى كان قد لحق به ، وشعر أنه فى حاجة إلى أطباء آخرين فتم اتصال سريع بالأطباء ، فى هذا الوقت طلب من زوجته كوباً من عصير البرتقال ، تناول نصف الكوب ، وكان الأطباء وصلوا ..

وعندما سأله فؤاد مطر عن الخبر الذى كان يريد سماعه عندما فتح الراديو .. قال هيكل :

فى اعتقادى أن جمال عبد الناصر لم يكن أعطى خلال الفترة التى تبدأ من مغادرته المطار إلى بيته وتنتهى قبل ثوان من الساعة الخامسة ، أوامر ، أو أصدر قرارات تبديل أو تعيين ، وكان ينتظر سماعها من الإذاعة ، الذى حدث هو أن عبد الناصر قبل ثوان من انفجار الشريان الذى جاء بعد الذبحة القلبية الثانية وكان قاتلاً ، استدار وفتح الراديو الذى إلى جانب سريره وسمع دقات الساعة الخامسة ، ثم سمع موسيقى العلامة المميزة لنشرة الأخبار ثم الموجز. وكان صوته خافتاً عندما قال : مفيش حاجة .

وقال له طبيبه الدكتور منصور فايز : سيادة الرئيس ... مفيش داعى للمجهود .

وأجابه عبد الناصر : لا ، أنا كويس ــ الحمد لله ..

وألقى رأسه على المخدة ، وفى خلال ثوان أرخى يده ، كانت الساعة الخامسة والربع تماماً ، وحاول الأطباء الذين كانوا حوله إسعافه ، لكن حركة اليد كانت مؤشراً إلى أنه فارق الحياة ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

هذه هى رواية هيكل الثالثة عن وفاة عبد الناصر ورغم أنها موجزة جداً فإنها ــ أيضاً ــ تختلف عن الروايتين السابقتين فى أنه هنا ــ على الأقل ــ يؤكد أن جمال عبد الناصر عندما عاد من توديع أمير الكويت وكشف عليه طبيبه الخاص شعر أنه بحاجة إلى أطباء آخرين ... إلخ .. ثم يأتى التناقض أنه استدار وفتح الراديو الذى إلى جانب سريره .. ! كيف يمكن التوفيق بين الحالتين : حالة المصاب بالجلطة القلبية الذى لا يتحرك بل لا يمكنه أن يتحرك ... وبين القول بأنه تحرك واستدار وفتح الراديو .. ؟!

على كل حال لا نريد الاستطراد فى كشف مدى الاختلاف بين روايات هيكل .. لكن الذى يعنينا قبل أن نصل إلى الرواية الأخيرة عن الوفاة أن نسأل بلا أمل فى الإجابة : ماذا وراء هذه الروايات المختلفة والمتناقضة .. ؟!

■ □ ■ □ ■ □ ■

٥

يقدم هيكل فى روايته الرابعة عن وفاة عبد الناصر تفسيراً شبه واضح عن غموض الروايات السابقة ، من خلال أحاديث طويلة أجراها معه الكاتب الصحفى الأستاذ صلاح منتصر رئيس تحرير مجلة أكتوبر المصرية على مدى الأعداد ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ وآخرها صدر فى ١٩ يونيو سنة ١٩٨٨ واستغرق ملحقاً من تسع صفحات من المجلة .. ويهمنا بالطبع الجزء الخاص بوفاة عبد الناصر .. خاصة وأن قضية الشك فى أسباب وفاته كانت ــ وما زالت ــ مطروحة فى الصحافة المصرية والعربية على السواء ..

قال هيكل :

« لم يكن جمال عبد الناصر يعرف من ظروف مرضه أن حياته قصيرة ، كان يقول : إن حجم عمله ومسئولياته سوف يأخذ من عمره لكن هذا شىء وأنه كان يعرف من ظروف مرضه أن حياته قصيرة شىء آخر ..

« معرفة المرض تدفع الناس إلى الحرص على حياتهم ، وأنت أمام رجل ظل إلى آخر يوم يعمل ١٨ ساعة فى اليوم على الأقل ..

« هل هذا أسلوب رجل يعرف حقيقة مرضه وأن عمره قصير ؟ نفسية أى مريض تدفعه إلى الحرص على الحياة .. الحرص على الحياة أهم إحساس لدى أى مريض ..

« أنت أمام رجل يبذل مجهوداً خارقاً للعادة .. و يتحمل مسئوليات من غير حدود ، لو أنه كان يعرف لخفف من عمله ، من أعبائه ومسئولياته .. لاستراح ، يعطى نفسه يوماً واحداً زائداً فى الحياة ..

« أنت أمام رجل كان يعيش حياة الناس ، يشعر معهم ، مرة تغيرت وزارة لأن سعر الأرز ارتفع ٥ مليمات .. رجل لم يكن ينام أيام حرب الاستنزاف إلاّ بعد أن يطمئن إلى كل داور ية مقاتلة فى سيناء عادت بسلام ..

« الرجل عند ربه منذ ١٨ عاماً ولا يمكن أن يتهم أحد أن ينافقه .. العكس صحيح .. الهجوم عليه الآن له ثمن وله ثمن كبير ، وجوائز مغر ية .. ومع ذلك أرجوك — يوجه حديثه إلى الكاتب صلاح منتصر — أن تقبلها منى ، أنتم تظلمون الشعب المصرى قبل أن تظلموا رجلاً من أعظم الرجال فى تار يخ هذا الشعب ..

وقد سأله صلاح منتصر : نحن نسمع اليوم الكثير مما يقال ويحيط يوم الوفاة أو ظروفها بأسرار غامضة .. ؟ !

يجيب هيكـــل :

كان هناك مشرف على صحة عبد الناصر هو الدكتور منصور فايز وهو واحد من أكبر وأشهر وأهم الأطباء فى مصر .. هل سأله أحد عن مرض عبد الناصر ؟ الرجل كتب كتاباً عن تجر بته ، لا أحد فى مصر ير يد أن ينشره له حتى الآن على الأقل .. ولنفرض أن هناك شكوكاً حول وفاة عبد الناصر فهل هذه هى الطر يقة التى يعالج بها أمر مهم بهذه الدرجة .. وإذا كان عندى شىء فى هذا الموضوع ، أقول إذا كان فليس بهذا الأسلوب ولا فى هذا المناخ ولا مع هؤلاء الناس .. »

وفيما يتعلق بواقعة فتح الراديو ساعة نشرة الأخبار فقد رد عليها هيكل فى العدد رقم ٦٠٦ من أكتوبر ، وقال :

« بالنسبة لتلك لواقعة لم يكن هناك شىء فى خزانة عبد الناصر يتعلق بهذا الأمر — أى وجود قرار بتعيين عبد اللطيف البغدادى نائباً لرئيس الجمهور ية — ولم يكن هذا هو الخبر المنتظر سماعه يوم رحيل عبد الناصر ، حكاية أن عبد الناصر كان ينتظر سماع خبر مهم فى الراديو قبل وفاته وما يقولونه عن هذا

الخبر، فمن الغريب أن الذين يروون هذا الكلام ينسون أن واقعة الراديو أنا الذى كتبتها بالأهرام ، وأنا الذى كنت مصدرها لأننى حضرت هذا المشهد ، ولو أنه كان هناك خبر بهذا الحجم ينتظره جمال عبد الناصر فأنا الذى كان المسئول عن إذاعته باعتبارى كنت وزيراً للإعلام فى ذلك الوقت ..

« وللحقيقة فإن ما كان يريد عبد الناصر أن يسمعه فى ذلك اليوم وقد سألنى فيه قبلها صباحاً وظهراً هو ردود الفعل الخارجية فى العالم لمؤتمر القمة العربية بشأن المقاومة الفلسطينية فى عمان وهو المؤتمر الذى كان معقوداً فى القاهرة وكان حضور عبد الناصر ومتابعته له وتوديع الملوك والرؤساء الذين حضروه هو آخر نشاط قام به فى حياته ، أما أن يحوّل هذا إلى أسطورة وكل إنسان يقول إنه كان يريد أن يقول كذا وكذا يقصد أن يقول كذا وإنسان منعه .. فهذا نوع من التعسف .. الخ » ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

١ - الملاحظ أن هيكل فى هذه الرواية يسقط كل أسماء الأطباء الذين أحاطوا بالرئيس جمال عبد الناصر يوم وفاته ولا يستبقى منهم إلا واحداً هو: د . منصور فايز !

* لماذا أسقط هيكل الأطباء الآخرين .. ولماذا أبقى على د . منصور فايز .. هل كان د . منصور فايز ألصق وأقرب لعبد الناصر من د . الصاوى حبيب مثلاً .. ؟

٢ - لأول مرة يتكلم هيكل عن الشكوك التى تحيط بعلاج ووفاة عبد الناصر وهو هنا لا ينفيها إنما يقول إن هذه ليست الطريقة لمعالجة مثل هذه الشكوك (!!) .

٣ - بالنسبة لواقعة الراديو الذى فتحه عبد الناصر ليسمع خبراً لم يسمعه قبل وفاته يعترف هيكل بأمرين :

أ ــ بأنه مصدر هذه الواقعة .

ب ــ وأنه حضر هذا المشهد .

فهل حضر هيكل حقاً هذا المشهد ، أى هل رأى جمال عبد الناصر وهو يمد يده و يفتح الراديو و يسمع الموجز ثم يغلقه .. و بالتالى يصبح هيكل هو مصدر هذه الواقعة .. ؟!

لعل الصفحات القادمة تجيب على هذا السؤال وأسئلة أخرى ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

والآن إلى شهادات الذين كانوا حول جمال عبد الناصر فى اليوم الأخير..

وفى البداية نقرأ شهادة أول اسم على رأس الأطباء الذين وقعوا على شهادة الوفاة وهو: الفريق أول طبيب رفاعى كامل ..

شهادة الدكتور رفاعى كامل

س : لقد كنت أول الموقعين على شهادة وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان ترتيب توقيع الأطباء كما يلى : ١ - د . رفاعى محمد كامل (١) ، ٢ - د . منصور فايز ، ٣ - د . زكى الرملى ، ٤ - د . الصاوى حبيب ، ٥ - د . طه عبد العزيز .

حيث جاء فى إعلان الوفاة ما يلى :

« .. أثناء توديع سمو أمير الكويت فى المطار الساعة الثالثة والنصف من يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٧٠ شعر سيادة الرئيس بدوخة مفاجئة مع عرق شديد وشعر بالهبوط .

« وتوجه سيادته بعد ذلك فوراً إلى منزله فى منشية البكرى حيث حضر على الفور الأطباء ووجدوا عند سيادته أزمة قلبية شديدة نتيجة انسداد فى الشريان التاجى للقلب ..

---

(١) **الدكتور رفاعى كامل** ، أول الموقعين على شهادة وفاة عبد الناصر .. تمت هذه الشهادة وسُجلت على شريطين صباح الخامس من أكتوبر سنة ١٩٨٦ ببيت الدكتور رفاعى كامل . حضرت التسجيل السيدة زوجته ، وتخلل التسجيل بعض المقاطعات منها بالإضافة أو بالتأكيد .. كما وقعت بعض المقاطعات من الخادمة الفلبينية التى كانت تقدم بعض العصائر بين الحين والآخر — ثم أعيدت مراجعة الحديث سنة ١٩٨٨ .

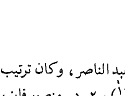

● د . رفاعى كامل ●

« وقد أجريت لسيادته جميع الإسعافات اللازمة بما فى ذلك استعمال أجهزة تنظيم ضربات القلب . لكن مشيئة الله قد نفذت ، وتوفى إلى رحمة الله فى الساعة السادسة والربع أثناء إجراء هذه الإسعافات .. » .

أجاب الفريق أول طبيب رفاعى محمد كامل :

جـ : كان فعلاً من الموقعين د . منصور فايز ، ود . الصاوى حبيب ، ود . طه عبد العزيز .. ومش فاكر د . أحمد ثروت كان موجود والاّ لأ ..

- لأ .. أحمد ثروت لم يكن اسمه موجوداً على إعلان الوفاة .. فهل كان موجوداً ؟

— لا .. ده ساب الرياسة من زمان ، لكن الريس كان بيتفاءل به .

- هل تذكر وقائع يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ يوم وفاة جمال عبد الناصر ؟

— نعم ، كان يوم اثنين ..

- كنت فين أول النهار ؟

— أنا كنت فى البيت وكنت متفق مع الفريق فوزى وزير الحربية أنه يفوت علىّ فى العيادة الساعة حداشر بالليل ونروح مستشفى المعادى للكشف على والدة وزير الحربية السودانى هناك وهى جات معاه بالطيارة .

- كان إيه حالتها .. ؟

— كانت مريضة بالقلب .. وكان الفريق فوزى متفق معاى إنه يمر علىّ بالعربية و يأخدنى المعادى لأكشف عليها .. وكانت رتبتى فى هذا الوقت « لواء » .. قد ترقست إلى هذه الرتبة سنة ١٩٥٩ ورقيت فريق سنة ١٩٧٠ وظللت فى هذه الرتبة إلى عام ١٩٧٤ .. لقد كنت مسئولاً عن الخدمات الطبية فى القوات المسلحة .. وبهذه الصفة كنت من قواد حرب ١٩٧٣ .. إن عمرى الآن ٧٢ عاماً وتسعة أشهر .

- إذن لقد كنت أكبر من عبد الناصر .. وتخرجت قبله .

— نعم ، أنا من مواليد عام ١٩١٤ .. وتخرجت من الكلية الحربية سنة ١٩٣٦ .

- بعدها بعام واحد دخل جمال عبد الناصر الكلية الحربية أى فى عام ١٩٣٧ ؟

— ومن ناحية أخرى .. اليوم يكون قد مضى على ٥٠ عاماً وأنا طبيب

● فلنعد إلى يوم الا ثنين ٢٨ سبتمبر .. ؟

— نعم .. كان لدى موعد فى الحادية عشرة مساء لأذهب مع الفريق فوزى .. ومن هنا فعندما جاء وقت العيادة لم أستخدم عربتى بل استخدمت تاكسى وأوصلنى إلى عيادتى بشارع هدى شعراوى رقم (٨) بباب اللوق حوالى الرابعة مساء .. ولا أذكر أننى كشفت على أحد من المرضى الذين كانوا بانتظارى .. لكننى أذكر أن التمورجى فاجأنى عند وصولى حوالى الساعة الرابعة مساء بقوله إن بيت الريس جمال اتصلوا بك وعايز ينك ضرورى .. أنا عارف طبعاً نمرة البيت فطلبها ورد علىّ الصاغ شريف سامى وقال لى يا فندم سيادتك مطلوب هنا حالاً فأنا سألته : مين اللى عيّان ؟ لأنه أحياناً كان الريس جمال يتصل بى و يقول لى فلان تعبان من أفراد العيلة فأقوله أنا جاى لك مثلاً ، فلما قلت له مين اللى تعبان فقال : معرفش يا فندم إنما سيادتك مطلوب حالاً .. كانت الساعة تقريباً الرابعة والنصف أو ما بين ذلك والخامسة ..

● بالتحديد .. متى تم الا تصال بينك و بين بيت الرئيس عبد الناصر؟

— ما بين الرابعة والنصف والخامسة .

● كيف وصلت .. ؟

— أخذت تاكسى ورحت بيت الريس ..

● متى وصلت إلى هناك ؟

— وصلت حوالى الخامسة أو الخامسة إلاّ ربعاً أو خامسة وربع .

● كيف وجدتهم هناك فى بيت الريس .. ؟

— فى الدور الأرضى شفت محمد أحمد والفريق سعد الدين متولى .. وأظن محمود الجيار .. فقالوا لى اطلع فوق .. اطلع فوق ضرورى .. فسألت : هو مين العيّان .. ؟ فقالوا : الريس .. فطلعت الدور الفوقانى (أى الأول بعد الأرضى) .. وفى الدور الفوقانى فيه أودة قعاد أى « أنتريه » صغير يفصل حجرة نوم الرئيس عن حجرات الأولاد .. ولقيت منى عبد الناصر واقفة تلطم

خدودها .. قلت لها : إيه يا منى .. ؟ لكنها لم ترد على .. ومشيت الجهة اليمين فيها أودة السيدة تحية حرم الريس .. وأودة الريس على الشمال وبينهما دورة مياه صغيرة دلفت من خلال المكتب الصغير وطرقت باب الريس للاستئذان فى الدخول فلم يجبنى أحد .. دفعت الباب فانفتح .. وفوجئت بعدد من رجال الحكم فى الحجرة ، منهم : حسين الشافعى وهيكل ومحمود الجيار وسامى شرف والفريق فوزى وشعراوى جمعة ، والدكاترة : عبد العزيز طه ، والصاوى حبيب .. ومش فاكر مين تانى كان موجود .. كان الريس نايم ومتغطى .. فاتجهت ناحية السرير .. كان متغطى من رأسه لقدميه .. أزحت الغطاء عنه ومسكت إيده ووجدتها باردة ومفيش نبض .. فالحقيقة أنا كانت تربطنى بالريس صداقة ، انهمرت دموعى على الفور وغشانى حزن ثقيل كالجبل وبصيت ، وكان فى وجهى وأمامى الفريق محمد فوزى والوزير سامى شرف ، قلت لها : ونادهينلى بعد إيه .. بعد ما خلاص انتهى . كانت الساعة فى الوقت ده حوالى الخامسة .

● بالضبط ، كم كانت الساعة سيادة الفريق ؟

ـــ بالضبط ، الخامسة أو الخامسة والربع .. واللى شفته ده شفته قبل كده فى الحلم ، تكرر عندى وعند زوجتى ، إثر ما ترسب فى نفسى عندما سمعت أن الريس جاب دكتور شافه من غير ما يقول لى .

● مين الدكتور ده ؟

ـــ الدكتور محمود صلاح الدين بتاع إسكندرية .. وهو مختص بالقلب .

● هل زعلت من الريس ؟

ـــ أخذت على خاطرى .

● إيه حكاية الحلم .. ؟

ـــ قبل وفاته حلمت أن الباب خبط ففتحته مراتى فوجدت على الباب تحية هانم (زوجة الرئيس ناصر) ووراها الريس شايل كفنه على كتفه وبيقول لى : إلحقنى يا رفاعى ..

أخذت عبد الناصر فى الأودة عندى فى البيت وكشفت عليه و بعدين خرجت فسألتنى تحية هانم عن النتيجة فقلت لها : وجايبينه ليه .. ؟ ما خلاص انتهى .. ، نفس الجملة التى قلتها للفريق فوزى ولوز ير سامى شرف ، المهم ، قلت الجملة دى فى وش فوزى وشرف .. ورحت داخل أودة صغيرة جنب منه .. بابها يفتح على حجرة نومه وفيها مكتب صغير وتليفون .. دخلت الأودة وجلست على مكتبه لأ تمالك نفسى وأجفف دموعى .. ومكثت قليلاً .

● كم من الوقت مكثته فى الحجرة الصغيرة الملحقة بحجرة نوم الر يس .. ؟

ـــ دقائق معدودة .. ثم نزلت تحت وشفت فى الهول على صبرى وأنور السادات ..

● إذن على صبرى والسادات لم يكونا فى حجرة نوم الر يس مع الآخر ين .. ؟

ـــ لا .. وكان كمان أمين هو يدى .. و بدأت المجموعة اللى فوق تنزل فى الصالة (الهول) .

● فلنعد سيادة الفريق إلى حجرة نوم الرئيس ناصر.. عندما دخلت وكشفت الغطاء عن الجسد المسجى وأمسكت بيده .. هل تبينت أن الوفاة وقعت فى التو واللحظة أم وقعت منذ مدة .. ؟

ـــ يدوبك ميت .. ما أقدرش أحكم ، يعنى يدوبك ربع ساعة مضت على وفاته ..

● نزلت تحت ليه بعد أن تبينت وفاته .. هل كان ثمة ما يعمل .. ؟

ـــ لا ، حبيت أعرف سبب الوفاة .. ، نزلت تحت علشان أشوف تحليل الدم اللى كان عامله له الدكتور، ناصح أمين فى نفس اليوم (د . ناصح أمين أستاذ تحاليل بجامعة القاهرة) ورأيت فيه أن نسبة التجلط ٢٢ ٪ واطلعت على رسم القلب اللى اتعمل له فى اليوم ده ، أى يوم الا ثنين ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، وكان لا يفترق عن رسم قلب عملته له أنا منذ خمسة أيام ، فتأكدت أنه لم يمت بذبحة صدرية لأنه لو كان مات بذبحة صدرية كان يبقى رسم القلب فيه تغيير واختلاف ونسبة التجلط ما تكونش وافية بهذا القدر.

● هل نسبة التجلط ٢٢ ٪ منخفضة .. ؟

- نعم ، ٢٢ ٪ منخفضة .. والمهم إنني رحت قعدت مع الجماعة دول ..

- **الجماعة دول .. تقصد مين .. ؟**

- **أنور السادات وعلى صبرى فاتفقوا على ميعاد الجنازة الساعة ١١ يوم الخميس .. وفى هذه الأثناء جاء سامى شرف وأخذ توقيعى على شهادة وفاة مذكور فيها : إنه توفى بذبحة أوبنوبة قلبية .. ترددت ثانية ، لكن لو قلت إننى لن أوقع فسيسرى الشك .**

- **الشك فى ماذا ؟**

- **الشك فى أنه مات بذبحة ..**

- **وقعت على الشهادة .. ؟**

- **أيوه .. ، وبعد شوية جاء السادات نحوى وقال لى أنت يا رفاعى مسئوليتك الجثة تحافظ عليها لغاية ما نشيع الجنازة ، فقمت وجبت أربعة ضباط من الحرس وجابوا نقالة وطلعوا بيها .. وكانت تحية هانم والولاد قعدوا شوية مع الجثة .. ، وبعدين لما نقلنا الجثة وضعناها فى عربة إسعاف وركبت معها ومع الضباط الأربعة .. وبسرعة انطلقت العربة إلى قصر القبة وبعدما وصلت .. وأغلق الباب نظرت إلى الميدان وكان قد امتلأ بالجماهير ولم يعد فيه موقع لقدم .. وتساءلت : كيف عرف الناس الخبر .. وكيف سرى بينهم بهذه السرعة المخيفة .. !**

- ماذا فعلت بالجثة هناك .. فى قصر القبة .. ؟

هناك قلت لسامى شرف : هات لى الطبيب الشرعى وكان اسمه الدكتور كمال مصطفى ، كبير الأطباء الشرعيين على ما أذكر ، وجاء الدكتور كمال مصطفى وفحصنا أنا وهو الجثة من الظاهر ولم نجد آثار مقاومة .. أو شيئا يوحى بأن الوفاة فيها شبهة جنائية .

وهنا استطرد الفريق طبيب رفاعى كامل إلى القول بأن كبير الأطباء الشرعيين قال إنه لكى نتمكن من معرفة سبب الوفاة فلابد من تشريح الجثة ، فقلت للدكتور كمال مصطفى كبير الأطباء الشرعيين : إننى لا أملك إصدار مثل هذا القرار .. فصاحب هذ القرار لابد أن يكون هو صاحب السلطة العليا ..

وصاحب هذه السلطة العليا قد مات .. فالذى يصدر قرار تشريح لابد أن يكون هو صاحب السلطة العليا المقبل .. وقد وجدت حرجاً شديداً فى أن أنقل رغبة كبير الأطباء الشرعيين إلى على صبرى .. إذ معنى ذلك أن أختص على صبرى بهذا الأمر ليصدر فيه قراراً معناه أنه صاحب السلطة العليا أى رئيس الجمهورية المقبل .. وهذا ينطبق على كل من السادات وحسين الشافعى ، فإذا طلبت أحداً من هؤلاء فمعناه أننى ميزته عن زملائه بسلطة إصدار القرار.. قلت هذه الهواجس لسامى شرف وزير شئون رياسة الجمهورية .. وكان أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء قد بدءوا اجتماعاً هاماً فى الدور الأول من قصر القبة لبحث الموقف الخطير.. فقلت لسامى شرف : عليك إذن بأن تنادى لنا الثلاثة الكبار: على صبرى والسادات وحسين الشافعى..

● من الذى نادى للثلاثة الكبار؟

— سامى شرف .. ، وجاء الثلاثة وقالوا : إيه خير يا دكتور رفاعى ؟ فقلت : أنا وكبير الأطباء الشرعيين ، هو بيقترح تشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة .. أو لا نقربها .. فما رأيكم .. ؟
أجاب الثلاثة الكبار فى نفس واحد : مفيش داعى لبهدلة الجثة ونكتفى بالكشف الظاهرى ومن هنا اكتفينا بالكشف الظاهرى وبعدين قلت لسامى أنا عايز أتحفظ على الجثة من النهاردة ليوم الخميس ، أى يوم الجنازة فأرجو أن تبحث لى عن صندوق كبير لوضع الجثة فيه بالثلج .. وجرى البحث عن صندوق كبير بلا جدوى .. ، ولهذا لم أجد طريقة غير وضعه فى ثلاجة المطبخ الخاصة بقصر القبة ، ولهذا كلف سامى شرف عدداً من العمال بنقل ما فى الثلاجة من لحوم وخضروات وخلافه إلاّ أن أرفف الثلاجة كانت مقسمة وعلى هذا لم تتسع للجثة ولم يكن هناك مناص من وضع الجثة على نقالة ووضع النقالة فى أرضية الثلاجة.. وقد غطيتها بملاءة بيضاء وأغلقت أبواب الثلاجة بالمفتاح وسلمت المفتاح لسامى شرف (٢) انتظاراً ليوم الخميس الأول من أكتوبر حيث يتم تشييع الجنازة.

---

(٢) ذكر عدد من المسئولين أن باب الثلاجة لم يغلق وكانت قدما الرئيس ناصر خارج الثلاجة ولذا كان من الصعب إغلاقها . و يبدو أن أبواب مطبخ قصر القبة هى التى أغلقت فقط .. وقد ألقت عائلة الرئيس النظرة الأخيرة عليه فى هذا الوضع .

مازال الحديث للفريق طبيب رفاعى كامل الذى يستطرد قائلاً :

وبعد يومين من الوفاة ، أى قبل الجنازة ، بالتحديد يوم الأربعاء الموافق ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٧٠ استدعانى الوزير سامى شرف .. هوه فى الواقع كلمنى ، مش استدعانى ، وقال لى الهانم عايزاك .. لأن تحية هانم حرم الريس كان بييجى لها دور خفقان فى ضربات القلب وكنت دايماً أروح أعالجها [٣] .

ورحت البيت ، وكشفت عليها ، وكتبت لها علاجاً .. وبعد كده مسكت فيّه وقالت لى ، اقعد ، انت رايح فين .. ؟ أنا عايزة أتكلم معاك شوية .. ، قعدت فى الأنتريه الذى يفصل بين غرفتى الريس وتحية هانم ، وتطرق الحديث بينى وبينها ، وعلقت على ما كنا نقوله من تعبير « الرئيس الخالد » .. وقالت : أهو الرئيس الخالد مات مديون ..

فقلت لها : مديون لمين .. ؟

فقالت : لعثمان أحمد عثمان ، عثمان بنى الفيلتين بتوع هدى ومنى بـ ١٨ ألف جنيه ، كل واحدة بـ ٩ آلاف واتسدد من المبلغ ده ٦ آلاف من حسن صادق أبوحاتم صادق و١٢ ألف جنيه لسّه على الريس ، مات وهو مديون بيهم .

قلت لها : ربنا يسهل وكل شىء يتسدد ..

وبعدين سألتها عن اللى عمله الريس يوم الوفاة ..

فقالت لى : الريس قام وخد حقنة الأنسولين اليومية .

س : هل كان يتناول حقنة يومياً من الأنسولين ؟

جـ : نعم .. كان يتعاطى حقنة يومياً من الأنسولين بسبب السكر .

واستطرد الفريق طبيب رفاعى كامل :

وقالت حرم الرئيس عبد الناصر : إن الريس بعد أن أخذ حقنة الأنسولين اليومية قعد على ترابيزة السفرة وأكل نصف تفاحة بالضبط ونزل « جرى » وقال أنا

(٣) صحح لى الدكتور رفاعى كامل بعد التسجيل أن الذى اتصل به لبس السيد سامى شرف وزير الدولة وقتذاك إنما السيد محمد أحمد سكرتير الرئيس ناصر . وقد أكد لى السيد سامى شرف أنه لم يتصل بالدكتور رفاعى كامل .

اتـأخرت عن الملوك والرؤساء . و بعدين اتأخر فى المطار لحد الساعة ثلاثة وشوية ورجـع منهـك و يتصبب عرق ورجليه بتلف على بعضيها و بعدين الصاوى أعطى له حقنة أنتستين وحقنة بانتو بون اللى هوه من مشتقات المورفين .

● هـى فـيـه حـقـن أنـتـسـتـين .. لأن المـعـروف أن الأنـتـستين دواء نقط لحساسية الأنف . شيء من ذلك .. ؟

ــ أيـوه فـيه حقن أنتستين .. دى حقن ضد الحساسية وتعمل هبوط على طول ، أخذ الـر يـس حقنة أنتستين وحقنة بانتو بون .. لكن الدكاترة اللى جم بعد الصاوى سألوه .. سألوا الدكتور الصاوى : إنت إديته إيه ؟

فقال لهم : إديته حقنة بانتو بون

فقالوا : إديلوا حقنة تانية

● أخذ حقنة ثانية بانتو بون والاّ حقنة ثانية أنتستين .. ؟

ــ بانتو بون .. فراح فى غيبوبة

● مين اللـى قـال للـدكـتـور الـصـاوى أن يـعـطـيـه حقنة ثانية بانتو بون .. حد من الدكاترة الموجودين .. ؟

ــ فى الواقع مسألتش ..

● هـذا الـكـلام اللـى قالته لك السيدة تحية هانم حرم الرئيس .. هذا الكلام ألم يثر عـنـدك الرغبة فى معرفة المز يد ؟ خاصة وأن هذا الكلام قيل لك يوم الأر بعاء .. والجـثـة مـازالـت موجودة فى ثلاجة قصر القبة ويمكن فحصها والتعرف على سبب الـوفـاة بـالـضـبـط .. وعما إذا كـان الـر يـس أخـذ حـقـن أنـتـستين و بانتو بون من عدمه . ؟!

لم يجب الفر يق طبيب رفاعى على هذا السؤال إنما استطرد قائلاً :

ــ كـان كـلام تحـيـة هـانم يـشير إشـارات خـطـيرة ولذا أخذت أفكر .. يومى الأر بعاء والخـمـيـس فيما قـالـتـه .. ومـا رأيته فى بيت الر يس يوم الوفاة من تقر ير رسم القلب وتحـلـيـل الـدم الـذى يثبت أن نسبة التجلط لا تز يد على ٢٢ ٪ وانتهيت إلى قرار أن الـرئـيـس جمـال عبد الناصر لم يمت بنوبة قلبية ولكنه مات بكومة سكر، و يثبت هذا

ما رأيته فى التليفزيون حينما كان يودع الملوك والرؤساء و يتصبب عرقاً ورجليه بتلف على بعضها فى المطار ولم يمكنه التوجه للعربية علشان يركبها لأن صلاح الشاهد كان بينادى على العربية .. ونظراً لأننى كنت مقتنعاً بهذه الشواهد والتحاليل ورسم القلب فقد تأكدت أنه لم يمت بنوبة قلبية وكانت هذه الأعراض الظاهرة عليه أعراض هبوط نقص السكر فأيقنت أنه مات بغيبوبة نقص السكر والحقن اللى أخذها عجّلت بوفاته ، ولو كان أعطى قطعة سكر كان أنقذ ..

وأنا لهذا ، يوم السبت ....

- يوم السبت بعد الجنازة ، الموافق ٣ أكتوبر سنة ١٩٧٠ ؟

— أيوه ، ذهبت إلى الفريق محمد فوزى وزير الحربية لأننى أتبعه وهو رئيسى .. وقابلته وقلت له أنا جاى أقولك إننى مضيت شهادة الوفاة غلط .. وهوــ أى الرئيس ناصرــ لم يمت بنوبة قلبية ولكنه مات بغيبوبة نقص السكر.. فقال لى اعمل معروف لا تثر هذا الموضوع لأن الناس أعصابهم معبأة ولو علموا بهذا الخطأ يمكن نروح كلنا فى داهية فاسكت واكفى على الخبر ماجور.. لأن طبعاً الحقن المهبطة والمثبطة أخذها وهو فى حالة غيبوبة عجلت بوفاته .

تدخلت حرم الفريق طبيب رفاعى كامل وقالت :

إن الناس فضلت ساكتة لغاية الأربعين وبعدها بدأت الحرب علينا لأننا لم نسكت وحاولنا أن تصل هذه الحقيقة إلى كل الناس .

واستطرد الفريق طبيب رفاعى كامل مقاطعاً زوجته :

— أيوه الحقن اللى أخدها عجلت بوفاته .

- كنت الطبيب الأول لجمال عبد الناصر وصاحب الخبرة الطويلة والاسم الكبير.. ألم يسترع انتباهك أنهم لم يتصلوا بك ــ يوم الوفاة وهو يوم الاثنين ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ــ إلاّ متأخراً .. كما ذكرت ما بين الرابعة والنصف والخامسة إلاّ ربعاً .. فى اللحظات الأخيرة التى أوشك فيها الرئيس أن يلفظ أنفاسه .. ؟

— لا ، هم اتصلوا بى قبل ما أروح العيادة .. أنا رحت العيادة بين الرابعة والنصف والخامسة ، لكن همّ كانوا اتصلوا بى قبل كده فى العيادة والتمورجى رد عليهم .

● أيوه اتصلوا بك فى العيادة .. لكن متى .. ؟

— معرفشى والله .

● العيادة بتفتح الساعة ثلاثة .. ومعنى كده أن الاتصال لم يتم قبل ثلاثة . وكان يمكنهم الاتصال بك فى البيت .. أو الجيش .. وإذن أعراض الهبوط أو أعراض الكومة ظهرت بعد ثلاثة .. لكن الثابت أن هذه الأعراض ظهرت فى المطار؟

— الأعراض ظهرت عليه فى المطار حوالى الساعة ثلاثة .

* تدخلت السيدة حرم الفريق وقالت : إن الرياسة كانت أحياناً تتصل لطلب الدكتور رفاعى لأشياء ليست هامة ولا ضرورة لها .. فمن فى رياسة الجمهورية يريد الدكتور رفاعى .. ؟ ربما ضابط .. أو جندى فى الحرس أو قريب .. أو شىء من هذا القبيل .. ولذا لم يكن الاهتمام باتصال الرياسة له الأولوية .. ثم إن الذى اتصل لم يترك رسالة سوى أن الدكتور رفاعى مطلوب .. لكن لمن .. ؟

● عندما وصلت إلى بيت الريس .. وصعدت إلى غرفته وكان هناك فى غرفته عدد من الأطباء ألم يسترع انتباهك عند دخولك أن هناك شيئاً غير طبيعى يجرى فى الغرفة .. ؟!

— لا ..

● قرأت بعض صفحات من مذكرات لطبيب كان بالرياسة هو الدكتور أحمد ثروت .. وكان قد ترك الرياسة سنة ١٩٦٧ .. أو بعدها .. بعد عدوان ١٩٦٧ ، وجدت فى مذكراته إشارة غريبة إلى السم وتحذيراً من صلاح نصر ، هل يعنى هذا عندك شيئاً ؟

— ســـــم ؟!

● نعم ، سوف أذكر لك النص ويرجع إلى أوائل عام ١٩٦٨ .

* هنا تدخلت الزوجة وقالت إن الدكتور أحمد ثروت كان قد استبعد فى عام ١٩٦٧ من الرئاسة (٤) .

- نعم ، هذا ما ذكره لى ابنه الدكتور محمد أحمد ثروت وعرفت أن الرئيس ناصر كان يتصل به بين الحين والآخر رغم قرار الإبعاد .

— أجاب **الفريق طبيب رفاعى كامل** : إن الرئيس عبد الناصر كان يتفاءل بالدكتور أحمد ثروت .. وكان يقربه إليه .. وعندما استبعد لم تنقطع الصلة .

- وجدت فى مذكرات الدكتور ثروت هذه الجملة : « **نصحت بألاّ يصافح الرئيس صلاح نصر لأنه يوجد سم من شأنه النفاذ من الجلد إلى الدورة الدموية ..** » ولم يتضح لى لمن وجه الدكتور ثروت هذه النصيحة ، وفى صفحة أخرى من مذكرات الدكتور أحمد ثروت يذكر أنه علم بأن سبع زجاجات من السم فقدت من المخابرات .. فين هم .. ؟

* تدخلت الزوجة وقالت : إن هذه الأقوال كانت تتردد كثيراً .. ولذا فقد خشيت على الدكتور رفاعى بأن يوضع له السم فى أى شىء لإسكاته وإلزامه الصمت إلى الأبد .

لم يعلق الدكتور رفاعى ولم يرد .. فاستطردت فى السؤال :

- تردد أن الرئيس ناصر طلب عصيراً فقدمت له السيدة حرمه كوباً من عصير البرتقال .. فهل قدمت السيدة حرمه هذا الكوب من عصير البرتقال حقاً يوم الوفاة ؟

— لا ، لم تذكر لى السيدة تحية هذه الواقعة ..

- ألم تذكر لك شيئاً عن هذا الكوب من العصير ضمن أحداث هذا اليوم العصيب ، يوم الاثنين ٢٨ سبتمبر .. أثناء اللقاء يوم الأربعاء ٣٠ سبتمبر عندما ذهبت إلى بيت الرئيس للكشف عليها وعلاجها من خفقان القلب التى كانت مصابة به .. ؟

---

(٤) كان الدكتور أحمد ثروت قد استبعد من الرياسة لأنه زار المشير عامر أثناء التحفظ عليه ، وأنه أجرى الكشف على أحد أفراد أسرة المشير .. ولذا فقد احتسب لفترة ما أنه ضمن جماعة المشير .. واستبعده عبد الناصر بناء على اقتراح من سامى شرف .

ــ لا .. لم تذكر هذه الواقعة ..

- هل قرأت الأهرام وما جاء فيه حول موت الرئيس ناصر. ؟

ــ نعـــــم ..

- هل قرأت رد الطبيبين محمد أحمد ثروت والصاوى حبيب ودفاعهما ضد ما أثير من أن الرئيس مات بكومة سكر وليس بجلطة الشريان التاجى .. ؟

* تدخلت السيدة حرم الفريق رفاعى وقالت : طبعاً لازم يكون فيه رد من د. الصاوى حبيب لأنه من مصلحته ..

لكننى عرضت على الفريق طبيب رفاعى أن أقرأ له الرد المنشور بهدف تبيان شخصية د. الصاوى حبيب لأنه الشخصية التى كانت حاضرة الوفاة .. وأول طبيب دخل حجرة عبد الناصر إثر إحساسه بالتعب ..

وقرأت نص الرد ومنه :

يقول الدكتور الصاوى حبيب فى معرض رده على أنه غير أخصائى فى القلب وأنه طبيب أطفال . يقول فى رده بأهرام ١ / ١٠ / ١٩٨٦ ، ص ٧ ..

أولاً : أنا حاصل على درجة الدكتوراه فى الأمراض الباطنية ودبلوم أمراض القلب ولا علاقة لى بطب الأطفال .

*** هنا تدخل الفريق طبيب رفاعى كامل وعلق قائلاً : لا ، ده حصل على المؤهلات دى بعد كدة بسنين .. بالذات دبلوم القلب لم يحصل عليه إلاّ بعد سنة ١٩٧٠ ..**

ثانياً : لم تحدث لجمال عبد الناصر غيبوبة أو أى درجة من فقدان الوعى سواء بالمطار ولحين وصوله إلى منزله ولحين وفاته ..

ثالثاً : لم يتم حقنه بالأنتستين بريفين لأن هذا عبارة عن نقط للأنف .

*** وتدخل الفريق طبيب رفاعى كامل وقال : فيه أنتستين بريفين نقط للأنف ، وفيه أنتستين حقن ، هوه اتحقن بأنتستين .**

رابعاً : لم تتم الوفاة على الفوربل بقى الرئيس الراحل فى المنزل حوالى ساعتين ..

خامساً : تم استدعائى للمنزل أثناء عودته من المطار وكذلك الأستاذ الدكتور منصور فايز الذى حضر بعدى بربع ساعة والأستاذ الدكتور زكى الرملى الذى حضر بعدى بثلث ساعة وتأكد من رسم القلب من وجود انسداد بالشريان التاجى .

*** تدخل الفريق رفاعى وقال :**
لأ ، غلط .

- **واستطردت فى قراءة النص :**

« وهو الانسداد الثانى خلال عام وكان الأول فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٦٩ وقد أجرى له كل ما يمكن من علاج لحين الوفاة » .

فهل رسم القلب الذى أجرى للريس والتحليل الخاص به الذى تم يوم الوفاة موجودان .. ؟ وأين . ؟

أجاب الفريق طبيب رفاعى كامل :

— التحليل اللى شفته بعينى اللى كان موجود بالدور الأرضى لمّا نزلت بعد وفاة الريس .. التحليل ده كان عامله الدكتور ناصح أمين وكان نسبة البروثرومبين ٢٢ ٪ ، وهذا التحليل تم يوم الوفاة ..

- ومعنى هذا بصراحة .. أن هذا التحليل يشير بوضوح أن الموت لم يكن بأزمة قلبية ؟

— والرسم ــ أيضاً الذى أجرى للقلب لم يكن يشير إلى حاجة جديدة ولا يختلف عن الرسم الذى أجريته له منذ خمسة أيام أو ستة أيام قبل الوفاة .

- الرسم اللى انت عملته قبل الوفاة .. أين هو .. ؟ هل هو موجود بالرياسة .. ؟

— طبعــــاً ..

- والرسم اللى جرى يوم الوفاة .. ؟

— فى الرياسة أيضاً ..

- هو فعلاً اللى شافه منصور فايز وزكى الرملى وواحد فيهما هو اللى قال للصاوى

حبيب إديله واحدة بانتوبون تانية ، فمن منها الذى طلب ذلك ، هل تعرف الاسم يا د . رفاعى ؟

ولم يجب د . رفاعى . .

أردت أن أعيد لذاكرة الفريق طبيب رفاعى نص إعلان الوفاة الذى وقع عليه فربما تذكر شيئاً غاب عنا . . قرأت :

« أثناء توديع سمو أمير الكويت فى الساعة الثالثة والنصف من يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٧٠ شعر سيادة الرئيس « بدوخة » مفاجئة مع عرق شديد وشعر بالهبوط .

* تدخل الفريق رفاعى وأضاف : شعر بإعياء !

واستطردت فى القراءة :

« وقد توجه إلى منزله فوراً فى منشية البكرى حيث حضر على الفور الأطباء ووجدوا عنده أزمة قلبية شديدة نتيجة انسداد فى الشريان التاجى للقلب .

* أضاف وعلق الفريق رفاعى : ده الغلط !

واستطردت فى القراءة :

« وقد أجريت لسيادته جميع الإسعافات اللازمة بما فى ذلك استعمال أجهزة تنظيم ضربات القلب ، لكن مشيئة الله قد نفذت . وتوفى إلى رحمة الله فى الساعة السادسة والربع أثناء إجراء هذه الإسعافات . . والتوقيع بالترتيب التالى : ١ ـ د . رفاعى محمد كامل ٢ ـ د . منصور فايز ٣ ـ د . زكى الرملى ٤ ـ د . الصاوى حبيب ٥ ـ د . طه عبد العزيز .

* رد الفريق رفاعى قائلاً : أنا ما كنتش موجود مع منصور ولا زكى الرملى ، أنا جيت بعدهم . . وده اللى أنا بأقوله لك دى الحقيقة كاملة . .

- إذن عبد الناصر لم يمت بأزمة قلبية إنما مات نتيجة هبوط وكومة سكر وأن الحقنتين اللى أخدهم عجلوا بوفاته ؟

أنا باعتبر إن اللى حصل ده هو سبب وفاته .

* أضافت السيدة حرم الفريق رفاعى :

« كان هذا سيتكرر بالنسبة للسيد على صبرى لكننى أنا الذى تدخلت فى

العملية والسيدة حرم السيد على صبرى ثارت وطردت الأطباء .. وهى موجودة وتستطيع أن تتكلم » ..

- وتكلم الفريق رفاعى عندما سألته عن الرقابة على علاج عبد الناصر وعما إذا كان الدواء الذى يقرر له يخضع للمراجعة فقال :

— فى الواقع أنا عادة أقرر حقنة أو أقراصاً أو كبسولات أو علاجاً من أى نوع .. ثم أدع التنفيذ لأحد من الأطباء الآخرين مثل الصاوى وغيره وغيره .. ولما كان الدكتور ثروت موجود كان يقوم بالتنفيذ ..

- معنى هذا أن هناك من يقرر العلاج وهناك من ينفذه ؟

— نعم ، أنا لم أكن أعطى لعبد الناصر الحقنة بنفسى .

- ألم يتبادر إلى ذهنك أنه من الممكن أن يقوم هؤلاء بتنفيذ شىء لم تقرره أو على خلاف ما قررته .. ؟

— الحقيقة لم يخطر ببالى شىء من ذلك فأنا سليم النية .

*** وهنا تدخلت زوجة الفريق رفاعى وقالت :**

« طبعاً ممكن يعملوا أى حاجة ، والناس دول — تقصد أطباء الرياسة — مستفيدين استفادة لا مثيل لها » .

- أين رسم القلب اللى اتعمل للريس يوم الوفاة .. وأين التحليل الذى أجراه الدكتور ناصح أمين للريس .. ؟

— فى الرياســـــة ..

- أين رسم القلب الذى عملته أنت للريس قبل الوفاة بخمسة أيام أو ستة .. ؟

— فى الرياســـــة ..

- من المسئول فى الرئاسة عن حفظ مثل هذه الأشياء ؟

— ربما محمد أحمد .. وربما سامى شرف ، لأن سامى الوزير المسئول عن شئون رياسة الجمهورية .

● هل لديك شك فى أن الرئيس عبد الناصر مات بغير كومة السكر.. ؟

— لا .. وأدلتى هى التى ذكرتها وهى : ١ - المظاهر العامة له بعد الساعة الثالثة ٢ - رسم القلب ٣ - تحليل الدم .

◻ وانتهى اللقاء مع الفريق طبيب رفاعى كامل

■ ◻ ■ ◻ ■ ◻ ■

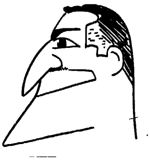

شهادة الفريق محمد فوزى

رفعت شريط الدكتور رفاعى كامل من الكاسيت ووضعت شريطاً جديداً لأسجل ما يقوله الفريق فوزى .. (*)

قال الفريق أول محمد فوزى :

ترتب على شهادة الوفاة أو هذا الإعلان استدعاء رسمى لحضور الأطباء الموقعين أمام أعضاء اللجنة التنفيذية العليا وأعضاء مجلس الوزراء فى الاجتماع الذى عقد بقصر القبة مساء يوم الوفاة ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بحيث يقدمون ــ أى الأطباء ــ جماعة التقرير الطبى .

(١) **الفريق أول محمد فوزى** ، وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة (يناير ١٩٦٨ / مايو ١٩٧١) ــ تمت هذه الشهادة صباح يوم ١٢/١٠/١٩٨٦ ، بعد أن استمع الفريق فوزى إلى تسجيل كامل لشهادة الدكتور رفاعى كامل ، وعلّق بأنه يعرفه جيداً و يثق به ، وسألنى عن صحته ، وقال : إذا كان د . رفاعى قال هذا الكلام فهو صادق ١٠٠٪ ، وتستند هذه الشهادة إلى حديث سبق التسجيل فى نفس اليوم والساعة ، لكن الأجزاء الحاسمة منها تستند إلى التسجيل .

● الفريق أول محمد فوزى ●

كان على الموقعين على الشهادة وهم أربعة حسب ما أذكر وحسبما سجلت ذلك فى كتابى « استراتيجية المصالحة » الجزء الثانى ــ الفصل السادس ، بعنوان : وفاة الزعيم جمال عبد الناصر ، ص ١١٥ وما بعدها ، والأطباء الأربعة هم :

١ ــ الفريق أول طبيب رفاعى كامل .
٢ ــ د . منصور فايز .
٣ ــ د . زكى الرملى .
٤ ــ د . طه عبد العزيز .

تدخلت وقلت للفريق فوزى : خمسة أطباء وليسوا أربعة .. وهم على هذا النحو من الترتيب :

١ ــ الفريق أول طبيب رفاعى كامل .
٢ ــ د . منصور فايز .
٣ ــ د . زكى الرملى .
٤ ــ د . الصاوى حبيب ، وهو الطبيب المختص بعلاج جمال عبد الناصر .
٥ ــ د . طه عبد العزيز .

أيها الحقيقى ، ما جاء فى كتابك أو ما جاء فى الشهادة التى أعلنت على الملأ .. ؟

أجاب الفريق فوزى :

تبقى الشهادة هى الصحّ .. لكن اذكرهم مرة أخرى ، فأعدت قراءة الأسماء مرة أخرى فقرر بصحتها أنها خمسة أسماء ، وقال : هى دى الشهادة اللى قدمت مساء يوم الوفاة فى الاجتماع المشترك بين أعضاء اللجنة التنفيذية العليا وأعضاء الوزارة .

● لكن هل قدمت الشهادة فقط أم قدمت الشهادة وناقش أعضاء الاجتماع المشترك الأطباء فى الأمر ، أى فى ظروف الوفاة .. ؟ سألت الفريق فوزى فقال :

الفريق فوزى :

الشهادة قدمت وجرت مناقشة أحد الأطباء حول محتواها ثم أودعت سجلات مجلس الوزراء ..

سؤال : قبل وصول الجثة إلى قصر القبة وقبل الاجتماع المشترك لتقرير مصير البلاد والسلطة وإعلان الوفاة وتحديد موعد الجنازة وغير ذلك من الأمور.. قبل هذا حدث فى بيت الرئيس عبد الناصر واقعة إثر وفاته ، فبعد أن تأكدت الوفاة من قبل الفريق طبيب رفاعى كامل انتقل الجميع من حجرة النوم إلى المكتب الصغير حيث اطّلع د . رفاعى على تحليل الدم الذى أجراه الدكتور ناصح أمين للرئيس ناصر فى نفس اليوم ووجد أن نسبة التجلط لا تزيد عن ٢٢٪ وأنها نسبة لا تؤدى إلى جلطة .. كما اطلع على رسم القلب ووجده لا يختلف عن رسم القلب الذى أجراه له منذ خمسة أيام تقريباً ..
ترك د . رفاعى الورقتين وهبط إلى الصالون الكبير حيث وافاه هناك السيد سامى شرف وزير الدولة وأحد الرجال الأقوياء الأربعة الذين كانوا يحيطون بجمال عبد لناصر (٢) ، وقدم سامى شرف إليه ورقة ليوقع عليها ، وتأمل د . رفاعى الورقة ووجدها شهادة الوفاة ، وقال له سامى شرف : إمضى .. (أى وقّع على الشهادة .. ؟) ..
فرفع إليه وجهاً محتشداً بالاستنكار وقال له : دى مش شهادة وفاة .. ده إعلان وفاة .: هل حدث هذا ؟

هز الفريق فوزى رأسه وقال :

ـ مش عارف ده حدث ولاّ لأ .. ، إنما أن وصّلت الجميع إلى أودة المكتب تحت ، المواجهة للصالون ، ثم رحت إلى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر وبالتليفون

---

(٢) الاربعة هم : على صبرى ، سامى شرف ، شعراوى جمعة ، الفريق أول محمد فوزى .. ومن مفارقات القدر أنهم هم الذين أطلق عليهم السادات وصف « مراكز القوى » على الرغم أنه استطاع بضربة واحدة القبض عليهم فيما سمى بمؤامرة مايو، وهى الجناية رقم ١ لسنة ١٩٧١ والتى بدأ بها السادات ورجاله الانقلاب على ثورة يوليو.

أصدرت تعليمات .. وكان الناس الموجودين فى الصالون هم :

١ ــ أنور السادات .

٢ ــ الشافعى .

٣ــ على صبرى .

٤ ــ حسنين هيكل .

دول اللى كانوا تحت فى الصالون واقفين بيتكلموا ، وحسنين هيكل « مضطاد » وذن أنور السادات وشغال كلام ..

س : هناك واقعة أخرى فى قصر القبة ، وهى أن الدكتور رفاعى يذكر أنه عندما وصل بالجثة إلى قصر القبة واجهته مشكلة الحفظ ، فالثلاجات الموجودة لم تكن تتسع لجسد الرئيس جمال عبد الناصر .. وعلى كل فهذه الواقعة ليست هى المقصودة .. إنما الواقعة المقصودة هى تحقيق الوفاة أو ما يعرف بشهادة الوفاة ، وهذه لابد أن يقررها الطبيب الشرعى ، و بالفعل جاء كبير الأطباء الشرعيين وهو الدكتور كمال مصطفى وكيل وزارة الصحة وقال : علشان نطلّع شهادة وفاة لابد من تشريح الجثة .

الفريق فوزى : القصة دى سمعتها فعلاً ..

س : وهنا وقع الدكتور رفاعى كامل فى مأزق ، فليس من سلطته أن يصرّح لكبير الأطباء الشرعيين بتشريح الجثة .. ومن جهة أخرى فكل من يموت لابد له من شهادة وفاة .. وشهادة الوفاة هنا مرهونة بإجراء التشريح .. كانت معادلة صعبة ولابد من التوفيق بين طرفيها ..

الفريق فوزى : من هنا طلبنا من الأطباء أن يقدموا لنا فى الاجتماع المشترك تقريراً عن الوفاة .. ولكن كيف خرج د . رفاعى من المأزق ؟

س : قلت للفريق فوزى : كما ذكر لى الفريق أول طبيب رفاعى كامل فإنه كان مكلفاً بالتحفظ على الجثة إلى حين تشييع الجنازة و بالتالى كان مسئولاً عن كل ما يتصل بها ، ولا يمكن البدء فى اتخاذ إجراءات حفظ الجثة إلاّ بعد قرار

كبير الأطباء (٣) ، الذى يقضى بإصدار شهادة الوفاة من عدمه ، وتوصل سامى شرف إلى قرار اعتبره حكيماً ، وهو أن ينادى الثلاثة الكبار : على صبرى والسادات وحسين الشافعى ، وقال لهم د . رفاعى إن كبير الأطباء الشرعيين يطلب إذناً بتشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة .. فقال الثلاثة فى وقت واحد : لا ، بلاش بهدلة فى الجثة .. ، وبالتالى لم يتم التشريح ولم تصدر شهادة الوفاة المطلوبة ..

(٣) فى لقاء توضيحى مع السيد صلاح الشاهد كبير الأمناء فى عهد جمال عبد الناصر بتاريخ ٩ / ٢ / ١٩٨٨ ببيته بالجيزة وفى حضور حفيده الدكتور محمد أحمد طلعت ، أنه وصل إلى قصر القبة دون أن يكون على علم بوفاة عبد الناصر ، ثم فوجئ عند صعوده الدرج بالخبر الأليم ، وسأل : مين اللى قتله ؟ .. ثم أخذه حسن التهامى من يده ليريه جمال عبد الناصر وهو نائم فى سريره ، وعلى السرير رأى النحات الفنان مصطفى متولى وهو ينزع قناع الجبس من على وجه الرئيس ناصر ، وقد ظهرت عدة شعيرات من رأس جمال عبد الناصر فى الجبس ، وكان التهامى وزيراً برئاسة الجمهورية وقتذاك .. وسألت عندئذ صلاح الشاهد إذا ما كان من حق التهامى استحضار الفنان مصطفى متولى لعمل الماسك (القناع) من عدمه .. ؟ ثم كيف استقدمته بهذه السرعة (!!) ولم يمض على وفاته أكثر من ٣ ساعات .. وسمع صلاح الشاهد عندئذ صوت أنور السادات من خلال قاعة الاجتماعات الكبرى فى الدور الثانى يقول لسامى شرف : طيب مش ضرورى شهادة وفاة ، هو الحانوتى ح يرفض يدفنه و يقول لأ .. مش عايزين شهادة وفاة !!

و يبدو أن الدكتور مصطفى كمال كبير الأطباء الشرعيين قد سمع هذا الكلام فانصرف محنقاً ..
والأمر على كل حال لا يخلو من ارتباك يصل إلى حد الريبة والشك ، إذ ما الداعى لإصرار د . كمال مصطفى على التشريح إذا كان هناك خمسة أطباء قد قرروا و بتوقيعهم أن الوفاة حدثت نتيجة جلطة فى الشريان التاجى ؟! أكانت هناك أسباب جادة لدى كبير الأطباء الشرعيين لإصراره على التشريح ؟!
ثم ، من الذى أعطى الصلاحية لحسن التهامى لاستحضار مثّال لعمل قناع لعبد الناصر .. ؟ على الرغم من أن الوفاة لم تحدث إلاّ الساعة الخامسة والربع .. بينما صلاح الشاهد كان عند رأس جمال عبد الناصر وهو يشاهد نزع القناع فى حوالى العاشرة والنصف مساء نفس يوم الوفاة .. هل كان التهامى مستعداً لهذه اللحظة ؟
والواقع أن حسن التهامى الوزير برياسة الجمهورية كان قد أثار حكاية ضرورة تشريح الجثة فى بيت الرئيس جمال عبد الناصر مساء يوم الوفاة بمنشية البكرى وقبل نقل الجثة إلى قصر القبة .. فهل كان يريد إثارة الشك فى أسباب الوفاة ؟ أم أراد تسجيل موقف له فى هذا الشأن .. ؟
والمعروف أن حسن التهامى كان من المعادين للرئيس جمال عبد الناصر ولنهجه الاشتراكى ، لكن جمال عبد الناصر كان يعتقد أنه رجل لا خطر منه وأنه « درو يش » وقد يكون « درو يش » خبيثاً لكنه دائماً يتكلم ، ومن يتكلم كثيراً لا يعمل — إذا عمل — إلاّ قليلاً .

لقد ثبت — فيما بعد — أن حسن التهامى كان من العناصر الرئيسية التى اعتمد عليها السادات فى اتصالاته بالإسرائيليين ورحلته إلى القدس التى أدت — فيما بعد — إلى كامب ديفيد .. ، ولم يكن التهامى يخفى كراهيته لجمال عبد الناصر ولحكمه ولاشتراكيته ولكنه كان أمام عبد الناصر « مجرد فأر » !!

الفريق فوزى : بس دى مسألة دخلت فيها اللجنة التنفيذية العليا والوزراء وعرض الأطباء التقرير الذى صدر عقب الوفاة وموقع عليه من أربعة أو خمسة من الأطباء وتدوّن هذا فى محضر رسمى (٤) .

س : طبعاً .. اللى أنا قلته دى رواية فريق طبيب رفاعى كامل صاحب أول توقيع على إعلان الوفاة ، وبالطبع لا يعرف ماذا كان يدور داخل الاجتماع المشترك ..

الفريق فوزى : تقصد جوّه فى الاجتماع المشترك .. ؟

س : أيوه .. ماذا تم ؟ هل استدعيتم الأطباء الخمسة أو الأربعة علشان يقولوا ازاى مات والاّ اكتفيتوا بقراءة إعلان الوفاة الموقع عليه الأطباء .. ؟ (٥) والتقرير الذى أودع بالملف .. ؟

الفريق فوزى : لا لم نكتف بالإعلان ، بل حدث طلب إجماعى من المجلس المشترك أنه استكمالاً لخطوات الوفاة فلابد من ضرورة تسجيل من المختصين عن سبب الوفاة ، أثير من أحد الأعضاء فالكل وافق ، وهكذا طُلب استدعاء المختصين الأربعة ..

س : من الذين استدعاهم .. ؟

---

(٤) التقرير الرسمى بقسم الوثائق من هذا الكتاب .

(٥) جاء فى صفحة ١١٨ من مذكرات الفريق محمد فوزى ، الطبعة الأولى ، المنشورة بالقاهرة سنة ١٩٨٦ (الناشر : دار المستقبل) : استدعيت إلى منزل الرئيس بعد حوالى ساعتين من مغادرتى مطار القاهرة بعد توديع أمير الكويت مع الرئيس عبد الناصر ، و بعد وصولى صعدت مباشرة إلى الدور الثانى حيث فوجئت بالرئيس عبد الناصر ، و بعد وصولى صعدت مباشرةإلى الدور الثانى حيث فوجئت بالرئيس عبد الناصر على سريره فاقد الوعى ، فاصطدمت من هذا المنظر ، وانعقد لسانى عن السؤال ما حدث للرئيس ، وكان واقفاً أمامنا جميعاً فى المطار أثناء مراسم الوداع وسبقت عيناى فى متابعة ما يجرى بالغرفة ، وكان أول مشهد أراه هو قيام اثنين من الأطباء بانتزاع جهاز تنشيط القلب من فوق صدر الرئيس ، ثم أخذ الطبيب الصاوى حبيب يضغط بكلتا يديه على صدر الرئيس بدلاً من الجهاز وعيناه تدمعان ، وعندما توقف عن الاستمرار وجدت نفسى مدفوعاً بحركة لا إرادية نحوه ممسكاً بتلابيبه بكلتا يدى آمراً إياه بانفعال شديد كى يستمر فى عمله ، فلم يتحرك ، وفى هذه اللحظة رأيت أحد الأطباء ينزع أسلاك جهاز قياس نبض القلب ، و يشير إلينا بانتهاء حياة الرئيس والدموع تتساقط من عينيه .. كانت الساعة بعد السادسة بقليل ، غطى وجه الرئيس ، وكان جفنا عينيه مهدلين ، وتصاعد بكاء الحاضرين فى الغرفة — وكانوا قد سبقونى فى الحضور — وهم السادة : على صبرى ، وشعراوى جمعة ، وسامى شرف ، ومحمد أحمد ، وحسنين هيكل ، و بعد ذلك حضر السادة حسين الشافعى ثم أنور السادات الذى كشف عن وجه الرئيس وقبل رأسه ، وتبين أن الأطباء الأربعة هم : رفاعى كامل ، منصور فايز ، زكى الرملى ، طه عبد العزيز ..

الفريق فوزى : المكتب ، مكتب الرئاسة ، سكرتير فى الرئاسة ، ودول موجودين ، ثم إن الدكاترة كانوا مع الجثة عندما وصلت إلى القبة ، وكنت مكلفاً باستدعاء بقية أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء من الجبهة .. نُصّ مجلس الوزراء كان لابس أفرول ، الاستدعاء للوزراء كان بواسطة أجهزة القوات المسلحة ، دخلوا بالأفرول إلى قاعة الاجتماعات ، كان لابد من استكمال إجراءات الوفاة . واحنا الجهة الرسمية المنوط بها استكمال هذا العمل ، ومن هنا كان اجتماعنا فى قصر القبة بعد الجثة ما وصلت .. الجثة لم تمكث بالبيت أبداً لأن قرارنا فى صالون البيت بمنشية البكرى هو نقل الجثمان إلى القبة (٦) .

س : وهل جاء الأطباء ؟

الفريق فوزى : نعم ، جاء الأطباء الأربعة (٧) ، وبأقول إنهم أربعة ، وقد تم تدوينى لما جاء فى كتابى على إثر الحوادث دى وشفت الوشوش (الوجوه) دى وعارفهم وما أعرفش طار منى الاسم الخامس إزاى ؟

س : بالتحديد ، هل تذكر أسماء الأطباء الذين مثلوا أمام المجلس فى قصر القبة .. ؟!

الفريق فوزى : فى هذه الواقعة ، أنا ح أتكلم فى توثيق أكثر ، لـمّا يقول لك د . رفاعى فلان وفلان كانوا حاضرين يبقى أصحّ من المذكرات بتاعتى .

س : إذن جاء الأطباء ودارت مناقشة حول الوفاة .. ما هو الموضوع الرئيسى الذى دارت حوله المناقشة ؟

الفريق فوزى : قلنا لهم عاوزين منكم تقرير يثبت هنا فى المحضر الرسمى عن

(٦) لم أسأل ، وهذا خطأ منى ، ونسيان أيضاً ، لماذا اتخذ الحاضرون فى صالون البيت بمنشية البكرى قرارهم بنقل جثة الرئيس ناصر إلى قصر القبة فوراً .. ؟ لقد فهمت أن هناك قرارين فى هذا الشأن .. قراراً أصدره أنور السادات بنقل الجثة ، وقراراً أصدره الفريق فوزى للفريق طبيب رفاعى كامل بالتحفظ على الجثة إلى حين تشييع الجنازة .. !!

(٧) يصر الفريق فوزى على ذكر أربعة من الأطباء فقط ، وعندما كنت أصحح العدد كان يوافقنى ، كان دائماً يسقط اسم الصاوى حبيب من وجوده فى قصر القبة ، وأذكر أن د . الصاوى حبيب صرح لى بأنه لم يحضر إلى القبة .

سبب الوفاة .. وما أعرفش إن كان الكلام اللى فى المحضر هو نفس الكلام اللى فى إعلان الوفاة والاّ لأ ..

س : هل ذكر أن السبب الجوهرى الذى أدى إلى الوفاة هو جلطة القلب .. ؟

الفريق فوزى : ما حصلش تشكك وراء الألفاظ ، الورقة (٨) طلعت من الأطباء ، اتحفظت فى المجلس ، ما حصلش وراها تعليقات من اللى قاعدين لسبب بسيط أن مفيش حد منهم مختص يقدر يناقش الأربعة من فطاحل الأطباء الموجودين .. ده كلام بالمنطق كده ..

س : إذن هل تذكر بالتحديد السبب الأساسى الموجود بالورقة التى أودعت محضر مجلس الوزراء واللجنة التنفيذية العليا عن سبب الوفاة .. ، يعنى الرئيس جمال عبد الناصر مات إزاى .. طبعاً لابد أن يكون هذا مذكوراً فى الورقة التى قدمت فى الاجتماع المشترك ؟

الفريق فوزى : سبب الوفاة همّ يغلبوا فى دقتهم وصحتهم عما أرويه أنا أو هيكل ، حاجة تخص القلب ، وليست الكومة ، صحيح هو عنده السكر وعنده الدوالى (٩) .

س : شيعت جناز الرئيس جمال عبد الناصر يوم الخميس أول أكتوبر سنة ١٩٧٠ ، و يوم السبت ٣ أكتوبر جاء إليك الفريق طبيب رفاعى باعتبارك رئيسه وقال لك إنه عمل حاجة غلط .. وأترك لك الفرصة لسماع صوته وهو يقول ذلك (١٠) .

الفريق فوزى : والله بالنسبة لى فأنا لا أذكر تماماً ، لكن مادام الفريق رفاعى كامل قال كده يبقى صحّ بصرف النظر عن متعلقات الخبر ،

(٨) الورقة هى نفس التقرير الطبى بقسم الوثائق بهذا الكتاب .

(٩) فى المحضر الرسمى للاجتماع المشترك للجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء الذى عقد مساء ١٩٧٠/٩/٢٨ بقصر القبة أن الدكتور فايز منصور حضر بالنيابة عن الأطباء وقرأ البيان أو الإعلان وختمه بقوله : « **لقد نفذت إرادة الله ولم تكن هناك قوة تحول دون ذلك ، إن المستحيل قد عُمل من أجل الرئيس ولكن علينا أن نؤمن بأنه لا راد لقضائه ...** » .

(١٠) واستبدلت بالكاسيت ، كلام د . رفاعى كامل وفتحته فسمع الفريق فوزى ما قاله د . رفاعي كامل حول رسم القلب يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ والتحليل الذى لا تصل فيه نسبة التجلط إلى أكثر من ٢٢٪ وهذا لا يؤدى إلى جلطة فى القلب ، ثم أغلقت الكاسيت وأعدت شريط التسجيل إلى مكانه .

الراجل معرفة قديمة ، سابقة ، وموثوق فيه جداً ، وعالم ، وأنا أخذتها استنتاجات وليس واقعاً نتيجة أنني ردّيت له الرد ده (١١) ، اعذرني ، رفاعي كامل مضبوط ، لكنه مضى على سطرين همّ سبب الوفاة ، ما كانش هناك داع يمضي ، ما كانش فيه عجلة (١٢) .

س : لا ، سيادة الفريق كان فيه عجلة .. إذ لابد من إعلان الأمر على الناس .. لابد من معرفة كيف مات الرئيس .. هل قتل أم الوفاة طبيعية .. ؟ لأن عبد الناصر كان هدفاً لكثير من المؤامرات .

الفريق فوزي : ما كانش فيه عجلة ، فيه إجراءات عادية لاستكمال الاجتماع المشترك ، ولابد أن يكون بند سبب الوفاة واضحاً قبل إعلان الوفاة ، وما كانش فيه ضغط عليه ، وكان معاه زمايل لا يقلوا عن رفاعي كامل من ناحية الفن والتدقيق ، وكان فايز (يقصد دكتور منصور فايز) والتاني (يقصد د . الصاوي حبيب) بيدّاسوا (أي يعملون أو ضالعين معه أكثر) أكثر من رفاعي كامل .. رفاعي كان بيبجي استكمال للمراجعة .

س : من أي النواحي تقصد سيادة الفريق ، من ناحية أن الفريق طبيب رفاعي كامل أكبر من الآخرين سناً أم باعتباره من القوات المسلحة .. ؟

الفريق فوزي : **لا ، اسم رفاعي كامل فوق .. عالم ، خصوصاً في القلب (١٣) .**

س : فيما يختص بالفقرة التي قال فيها د . رفاعي أن سامي شرف دفع إليه بإعلان الوفاة ليوقع عليه .. ربما كان في طريقة تقديم الإعلان للدكتور رفاعي من قبل

---

(١١) أي عبارة « إكفي على الخبر ماجور» .

(١٢) لم ينكر الفريق فوزي واقعة حضور الفريق طبيب رفاعي له واعترافه له بأنه أخطأ في التوقيع ، وقد تحول الأمر بعد ذلك إلى اللوم : لماذا وقع إذا كان قد أدرك الخطأ وهو رجل عسكري ، المفروض فيه الانضباط .. ؟ إنه لم يكن واقعاً تحت ضغط .. ومن جهة أخرى فإن التسليم من قبل الفريق فوزي بأهمية وخطورة اعتراف الفريق طبيب رفاعي كان سينقل خطورة الأمر إلى مستوى آخر وقد تثور الجماهير وتقلب كل شيء رأساً على عقب باعتبار حادث الموت مؤامرة وكانت البلاد غير مستعدة لمواجهة كل هذا !!

(١٣) ليس صحيحاً ما ذكره الفريق فوزي عن الأطباء الآخرين منصور فايز وزكي الرملي والصاوي حبيب أنهم لا يقلون =

سامى شرف ، فيها — أى فى هذه الطريقة — شبهة ضغط أحسه الدكتور رفاعى .. ثم كان هناك ضغط من نوع آخر .. وهو الوقت الذى وقعت فيه الوفاة والعدو على حدودنا وحرب الاستنزاف قائمة ، والجبهة الشرقية مهددة بالقتال الحادث فى الأردن بين الجيش الأردنى والمقاومة الفلسطينية وهذا الموضوع الذى بحثه مؤتمر القمة العربى (مؤتمر هيلتون) .

الفريق فوزى : لقد فكرت فى كل هذا على نحو آخر ، أن الموضوع كان قد انتهى ودفن الرئيس ، .. طبعاً هناك خطأ ارتكبه د . رفاعى لأنه وقع على شهادة غلط ولا أعتقد — حتى الآن — أنه كان هناك ضغط واقع عليه ليوقع .. الورقة الأولى الرسمية فى ملف الحكم الجديد كان هو إعلان وفاة الرئيس جمال عبد الناصر .. وربما يمثل هذا ضغطاً من نوع ما .. إذ لا يمكن أن يذهب للإذاعة ليعلن للناس وفاة عبدالناصر وليس فى يده ورقة رسمية مستوفاة ، شىء يخاطب به الشعب والأمة العربية .

س : بعيداً عن خطأ الفريق رفاعى فى التوقيع على ورقة خطأ ، وعن الإجراءات غير السليمة .. ألم يستوقفك شىء فى هذا الاعتراف الصادر عن فريق طبيب تحت رئاستك .. ؟!

الفريق فوزى : الواقع أننى كنت مشغولاً بالظروف الجديدة التى كانت فيها البلاد ، فقد مات الزعيم جمال عبد الناصر ، وجنازته كانت تضم الملايين كما تعرف ، وإسرائيل على الحدود تحتل الضفة الشرقية .. صحيح أننا كنا فى جو حرب الاستنزاف التى بدأت بعد أشهر من الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ .. والوضع كان يتطلب اليقظة الكاملة .. هذا بالإضافة إلى أنى أعرف ما يمكن أن يحدث بين

= عن د . رفاعى من ناحية الفن الطبى والتدقيق ، وعدم الصحة فى هذا القول ليس راجعاً إلاّ لعدم معرفة الفريق فوزى بالمستوى المهنى الذى بلغه كل منهم ، فالدكتور رفاعى كامل حاصل على أعلى الدرجات العلمية فى القلب وطب الفضاء (بكالوريوس ودبلومات ودكتوراه وزمالة .. فضلاً على مركزه ، حيث وصل إلى مركز رئيس الخدمات الطبية فى القوات المسلحة عامة وهو الذى وضع الخطة الطبية لحرب أكتوبر) أما زملاء الدكتور رفاعى فهم لم يصلوا إلى مستواه العلمى أو المهنى .. كما لم يحصل بعضهم على المؤهلات اللازمة للتخصص فى أمراض القلب .

الأطباء من صراعات وأحقاد مما يدفع بعضهم إلى أن يكيل الاتهامات للآخر.

س : كنت مع الرئيس ناصر فى وداع أمير الكويت عصر يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٧٠ ، هل لاحظت شيئاً غير عادى .. ؟!

الفريق فوزى : الشىء غير العادى الذى لاحظته عليه أنه أشار بأصبعه لتتجه العربة إليه حيث كان يقف تحت جناح الطائرة .. هذه الإشارة هى الشىء غير العادى ، أمّا غير ذلك فلم ألاحظ شيئاً ، وحتى هذا فإنه لم يثر لدينا شيئاً وإلاّ كنا رافقناه إلى بيته .

س : عندما وصلت إلى بيت الرئيس جمال عبد الناصر فى منشية البكرى هل كان قد توفى أم كانت الحياة مازالت تنبض فيه .. ؟

الفريق فوزى : **لا ما كانش توفى ، كان فى غيبوبة ومتركّب على صدره أجهزة القياس وأجهزة ضغط القلب وهو فى غيبوبة ولابس البيجاما .. قبل الوفاة بنصف ساعة كان الجميع حاضرين اللى عارفهم عدا الشافعى وأنور السادات .. حسين الشافعى دخل وبعدين فى الآخر خالص وصل أنور السادات .. (١٤) .**

س : أليس من الغريب ألا تحضر أنت ورفاقك الذين هم رفاقه ، وأيضاً .. أليس غريباً ألاّ تحضروا إلاّ وهو فى النزع الأخير؟ لماذا لم يحضر الجميع وفى وقت مبكر وتحاولون إنقاذه (١٥) ، مادام هناك تسليم بالتشخيص الذى يقول بالأزمة القلبية .. إن غرفة العناية المركزة كانت جديدة فى مستشفى المعادى ، والمستشفى نفسه كان مجهزاً لاستقبال مثل هذه الحالات !

الفريق فوزى : هذا ما حدث ، والواقع أننى عندما ذهبت إلى هناك وصعدت إلى غرفة نومه كانت أجهزة قياس الصدمة وتنظيم ضربات القلب مربوطة فى جسمه ، وكان إلى جانبه من الأطباء الصاوى حبيب

---

(١٤) ثبت فيما بعد أن الرئيس انتقل من غيبوبة السكر إلى الموت وكان الأطباء المحيطون به يحاولون فى جسم ميت وعاجزين تماماً حتى عن الجهر بالحقيقة إلاّ بعد ساعة ونصف (!!)

(١٥) إنقاذه على الأقل من أطبائه .. !!

يضغط على صدره بجهاز تنشيط القلب ، وكان حوله الأطباء الآخرون ومنهم د . رفاعى ..

س : لكن الفريق طبيب رفاعى كامل يذكر أنه جاء بعد أن كان الرئيس قد مات فعلاً .. ؟!

الفريق فوزى : لا .. جاء والنبض كان لا يزال فى جسد الرئيس ناصر ..

س : مرة أخرى ، من كان موجوداً من الرفاق . ؟

الفريق فوزى : على صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف وهيكل ومحمد أحمد ..

س : مرة أخرى ، فى المطار .. هل كان الرئيس ناصر يبدو متعباً .. ؟

الفريق فوزى : أتحدى أن يلاحظ أحد أن الرئيس جمال عبد الناصر كان غير عادى فى حركة جسمه أو صدر منه فعل يُشتمّ منه ضعف أو طلب نجدة .. لا أحد لاحظ شيئاً غير عادى سوى إشارته بإصبعه للعربة ..

س : قيل إن كوباً من العصير قدم إليه قبل أن يدخل العربة ؟

الفريق فوزى : لا .. وهو صلب ورأسه ناشفة وقد لا يدرك عواقب الأزمة الصحية التى كان يعانيها ..

وإلى هنا وتنتهى أقوال وشهادة الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر وبطل حرب الاستنزاف من ١٩٦٧ إلى مايو سنة ١٩٧١ ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

شهادة الدكتور الصاوى حبيب

س : د . الصاوى (١) أستاذ بجامعة الأزهر الآن .. أليس كذلك ؟

د . الصاوى : أنا حالياً وكيل أول وزارة بالمجالس القومية وعضو شعبتى البحث العلمى والتكنولوجيا وشعبة التعليم الجامعى وأعمل أستاذاً غير متفرغ بكلية طب الأزهر ..

س : وبالطبع صاحب عيادة أو عيادتين والطبيب الخاص للزعيم جمال عبد الناصر .. ما عمرك الآن يا دكتور صاوى ؟

د . الصاوى : أنا من مواليد ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٩ ، وأسرتى من المنوفية (محافظة أنور السادات رئيس جمهورية مصر ٧٠ ــ ١٩٨١) إلاّ أننى ولدت فى طنطا (محافظة الغربية) وأسرتى كما ذكرت من المنوفية ، زاوية الناعورة ــ العراقية ، مركز الشهداء منوفية ، وحصلت على البكالوريوس فى الطب

---

(١) **الدكتور الصاوى حبيب** ، الطبيب الخاص لعبد الناصر ــ تمت هذه الشهادة فى لقاء معه مساء ١٢ أكتوبر سنة ١٩٨٦ بعيادته ، والدكتور الصاوى حبيب يعتبر الطبيب الخاص والمقيم والمرافق للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وقد ظل معه منذ منتصف الستينيات إلى أن أعلن وفاته مساء ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، والشهادة حافلة بتفاصيل كثيرة قد تبدو عديمة الأهمية ، لكنها ضرورية للاقتراب خطوة خطوة من الحدث الكبير .. وهامة أيضاً لأنها صادرة عن الشخص الذى دارت حوله أكبر قدر من التساؤلات .

● د . الصاوى حبيب ●

فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ بدرجة جيد ، وفى مبدأ حياتى عملت طبيب امتياز بمستشفيات جامعة القاهرة ثم نائب جراحة بمستشفيات وزارة الأوقاف وحصلت على دبلوم جراحة ومسالك بولية ، ثم أصيبت بقرحة فى الاثنى عشر ، وكانت قرحة الاثنى عشر فى ذلك الوقت من الأمراض التى لها أهمية كبيرة موش زى دلوقتى .. وكان من النادر أنها تيجى فى العشرينيات .. كان أكثر حدوثها فى الأربعينيات ، فاتجهت بعد وصولى إلى مرحلة الجراحة والمسالك البولية ، إلى امتحان الماجستير التى تعادل الدكتوراه الآن (!!) (٢) ، وكما سبق القول جات لىّ حكاية القرحة دى وقد تزوجت سنة ١٩٥٩ ودخلت القوات المسلحة كطبيب وكنت فى هذه الفترة أحاول أن أدرس كثيراً ..

س : متى ذهبت إلى رئاسة الجمهورية طبيباً لعلاج عبد الناصر.. ؟

جـ : سنة ١٩٦١ (٣) .

س : هل كان بالرياسة قسم طبى فى ذلك الوقت ؟

جـ : أيوه ، وكأن يرأسه الدكتور أحمد ثروت ومعه اثنان آخران ..

س : من هما .. ؟

جـ : لا داعى لذكر الأسماء (٤) .

س : هل أحدكما هو الدكتور رفاعى كامل والثانى هو الدكتور منصور فايز.. ؟

---

(٢) لا أفهم أن هناك ماجستير تعادل الدكتوراه فى الطب أو فى تخصص من تخصصاته ، ولكن من الطبيعى أن يجرى التركيز الشديد على مؤهلات والدرجات العلمية للدكتور الصاوى بعد أن اتهمه السيد صلاح الشاهد كبير الأمناء بأنه ليس إلاّ طبيب أطفال وأنه كان غير مؤهل لعلاج الرئيس جمال عبد الناصر وكان هذا الاتهام هو موضوع الجناية رقم ٨٨ لسنة ١٩٨٧ مصر جنايات .

(٣) فى إجابته على سؤال متى رأى عبد الناصر لأول مرة أو متى كان أول لقاء بينك و بين ناصر ، أجاب : بأن أول لقاء كان فى سنة ١٩٦٤ (مجلة صباح الخير فى ١٩٨٦/١١/٦ ، ص ٨ وما بعدها) .

(٤) كان أسماء الأطباء سراً حربياً لا يجوز إعلانه وإلاّ استفاد منه العدو (!!) .. الطبيبان هما الدكتور المفتى والدكتور بطاطا .

جـ : لا ، الدكتور رفاعى ده أستاذنا (٥) ، أنا قصدى أقول إن الاثنين الآخرين أطباء من مستوانا لأن الدكتور رفاعى كان فى الخدمات الطبية للجيش ..

س : لكن الدكتور رفاعى كان بييجى الرياسة .. ؟

جـ : كان بييجى لمين .. ما أعرفش ..

س : طيب كان القسم الطبى فى الرياسة بيتكون من مين ؟

جـ : من أطباء يرأسهم الدكتور ثروت (٦) .. واثنين من الصيادلة وطبيب أسنان ..

س : هل كان الدكتور غزال رئيس مجلس إدارة شركة الجمهورية للأدوية حالياً من الصيادلة ؟

جـ : لأ ، كان الصيدلى هو الدكتور صلاح جبر ، وهو على المعاش حالياً ويلى الدكتور ثروت فى الأقدمية وبعدين كان فيه اثنين من الأطباء البشريين كما سبق القول .. وكان فيه الدكتور غزال وده كان كبير الصيادلة ..

س : من الذى كان يقوم بالتحاليل للرئيس جمال عبد الناصر .. ؟

جـ : كان يقوم بالتحاليل الدكتور صلاح جبر (٧) .

س : صلاح جبر وإلاّ ناصح أمين ؟

جـ : د . صلاح جبر كان بيحلل البول اليومى وإنما التحاليل الثانية كان يقوم بها الدكتور ناصح أمين الذى كان يتمتع بمنزلة كبيرة عند الرئيس جمال عبد الناصر وهو الوحيد الذى لم يكن يتناول أجراً ، وأنا فاكر إن الريس الله يرحمه مرة عرف إن الدكتور ناصح كان مسافر بره فبعت له ٥٠٠ جنيه إسترلينى فرفض قبولهم .. تخيّل سيادتك ، مع أنها كانت عملة نادرة .. وقال يومها : أنا مش عايز حاجة !!

---

(٥) يذكر الدكتور الصاوى حبيب الدكتور رفاعى بكل خير الآن ويصفه بأنه « أستاذنا » إلى أن يفاجأ بأنه يختلف معه فى تشخيص المرض الذى نتج عنه وفاة جمال عبد الناصر .. عندئذ يصبح د . رفاعى ولا حاجة !!

(٦) توفى الدكتور أحمد ثروت سنة ١٩٧٣ .

(٧) لم يرد ذكر الدكتور ناصح أمين إلا عندما فوجئ بمعرفتى بأن الدكتور ناصح أمين كان هو المسئول الأول عن التحاليل وكان لا يتقاضى أجراً عن عمله هذا .. وكان يقوم بالتحليل فى معمله الخاص بوسط القاهرة !

س : ما أنواع التحاليل التى كان د . ناصح أمين يجريها فى القصر الجمهوزى .. ؟

جـ : أنا باقصد هنا مش القصر الجمهورى .. أقصد بيت الريس فى منشية البكرى .. وعلى كل حال فالدكتور ناصح أمين ما كانش بيحلل داخل البيت أو القصر .. إنما كان بياخد العينات معاه فى معمله .

س : كل العينات كان د . ناصح ياخدها يحللها بره فى معمله ؟

جـ : أيـــــوه ..

س : هل ظل هذا القسم الطبى كما هو .. وهل كان به صيدلية وأدو ية ؟

جـ : أيـــــوه ..

س : هل كان الصيادلة مقيمين بصفة دائمة ؟

جـ : أيوه .. كان فيه يوم كامل مقيمين ، أى نظام اليوم الكامل ، وكانوا يشترون الأدو ية من أى مخزن أدو ية مش من مكان واحد وذلك طبعاً للأمان .

س : متى حصلت على الدكتوراه .. ؟

جـ : أنا حصلت على دبلوم القلب فى نوفمبر سنة ١٩٦٨ والدكتوراه بعدها بسنة (٨) .

س : ماذا كان موضوع الدكتوراه ؟

جـ : « نقص زلال الدم فى حالات بلهارسيا الكبد » وهل بسبب ضعف خلايا الكبد أم سببه ارتفاع ضغط الدم ، واعتقد أنها أول مرة يثبت فيها فى مصر نقص زلال الدم فى حالات بلهارسيا الكبد نتيجة لارتفاع ضغط الدم فى الور يد البابى وليس لضعف خلايا الكبد ..

---

(٨) فى دعوى القذف رقم ٨٨ لسنة ١٩٨٧ مصر جنايات ، والمتهم فيها صلاح الشاهد كبير الأمناء وآخرون بالقذف فى حق الدكتور الصاوى حبيب ، وهى الجناية التى انتهت بحكم البراءة ، فى هذه الجناية يقرر محمود كامل العربى المحامىْ عن د . الصاوى حبيب ، يقرر فى عريضة دعوى القذف أن الدكتور الصاوى حاصل على ٥ درجات علمية وهى بالتحديد :

١ــ بكالور يوس الطب والجراحة ، ديسمبر سنة ١٩٥٢ بدرجة جيد .

٢ــ دبلوم الجراحة العامة ، أبر يل سنة ١٩٥٦ بدرجة مقبول .

٣ــ دبلوم المسالك البولية ، أكتوبر سنة ١٩٥٨ بدرجة مقبول .

٣ــ دبلوم الأمراض الباطنية ، أكتوبر سنة ١٩٦٤ بدرجة جيد .

٤ــ دكتوراه الأمراض الباطنية ، نوفمبر سنة ١٩٥٩ بدرجة جيد .

ولا يرد فى هذا الحصر ذكر لدبلوم القلب ولا الدكتوراه فى القلب ، ولكن فى الأمراض الباطنية !!

س : كم عام قضيتها فى العمل بالرياسة مع عبد الناصر .. ؟

جـ : أنا كنت أعمل فى نفس الوقت بمستشفيات المؤسسة العلاجية وأدرس بكلية طب الأزهر ــ بعد حصولى على الدكتوراه ــ وكان لدى عيادتى الخاصة ، وذلك لأننى مؤمن بأننى كلما رأيت عدداً أكثر من المرضى فهذا أفضل ، يعنى ما تقوليش بقى اقعد فى وظيفة طبيب رئيس الجمهورية وبس ، أنا لو قعدت طبيب رئيس الجمهورية مستوايا يهبط .. ولذا لازم أشوف عدد أكبر من المرضى !!

س : ما الوقت الذى كان يستغرقه العمل فى رياسة الجمهورية ، أى فى بيت الرئيس بمنشة البكرى .. ؟

جـ : هو فى الواقع أن أهم شيء كان يشغل تفكيرى هو الواحد يحصل على الدكتوراه أحسن من أى حاجة ثانية ، لكن الرياسة طبعاً كان فيها شغل كثير جداً لدرجة أننا بدأنا فى سنة من السنين عديت (أحصيت) الناس اللى شفتهم ما بين الرياسة والقيادة (قيادة الجيش) ما أعرفش طلعوا (**١١ ألفاً**) يعنى ناس كتير ، وبعدين كنا زمان العدد أكبر (**يقصد عدد الأطباء الذين فى الرياسة كثير**) وبعدين أنت موش بتعالجهم بس لا دا أنت تحت الطلب ليل نهار(٩) .

س : كيف يختار الطبيب للعمل برياسة الجمهورية .. ؟ (١٠)

جـ : بناء على ترشيح شخصى ..

س : ما الاشتراطات مثلاً فى الطبيب الذى يعالج رئيس الجمهورية ؟

جـ : مثلاً لما جيت أروح القسم الطبى للرئاسة رحت لمدير القسم الطبى واسمه الدكتور أحمد ثروت .. طبعاً طلبت الأول موعداً معه ، الراجل قابلنى ، قلت له : سيادتك عندك واحد ح يطلع ، أنا الدكتور الصاوى حبيب ، ومؤهلاتى كذا

(٩) يتناقض هذا مع ما قرره سابقاً أنه يعمل فى أكثر من مكان : الرياسة والقوات المسلحة ومستشفيات المؤسسة العلاجية و يدرس فى كلية طب الأزهر و يعمل فى عيادته الخاصة (!)

(١٠) قيل لى إن اختيار أطباء الرياسة يتم بناء على موافقة محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس ، لكن فى معظم الأحيان يجرى الترشيح من قبل شخص قريب أو وثيق الصلة بالرئيس .. ويقال ــ ولست أذكر المصدر ــ أن عدداً من أطباء الرئاسة جاء بناء على ترشيح من المخابرات العامة !

وخبرتى كذا وأنا باشتغل فى الجيش وأنا أحب أشتغل فى الحتة دى .. أى فى الرياسة .

س : لكن الدكتور ثروت كان فى السلك العسكرى أيضاً وكانت له اتصالات بالمشير عبد الحكيم عامر .. كذلك كان يعمل بالمخابرات .. ؟

جـ : لا ، هو ما كانش متصل بالمشير ، كان شغله الأساسى مع جمال عبد الناصر .. يعنى هو كان طبيب جمال عبد الناصر مش طبيب عبد الحكيم عامر .

س : سمعت أن د . ثروت محل ثقة عبد الناصر وكان الريّس بيتفاءل به .. ؟

جـ : هوه على كل حال كان طبيب الريّس ولم يكن بالطبع يمنع الأطباء الآخرين من رؤيته ، على كل حال قلت للدكتور ثروت فلان رايح بعثة وفلان مسافر هناك .. وأنا حاصل على دبلومات كذا وكذا .. وسكت ولزم الصمت هو أيضاً ، و يبدو أننى عندما تقدمت إليه مباشرة ودون واسطة فقد أعجبه هذا فىّ ، واختارنى لأن كان فيه أطباء بتتقدم عن طريق ناس ثانية ، فرأى أن يكون صاحب فضل علىّ أحسن ما ييجى واحد من بره ، بس ، ونفس الزملاء اللى كانوا موجودين برضه كنا دفعات متقاربة فى السن فاختارنى لهذا السبب ، وأنا كنت أيامها نظراً لظروف القرحة المصاب بها كنت محتاج أن أقعد فى مكان أذاكر فيه وخاصة أنى كنت قررت أن أبتدى من أول وجديد فى الأمراض الباطنية والقلب ، وفعلاً فى الفترة دى ما كانش حد يعرفنى ولا حد له دعوة بى ومتفرغ تقريباً للعلم ..

س : متى رايت الرئيس عبد الناصر أول مرة ، أى متى كشفت عليه كطبيب لأول مرة .. ؟

جـ : هو أول مرة أعطيت له دواء كان يوم ما كان خروشوف هنا فى مديرية التحرير(١١) .

---

(١١) فى مجلة صباح الخير بتاريخ ٦ / ١١ / ١٩٨٦ (بعد ١٦ عاماً من الصمت طبيب عبد الناصر يتكلم لأول مرة) يقول د . الصاوى : لسنوات طويلة كنت أعمل كطبيب سيارة الإسعاف التى ترافق الرئيس فى تحركاته ، أمّا أول مرة رأيته فيها وأعطيته دواء كانت عام ١٩٦٤ فى هذا العام كان الرئيس السوفيتى خروشوف فى زيارة لمصر ، وذهب والرئيس ناصر لتفقد العمل فى مديرية التحرير التى تعد نموذجاً لاستصلاح الأراضى ، وأثناء رحلة الذهاب فوجئت

س : هل كان هذا فى سنة ١٩٦٤ أو ١٩٦٥ ؟

جـ : أظن كده ، وبعدين لـمّا كان رئيس الجمهورية يبقى فى مشوار يبقى وراه حراسة من ضمنها الطبيب ، واحنا كنا بنتبادل هذا الواجب ، أما طبيبه الخاص الدكتور ثروت فلا يذهب معه فى كل مشوار . .

س : هو الدكتور ثروت ترك الرياسة سنة كان ؟

جـ : فى النكسة (يونيو ١٩٦٧) . . والواقع أنه لم يترك الرياسة ، لكن ظروفه الصحية ما خلتوش يستمر فابتدأ لا يقدر على الحضور كل يوم . .

س : لكن حدث أن الريّس عرف أن الدكتور ثروت زار المشير عامر عندما كان محاصراً فى بيته بالجيزة (١٢) فمنعه من الحضور لمنشية البكرى ؟

جـ : لا ، هذا لم يحدث ، وعن لسانى أنه لم يحدث والدكتور ثروت كان مسموحاً له أن يجئ إلى الرئاسة فى أى وقت عند الريّس ويخش يقعد معاه من غير ما يكشف عليه ولا حاجة . .

س : لأ . . ربما يكون كلامك صحيحاً قبل سنة ١٩٦٧ . . ؟

جـ : بعد سنة ١٩٦٧ تقصد . . ؟

س : طبعاً بعد يونيو ١٩٦٧ الريّس قال له إنت رحت للمشير عامر ما تروحش تانى هذا ما سمعته . .

جـ : الواقعة دى لا يوجد ما يشبهها وأنا ما عنديش أى فكرة عنها وأعتقد أنها غير صحيحة وبالعكس أنا ميّال جداً أن أقول إنها غير صحيحة . .

س : إذن فأنت تعتقد أن ظروف د . أحمد ثروت ، ظروفه الصحية هى التى أبعدته عن جمال عبد الناصر . ؟

بوقوف الركب وجاء من يقول لى : « الريس تعبان » وعندما ذهبت إليه عرفت أنه يشعر بحالة غثيان ورغبته فى القيئ ، وقد أعطيته الدواء المناسب لهذه الحالة .

ورغم أنى كنت أرافقه فى كل تحركاته ، إلاّ أننى لم أره مباشرة إلاّ فى هذه المرة فقط وحتى ١٢ يونيو سنة ١٩٦٧ . وهذه لها قصة أخرى .

(١٢) أدلى لى بهذه الحقيقة الدكتور محمد أحمد ثروت ابن الدكتور ثروت وأكدها لى صلاح الشاهد كبير الأمناء ، كما أكدها السيد سامى شرف وزير شئون رياسة الجمهورية .

جـ : نعـــــم ..

س : فلنعد إلى أول لقاء بينك و بين الرئيس جمال عبد الناصر ، لقد ذكرت أنه أثناء زيارة خروشوف لمصر وفى الطريق لزيارة مديرية التحرير فإن الركب توقف وجاء من يقول لك إن الريس تعبان .. ؟

جـ : رحت للريس وقال لى : « أنا عاوز أتقيأ » أعطيته دواء ، ورجع ثانى ما كملش المشوار! دى كانت أول مرة و بعد ما اشتغلت معاه بسنة هو اللى فكّرنى بها ، إنما أول مرة أوقع الكشف الطبى الشامل كان يوم ١٣/٧/١٩٦٧ علشان أقيّم الموقف الصحى بتاعه ..

س : ماذا وجدت عنده .. ؟

جـ : طبعاً لا أعتقد أن هذا سر المهنة .. (١٣)

س : طبعاً لا لأن فيه حاجات كتير نشرت عن هذا الموضوع ..

جـ : وأعتقد أن الأستاذ هيكل كتب عن هذا الموضوع ..

س : نعم ، كتب هيكل هذا بشكل تفصيلى فى حواره مع الكاتب فؤاد مطر ، ونشر فى كتاب تحت عنوان « بصراحة عن عبد الناصر » (١٤) ، وقبل هذا نشر فى الأهرام عدة موضوعات عن مرض عبد الناصر ..

د . الصاوى : الواقع أن الدكتور أحمد ثروت كان تعبان ولم يعطنى فكرة عن الموقف الصحى للرئيس جمال عبد الناصر ، والمشرف على علاجه الدكتور

---

(١٣) لكنه اعتبر أن من سر المهنة ألاّ يكشف عن اسم الدواء الذى أعطاه للرئيس ناصر يوم ٢٨/٩/١٩٧٠ .. فأيهما الجدير بالسرية المرض أم الدواء .. ؟

(١٤) يذكر هيكل فى كتاب « بصراحة عن عبد الناصر » لفؤاد مطر صـ١٩٧ ، صـ١٩٨ : أن « **الأطباء** » أجروا للرئيس عبد الناصر فى ١٣/٧/١٩٦٧ كشفاً عاماً وشعر هؤلاء بالخطر ولم يتجاوب مع وصفاتهم وتنبيهاتهم . وفى مجلة صباح الخير (٦/١٠/١٩٨٦) يذكر د . الصاوى أنه بعد الكشف عليه الذى استغرق ساعتين ظهر أنه :

١ ـــ مريض بالسكر .

٢ ـــ تصلب فى شرايين الطرف السفلى الأيمن .

٣ ـــ دوالى فى الشعب بإحدى الرئتين (أو تمدد فى إحدى الرئتين) .

٤ ـــ بعض الالتهابات فى القناة التنفسية .

ومن الواضح أن كمية هائلة من المعلومات التى نشرها هيكل عن مرض عبد الناصر كان مصدرها الدكتور الصاوى حبيب .

منصور فايز أستاذى ، وكذلك الدكتور ناصح أمين الذى أدخلنى أولا عنده قبل الكشف الشامل علشان يعرفنى بالموقف وهذا اليوم ، أى اليوم الذى سبق الكشف (١٢/٧/١٩٦٧) أعطيته حقنة الأنسولين .

س : هل كان جمال عبد الناصر يأخذ أنسولين يومياً ، وما مقدار الجرعة ونوع السكر .. ؟

د . الصاوى : نعم ، و يوم ١٣/٧/١٩٦٧ هو اليوم اللى دخلت عليه ، واستأذنته فى أن أكشف عليه علشان أعرف موقفه الصحى فوجدت أن عنده إلى جانب السكر ، عنده شوية تمدد فى إحدى الرئتين .. تمدد فى شعب إحدى الرئتين .

س : أى رئة اليمين أم الشمال ؟

د . الصاوى : مش فاكر ، وكمان عنده تصلب فى شرايين رجليه واحد منهم كان ناطر .

س : لكن حكاية ساقيه لم تظهر إلاّ الأيام دى ما كانش لها وجود قبل كده .. ؟

جـ : لأ ، أنا عارف إنت تقصد إيه .. لأن حصل بعد كده آلام شديدة بالساقين ورآه ناس كتير بالحالة دى وهذه الآلام كانت شديدة جداً وضمن الأطباء الذين زاروه : الدكتور يحيى طاهر وشخصها بأنها التهاب فى جذور الأعصاب ، لكن الروس قالوا إنها « لى ر يش » و بعدين اتضح أنها فعلاً التهاب فى جذور الأعصاب وده هو اللى خلاه يسافر .. وفى الواقع إن ده كان نوع من مضاعفات مرض السكر لوجود ضمور فى العضلات وآلام شديدة ويمكن أن تزول خلال ستة شهور ، وعُمل له مؤتمر كبير قبل أن يسافر ونوقش فى هذا المؤتمر موضوع سفره .. وحضر هذا المؤتمر عشرة أطباء منهم : د . منصور فايز ، د .. على البدرى ،

---

(١٥) تجاهل د . الصاوى حبيب الرد على الجزء الخاص من سؤالى عن حجم الجرعة اليومية من الأنسولين ، وهل كانت مرة واحدة فى الصباح أم مرتين أو ثلاثاً يومياً ، وهل كان يتعاطاها عن طريق الحقن أم أقراص .. ثم هل كان نوع السكر من الخفيف أم الثقيل .. ؟ وما درجته .. وما نوع الطعام المقرر .. وعلى أى درجة يُضبط السكر .. ؟!

د . مسلمى ، د . محمود صلاح الدين ، د . يحيى طاهر.. ووافق الجميع على سفره للعلاج الطبيعى .

س : هل تتذكر أسماء أخرى كانت فى هذا المؤتمر الموسّع ؟

جـ : أظن كان فيه أيضاً المرحوم الدكتور رياض فوزى والدكتور محمد صبرى .

س : الدكتور رفاعى كامل ما كانش موجود ؟

جـ : والله موش متأكد لكن متهيأ لى إنه كان موجود ، وأنا علشان مش متذكر مش عاوز أقول أسماء (١٦) .

س : هل وافق المؤتمر على سفره للعلاج الطبيعى فى الاتحاد السوفيتى ؟

جـ : نعم ، والمياه المعدنية التى كان يعالج بها هى نوع به أشعة مفيدة .. وقد قالوا إنه سيخف خلال ستة شهور وقد كان ، بل إنه شفى تماماً ، وأنا من ناحيتى جرّبت هذه المياه وحبيت أشوف بتعمل إيه ..

س : معنى هذا أنك كنت معه .. ؟

جـ : من عام ١٩٦٧ كنت مسئولاً عنه كطبيب خاص وكان المشرف على العلاج الدكتور منصور فايز ، وبعدين كان الدكتور محمود صلاح الدين فيما يختص بالقلب (١٧) ، لفترة ثم فى السنة الأخيرة كان الدكتور زكى الرملى .

س : يعنى إنت كنت فى الاتحاد السوفيتى معه لمتابعة العلاج ؟

جـ : ما كانش ممكن يروح هنا والاّ هنا إلاّ لـمّا أشوفه ، وكنت أشوفه مرتين فى اليوم مرة الصبح ومرة بالليل .. (!!)

س : هل لاحظت تقدماً فى صحة الرئيس خلال فترة وجوده فى الاتحاد السوفيتى .. ؟

جـ : العلاج الطبيعى كان موضوع هام جداً ، إحنا كنا بنخليه يمشى ..

س : كان مين تانى مع حضرتك من الأطباء المصريين ؟

---

(١٦) يتجاهل دائماً الدكتور الصاوى حبيب وجود د . رفاعى كامل .. لماذا .. ؟

(١٧) طبيب القلب المعروف بالإسكندرية .

جـ : د. منصور فايز كمشرف وطبعاً ده بييجى مش أقل من مرتين فى الأسبوع لأنه هو يعنـى كان زى رئيس القسم وأنا الطبيب الثانى ، أو بمعنى أصح لـمّا الريّس يكـون رايح ز يـارة أو مـوعـد غير هـام يكون معاه اثنين يتناو بان على خدمته .. وطبعاً أثناء الأزمات الكبيرة كان الواحد يقيم بالقرب منه .

س : كان فيه مكان للإقامة ؟

جـ : فى السكرتار ية .. ، لأن فيه ضباط حراسة لهم إقامة ، ودى مش مشكلة ..

س : يعنى فى فترة علاجه بالاتحاد السوفيتى كنت أنت مقيماً هناك .. وكانت تتاح لك الفرصة لتراه يومياً ؟!

جـ : طبعاً كنت أراه مرة ومرتين يومياً كما كنا نتقابل مع الأطباء السوفييت المعالجين وكانت تدور بيننا مناقشات كثيرة .

س : سبق أن ذكرت أنه بعد ستة شهور شُفى تماماً .. هل تؤكد على هذا القول .. ؟

جـ : يعنـى الآلام زالت والضمور إتحسّن ، ولو قارنت بين الوقت اللى كان فيه الألم الشديد والوقت اللى خف فيه .. ح يظهر لك الفارق الكبير ..

س : هل مكث فى الاتحاد السوفيتى للعلاج مدة طو يلة ؟

جـ : ٢٦ يـوم ، لـكن هو ما خفش فى الـ ٢٦ يوم ، يعنى هو رجع و بدأت الآلام تزول فعلاً بالتدر يج ..

س : بالـتـدر يج يعنى العلاج الطبيعى اللى عمله كان له تأثير كو يس عليه .. ؟ هل لأن النظام هناك كان مضبوطاً ، أم لأن تعليمات معينة فى العلاج رأوا أنه ينبغى عليكم اتباعها .. أم أن الجو.. ؟

جـ : كـل هـذه الأسباب مجتمعة جعلته يصبح أحسن .. هذا بالإضافة إلى أنه كان قد أبطل التدخين ..

س : حقـــاً .. ؟

جـ : نعم ، وكان هذا صعباً عليه لأن التدخين كان عنده حاجة مهمة جداً .

س : فلنترك رحلة الاتحاد السوفيتي الآن ولنعد إلى عملك بالرئاسة .. هل كان من المقرر عليك أو ضمن واجباتك أن ترى أو تزور أو ترعى مرضى الرئاسة .. ؟

جـ : فى الواقع ما كنتش بأشوف حدّ إلاّ فى اليوم اللى حاول فيه المشير عبد الحكيم عامر الانتحار فى بيت جمال عبد الناصر يوم ٢٥ يوليو ، أنا كنت موجود بالبيت بالصدفة وجاء إلىّ أحدهم وقال لى : إلحق .. المشير إنتحر ومش عارفين إيه السم اللى أخذه ، رحتُ وسألت المشير والسيد زكريا محيى الدين يسأل معى عن السم الذى تناوله .. وقال لى السيد زكريا محيى الدين : هو أخد حاجة و بلعها قدامنا وخلاص .. ورأيت ألاّ أضيّع الوقت فى السؤال عن هذه المادة التى تناولها وأن أجعله يتقيأ .. وفعلاً أنا والسيد حسين الشافعى أمسكنا به وأخلينا الحجرة عدا أنور السادات قمنا بتكتيف المشير عامر وأرغمته على التقيؤ و بعدين قعدت أعطيه منشّطات لغاية ما بقى كويس ، وراح البيت ، بيته ، و بعدين رحت الصبح له فى بيته بالجيزة واطمأنيت عليه وقال لى ما معناه : « إنت فرحان علشان اللى عملته إمبارح » .. و .

س : ولكن ما هو السم الذى كان قد تناوله .. ؟

جـ : هو **الادريانين** اللى انتحر به بعد كده عندما واتته الظروف وهو وحده ومقفول عليه (١٨) .

س : إذن ليس السيانيد أو السيانور؟

جـ : هم قالوا أخذ سيانيد ، لكن أيامها قالوا لى إنه أخذ سيانيد .. إلاّ أننى أعتقد أن الادريانين هو السم الذى حاول الانتحار به فى بيت الرئيس جمال عبد الناصر وطبعاً اللى أنقذه إنه فى اللحظة اللى بلع فيها السم كنت أنا موجود وما كانش الوقت ضاع فى س وج وأرغمناه على التقيؤ فوراً .

س : هو السم ده له تأثير قوى . ؟

جـ : نعم ، جايز بعد ربع ساعة مادامت عملية الامتصاص ماشية على طول وألاّ يكون فى معدته أكل يعطل الامتصاص .

(١٨) الثابت من قرار النيابة العامة فى حادث وفاة المشير عامر فى ١٤/٩/١٩٦٧ أنه انتحر بسم الأكونتين (نص قرار النائب العام محمد عبد السلام فى ١٠/١٠/١٩٦٧) .

س : ألم تر المشير عامر بعد ذلك .. ؟

جـ : لا ، وسافرنا الإسكندرية وعدت قبل عودة الرئيس إلى القاهرة ، وكان قد أبلغ بواقعة انتحار المشير عامر فى شهر أغسطس ، والرئيس أرسل لى السيد أمين هويدى (١٩) قائلاً لى أى حاجة تعوزها إعملها ، عايز دكاترة هات ، عايز أدوية هات ، ابذل كل ما يمكن أن تفعله .. و يومها سألت الدكتور رفاعى كامل (٢٠) فلم أجده لأنه كان مسافراً بالبحر الأحمر ، وعلى كل حال فقد طلبت دواء ضد السموم من مستشفى الطيران .

س : بمناسبة حكاية المشير عامر ألم يتبادر إلى سمعك ما قيل عن ضياع كمية من السم من إدارة المخابرات العامة .. هل تردد مثل هذا الكلام فى الرياسة .. ؟

جـ : بصراحة ، لا أريد أن أخفى عليك ، أنا دائماً معلوماتى قليلة لأنه لى عالمى الخاص الذى أعيش فيه ، لقد كنت أذهب لعبد الناصر يومياً ، لكن لم يكن سوى الطب بالنسبة لى ، وهو ، أى الرئيس ناصر ــ الله يرحمه ــ يوم ما توفى أنا كنت طبيب فى الدرجة الثانية لا آخذ قرش زيادة ولا حاجة خالص ، فى آخر الطابور لا ترقية ولا علاوة ولا حاجة خالص .. الحمد لله .

س : على كل حال ، سوف نعود إلى هذا فيما بعد لأنى كنت قد قرأت عن هذا الموضوع ولا أذكر المصدر ، وقرأت أيضاً أن الذين لديهم علم بهذه المسألة هم أطباء الرئاسة ، و بعض هؤلاء الأطباء كتب فى مذكراته عن موضوع السم .. لكن دعنا من كل هذا لنصل إلى الأزمة القلبية التى عايشتها مع جمال عبد الناصر . ؟

جـ : وفى وقت من الأوقات ظهر الأسيتون عنده .

س : إيه هو الأسيتون .. ؟

جـ : الأسيتون من مضاعفات مرض السكر ، فعندما لا يجد الجسم مادة نشوية أو مادة كربوهيدراتية يحرقها لكى يحصل على الطاقة نتيجة فقد الجلوكوز فى البول يحتاج

---

(١٩) أمين هويدى كان مديراً للمخابرات العامة ثم وزيراً للدولة فى ١٩٦٧/٦/١٩ وظل فى منصبة إلى أن قام السادات بانقلابه فى ١٩٧١/٥/١٥ .

(٢٠) كان الدكتور رفاعى كامل حينئذ مديراً للخدمات الطبية لسلاح الطيران ، وكان ــ فى هذا الوقت ــ مرشحاً لرئاسة الخدمات الطبية للقوات المسلحة ككل ..

الجسم إلى طاقة فيأخذها من الدهن وناتج حرق الدهن للحصول على طاقة هو الأسيتون .. وهذا لا يحدث إلاّ عندما يز يد السكر جداً و يقل الأنسولين و يصبح الجسم فى حاجة إلى طاقة من مصدر غير نشوى .

س : يعنى الأسيتون نتيجة احتراق الدهن .. ؟

جـ : احتراق لحصول الجسم على مصدر للطاقة غير الجلوكوز.

س : وهل الأسيتون مادة سميّة ، بحيث يمثل وجودها فى الجسم خطراً على الحياة .. ؟!

جـ : نعم ، هى فعلاً مادة سمية لأنها مادة كيمائية حمضية دهنية .

س : كيف يؤثر الأسيتون فى جسم الإنسان ؟

جـ : الأسيتون يذهب فى خلايا الجسم و بعدين لـمّا يز يد يبقى فى الدم و ينزل فى البول و وجوده مؤشر على أن السكر انطلق ولا سيطرة عليه ، وطبعاً السكر ده مرض فيه عدة عوامل : عامل المجهود ، فكلما زاد المجهود وزاد التفكير والانفعال والتوتر ارتفع السكر، يعنى تعمل مجهود فقط يقل السكر، تفكّر وتبتدئ تزعل وتنفعل يرتفع السكر، تأكل كثيراً يرتفع السكر، إذن الأكل والانفعال يز يد السكر والمجهود يقلل السكر، فأنت ممكن تعمل كنترول على المجهود .. وعلى الأكل .. لكن الانفعال تعمل فيه إيه ؟ تقول له ما يشتغلش ـــ (يقصد الرئيس) ـــ ما يزعلش ، ما يفرحش ، ما يتوترش ، ما يغضبش ، يبقى مش بنى آدم .. والدكتور اللّى يطلب من مر يضه إنه ما ينفعلش يبقى عاوزه لا يعيش فى الدنيا .. لكن لو قال له تجنب مصادر انفعالك يبقى كده كو يس .. ودى حاجة من الصعب السيطرة عليها .. كُلّ ما تز يد من طعام يز يد السكر.. إعمل مجهود يقلّ السكر.. لا تنفعل .. كيف .. ؟

س : ارتفاع نسبة السكر عند الرئيس عبد الناصر لاحظتها إمتى بالتحديد .. ؟

جـ : فى الفترة التى أعقبت الهزيمة ..

س : وعملت إيه لـمّا لاحظت كده ؟

جـ : عملنا حالة طوارئ ، الدكتور منصور فايز وأنا وجبنا الدكتور على البدرى وأصبح

هو المشرف عليه من ناحية السكر وساعة ما ظهر الأسيتون تعلن الطوارئ على طول ، يعنى طوارئ طبية ، يعنى : انتبهوا لازم يقف الأنسولين طو يل المفعول و يقعد ياخد ٣ مرات فى اليوم أنسولين عادى ويحلل بدل مرة واحدة يحلل ٣ مرات .

س : تقصد تحليل البول والاّ الدم ٣ مرات يومياً ؟

جـ : البول والدم ، ولذا كنت تجد الدكتور ناصح أمين يومياً فى البيت ، وهو أصله ـــ أى الرئيس ناصرـــ كان يشجع الواحد مننا على العمل ، يعنى مثلاً الدكتور ح ييجى الساعة التاسعة صباحاً هنا تجد جمال عبد الناصر على باب حجرته واقف الساعة التاسعة تماماً بالدقيقة وهو كان غر يب من الناحية دى ولا يمكن إنه يتأخرأو يعطلنا .

س : بينما كان يعلن أنه سيحضر مؤتمراً هاماً الساعة الحادية عشرة لكنه لا يحضر إلاّ الساعة الثانية عشرة ؟

جـ : دى كانت حاجة غر يبة ، يقول للدكتور ناصح ييجى الساعة ٩ مثلاً تبص تلاقيه على الباب زى ما قلت لك الساعة ٩ تماماً ، يعنى ممكن الدكتور ناصح يتأخر لكن عبد الناصر يكون فى الميعاد بالضبط ببجامته على باب حجرته .

س : هل اقتضى ظهور الأسيتون تغييراً فى طبيعة العلاج ، فبعد أن كان يتناول الأنسولين طو يل المفعول أصبح يأخذ الأنسولين العادى ٣ مرات فى اليوم واقتضى منه أيضاً ز يادة مجهوده وتقليل انفعالا ته .. ؟

جـ : ده بعد ماراح الأسيتون ..

س : الأسيتون استمر عنده أد إيه .. ؟

جـ : ٢٤ ساعة فقط .

س : وإذا استمر أكثر من ذلك . ؟

جـ : لأ ، يبقى وحش جداً ..

س : هل ظهور الأسيتون يشعر به الشخص العادى ، وما مظاهره وأعراضه ؟

جـ : أول مظهر من مظاهر أو أعراض الأسيتون هو أن يصبح التخص جافاً جداً ورائحة الأسيتون تفوح منه وتحدث عنده تغييرات فى الوعى ..

س : هل يمكن العودة إلى موضوعنا : العلاج وتطور المرض وكيف كان يتطور مع الظروف التى تمر بها البلاد .. ؟

جـ : فى يوم من الأيام ــ مثلاً ــ نزل اليهود على ساحل البحر الأحمر[٢١] وقعد متضايق جداً بعدها ، وفى اليوم التالى أو بعد يومين دخلت عليه الصبح وكشفت فلاحظت فى الكشف الأكلينكى أن حاجة فى صوت القلب متغيرة ، وأخذت أفكر أنه من المستحيل أن أغادر البيت قبل أن أجرى له رسماً للقلب ، وكنت فى حيرة : أقول له إيه وأعمل الرسم إزاى ؟ المهم إن إحنا كنا مسافرين للاتحاد السوفيتى بعد خمسة أيام ، ففلت له : أنا عاوز أكمل الأبحاث وأعمل رسم للقلب ، والدكتور ناصح أمين ح ييجى يعمل التحاليل ، وعملت الرسم وفوجئت بما كنت أخشاه فقد أصيب الرئيس بجلطة [٢٢] ، وجاء الدكتور منصور فايز وقال للرئيس : لازم تستريح وعللنا الأمر[٢٣] ، أى القلق والتعب المصاب بها الرئيس بأنها وهم ، وأعطى د . منصور فايز تقييمه للأمر بأن طلب عدداً من المختصين لمشاركتنا الرأى فى علاج حالة الرئيس ومنهم الدكتور محمود صلاح الدين ، الذى طلبناه من الإسكندرية وجاء دون أن يعلم الرئيس أننا طلبناه ، لأن الدكتور محمود صلاح الدين كان لـمّا ييجى مصر يزور الرئيس وكان الرئيس يستقبله فى أى وقت ، فرحت للرئيس وقلت له إن الدكتور محمود صلاح الدين فى القاهرة فى نفس اليوم هنا وعايز يسلّم عليك ، قال : ييجى دلوقت . وجاء الدكتور محمود صلاح الدين وهو نسيب الدكتور زكى

---

(٢١) جرت هذه المحاولة الإسرائيلية فى ١٩٦٩/٩/١٠ رداً على تصعد حرب الاستنزاف ، وأحاط الإسرائيليون هذه العملية بأكبر قدر من الدعاية والإعلان ليوهموا العالم أنهم يستطيعون أن يصلوا إلى أى مكان ، فقاموا بعملية إنزال فى منطقة الزعفرانة الواقعة فى خليج السويس ، وكان الرئيس عبد الناصر يشهد وقتها تدريباً عملياً على طريق السويس ، وعندما بلغه الخبر أمر كبار قادة الجيش حوله بإلغاء التدريب ورفع حالة الاستعداد لدى القوات خاصة وأن الدعاية كانت تصوّر هذا الإنزال أنه غزو لمصر ، وكان رفع حالة الاستعداد يعنى أن القوات تصبح جاهزة للقيام بعملية دفاعية أو هجومية .. كانت الساعة التاسعة صباحاً عندما بلغه النبأ .. وعاد إلى القاهرة قبل ظهر ذلك اليوم .

(٢٢) يذكر هيكل فى حواره مع فؤاد مطر « بصراحة عن عبد الناصر » ص ٢٠٠ ، أن الرئيس شعر فى يوم ١٩٦٩/٩/١١ **بإرهاق شديد مصحوباً بنوع من الدوار ودعا طبيبه الخاص الدكتور الصاوى حبيب الذى اكتشف إصابته بانسداد فى فرع الشريان الأمامى للقلب .**

(٢٣) يعترف هنا الدكتور الصاوى حبيب بأن الجلطة يمكن أن تظهر فى رسم القلب ، وقد أجرى للرئيس قبل وفاته ، و يوم وفاته ، ولم يثبت إصابته بالجلطة .

الرملى ، أى أن زكى الرملى متزوج بابنته ، وقال د. صلاح للريّس : أنا جاى مع زوج ابنتى كام يوم ، وفوجئ الريّس بأن الدكتور محمود صلاح الدين بييجى له الصبح وبالليل كل يوم ، وكل زيارة يقول له الدكتور محمود صلاح الدين كلمة زيادة ، الأول قال له : انت عندك إنفلونزا ، وفى الزيارة الثانية قال له : لاحظ يا ريس إن الإنفلونزا دى ممكن تؤثر على القلب ، وإحنا سوف نحتاط وانت تستريح والصحة أهم من كل حاجة ، ثم فى زيارة تالية قال له : أنا شايف برضه إنك تستريح لأن الإنفلونزا متعبة جداً .. وظل على هذا التدرج فى إعلام الرئيس إلى أن عرف الرئيس وسألنى سؤال واحد فقط هو: الدكتور محمود صلاح الدين جاء من الإسكندرية والآ كان فى مصر؟ لم أجب فعرف عندئذ أن هناك شيئاً فى قلبه ..

س : هل كان جمال عبد الناصر يخاف من المرض أو كان قاسياً على نفسه لدرجة أنكم كأطباء له كنتم غير قادرين على مواجهته بحقيقة مرضه .. ؟!

جـ: لا ، هو فى الحقيقة لم يكن يخاف ، لأنه لو كان بيخاف ما كانش حصل له اللى حصل ، لأنه وهو يعلم أنه مصاب بجلطة فى الشريان التاجى ، من المعتاد كنت أدخل الصبح أكشف عليه وبعدين أعرف أنه جاى آخر النهار أو سهر وبالصدفة أكتشف أنه لم ينم بالأمس إلاّ الساعة الثانية صباحاً فأسأله ببراءة : ليه .. سيادتك كنت فين .. ؟ فيكون الرد : « كنت فى القيادة » .. مُش بس كده .. ففى شهر أغسطس الذى سبق الوفاة كان من الواضح أن موقفه لا يمكن السكوت عليه (٢٤) .

س : كيــــف ؟

جـ: كان لا يستريح ، ما فيش راحة خالص ، الراحة دى معدومة نهائى ، وقد جادله الدكتور محمود صلاح الدين وزكى الرملى وناصح أمين ومنصور فايز واجتمعنا بعد أن عرفنا بالطبع أنه لم يسمع الكلام ولا اعتبر بأى حاجة .. كنا نطالبه بأن جلسات مجلس الوزراء تكون صباحاً وليس مساء ، وأن يحدد ساعات العمل (٢٥) .. لكن

---

(٢٤) ولماذا سكتم عليه ؟!

(٢٥) من الحقائق التى ذكرها حاتم صادق زوج هدى ابنة عبد الناصر الكبرى ، تأييداً لذلك أنه قال له ذات يوم : أتدرى أننى لا أرى الأسفلت إلاّ حين أذهب لرئاسة مجلس الوزراء (مشيراً إلى اتصال عمله ليل نهار) كما يذكر حاتم أن الأطباء قد منعوه فى السنوات الأخيرة و بعد عام ١٩٦٧ خاصة من كل ما كان قد تبقى له ليروح عن نفسه : رياضة التنس وتنس الطاولة والسباحة فى الصيف ، بل وعلى حد تعبيره يوماً : « حتى المشى منعونى فى الآخر منه » ــ حاتم صادق ــ « قضايا ناصرية » ــ سلسلة قضايا معاصرة ــ الموقف العربى ، أبريل ١٩٨١ ، ص ٢٣ .

بتكلم مين .. ؟ طبعاً الدكتور محمود صلاح الدين كلمه ، قال له : سيادتك ما نفذتش الكلام اللّـى إحنا قلناه ، هذا فضلاً على أن الروس كانوا أيضاً غير متفاءلين من حالته ، كان رأيهم إنه لازم يتعمل عليه كنترول أكتر لأن كده مش تمام ، ولـمّا كشفوا عليه تانى فى روسيا ، قال له محمود صلاح الدين إن الوضع كذا وكذا ، ولزم هو الصمت وقال يعنى كده أنا ما اشتغلش الشغلانة دى .. ، تقول له إيه بقى ؟ يعنى آخر مؤتمر اللى كان فى الهيلتون واللى حصل فيه لا يمكن تصديقه ، لو أخذنا الأحداث دى بالتصوير البطيئ نلاقى أنه من المنطقى جداً أنه يموت (٢٦) .. كان من ضمن الحاجات الغريبة اللى سمعتها أنه لو كان انتقل من المطار إلى البيت فى سيارة إسعاف كان بقى أفضل .

س : ده كلام عبد المجيد فريد سكرتير عام رياسة الجمهورية ، وأمين العاصمة السابق ..

جـ : أنا عاوز أسأل ، طيب ينتقل من المطار ووراه عربية إسعاف وفيها طبيب إزاى ؟ حاجة من اتنين إمّا أنه يُطبّ واقع ، وإما إنه يقول أنا مش قادر أمشى ، وازاى تبص فى وجه رئيس الجمهورية وتقول له : لأ ، إنت تعبان لازم تركب عربية الإسعاف ؟ هو رئيس الجمهورية ده مالوش رأى ؟ تبص له كده وتقول له : لأ ده انت تعبان اركب عربية الإسعاف .. ؟!

س : ماذا يعنى هذا .. ؟ هل يعنى أنه لا حيلة لكم فيه ؟ ولابد من التسليم انه كان مُتعباً .. أو مريض مشاغب ؟

جـ : مُتعب فى إيه ؟! بصراحة أنا لا أتحدث فى السياسة .

س : كان مُتعب فى مرضه وقاسى على نفسه .

جـ : فى حاجة واحدة كانت بارزة فيه إنه لا يناقشك إنما يبدو أنه ما كانش حاسس إنه لازم يعمل كده أو ما يعملش كده .. قصدى إن كل واحد بيفتى — أى يقدم الفتوى — المفروض إن الواحد يفتى فى الشيء الذى يخصه ولا يفتى فيما يخص الآخرين ، لأن دى هى اللى بتأخرنا لورا ، يعنى مثلاً كلنا بنعلق على

(٢٦) ظل الدكتور الصاوى حبيب حريصاً على إثبات أن الحياة التى عاشها جمال عبد الناصر والمجهود الذى كان يقوم به يومياً ، والتوتر الذى كان يعصف به بين الحين والآخر .. كل هذا أدى إلى موته ..

المعارك الحربية كأننا جنرالات [27] لأ ، كل واحد دلوقتى عامل نفسه دكتور و بيفتى و يقول دى بتاعة نقص سكر ودى مش بتاعة نقص سكر .

س : تقصد ما نشر أخيراً .. هو طبعاً نقلها من جريدة أو شىء من هذا القبيل .. أو من شخص موثوق فيه ؟

جـ : نقلها عن مين .. ؟

س : نقلها عن صلاح الشاهد كبير الأمناء فى القصر الجمهورى .. وتقصد ما نشر بالأهرام بتاريخ ٢٨ / ٩ / ١٩٨٦ ؟

جـ : طيب إزاى . ؟

س : يبدو لى أن هذا الموضوع جاء عندما سألوه عن عبد الناصر ..

جـ : لكن الذى يقول شيئاً مش لازم يحاسب ؟ لأن ممكن الكلام اللى يقوله يلحق الضرر بشخص آخر إذا كان هذا الكلام يمس شخصية عامة .

س : إذا سمحت ننتقل من هذا أو نبقيه ونعود إليه فيما بعد .. أريد أن أعرف المزيد عن مؤتمر الهيلتون (٢٣ ــ ٢٧ / ٩ / ١٩٧٠) أين كنت فيه .. ؟

جـ : كنت أذهب إلى المؤتمر يومياً وأكشف على الرئيس صباحاً و بعد الظهر فى البيت ، يعنى إذا كان الرئيس فى المؤتمر فأنا فى المؤتمر وإذا كان فى البيت فأنا فى البيت .

س : هل كان لك مكان .. أى غرفة أو جناح فى الهيلتون ؟!

---

(٢٧) يقصد الدكتور الصاوى هؤلاء الذين يعلقون على موت الرئيس ناصر بأنه « كومة » سكر كأنهم أطباء .. وكانت فى ذلك الحين قد ارتفعت أصوات كثيرة عن موت عبد الناصر بالسم أو موته بالكومة وليس بالجلطة ، والواقع أن هذه الأصوات كانت مسموعة منذ موت عبد الناصر سنة ١٩٧٠ ، وضمن ما تردد ما عكسته مجلة « الوادى » الشهرية فى عددها رقم ٤٥ الصادر فى يناير ١٩٨٣ ، ص ١١ وما بعدها ، تحت عنوان « أسرار من بيت عبد الناصر » فقد تساءل التحقيق الصحفى « هل قتل عبد الناصر ؟ » .. ففى أحد الكتب قيل أن أحد رجاله المقربين كان عميلاً للمخابرات السوفيتية K.G.B قد دس له السم بطريقة فنية مبتكرة تجعل من الصعب اكتشافه ، وفى كتاب آخر، قيل إنه مات بطريقة طبيعيه بتخطيط من دولة أجنبية ، وألقى القبض على الدكتور على العاطفى إخصائى العلاج الطبيعى بالنادى الأهلى بتهمة تنفيذ هذه الخطة البشعة ، وكان على العاطفى متزوجاً من سيدة إيطالية اشتهرت بالأوساط الرياضية باسم [لوليتا] وكانت دائمة السفر إلى روما لزيارة أسرتها ، وهناك نجحت المخابرات الإسرائيلية فى تجنيدها والاتصال بها وتسليمها مرهم خاص ليقوم د . العاطفى باستخدامه فى تدليك ساق عبد الناصر ، وصباح يوم ٢٨/٩/ ١٩٧٠ أعاد د . العاطفى تدليك ساقه وتشربت المسام السم فحدثت له أزمة قلبية أودت بحياته .

جـ : أيوه كان لى مكان مع الدكتور منصور فايز .. كان مكانى دايماً مع الدكتور منصور فايز .

س : هل كنت ترى الريّس يومياً ؟

جـ : نعـــــم ..

س : ألم تلاحظ فى أيام المؤتمر وهى الفترة من ٢٣ إلى ٢٧ سبتمبر أية ملاحظات على الرئيس عبد الناصر ؟

جـ : **طبعاً لاحظت التعب العادى اللى يظهر على أى شخص مرهق ..**

س : هل كان الإرهاق واضحاً عليه ، يعنى لو حضرتك فتحت أجندتك على أيام علاجه فى الاتحاد السوفيتى وعودته .. ثم فتحت الأجندة على أيام المؤتمر فى سبتمبر ١٩٧٠ هل يبدو التغير واضحاً . ؟

جـ : لأ ، مفيش فارق كبير لأنه هو كان لديه دائماً ما يشغله وعنده أيضاً ما يتعبه يعنى فى المؤتمر هو قاعد بيتكلم مع ده وده .. إنما تعرف منين إنه كل يوم بيروح القيادة والآ بيروح مشاوير بعد الظهر ؟

س : وربما كان بيتلقى تليفونات تضايقه أو تنرفزه ؟

جـ : لأ ، التليفونات دى كانت شغلانة تانية لدرجة أنى كنت الأول أدخل ألاقيه بيتكلم فى التليفون ، وبعدين بقى الموضوع عادى وأصبح يقول لى : ما لكش دعوة بالتليفونات بتاعتى إعمل شغلك ، يعنى كنت أشوفه بيتكلم فأبقى عايز أخرج بره الحجرة لكن بعد كده إتعودت أن أبتدى أرتب حاجاتى وأجيب الدواء وهو قاعد بيتكلم فى التليفون وبقت مسألة عادية جداً إنه بيتكلم فى التليفون الصبح وبعد الظهر(٢٨) .

(٢٨) كان التليفون من آهم وسائله فى العمل ، دان يدق كثيراً ليجد على الطرف الآخر مسئولاً يبلغ عن شىء أو يستفسر عن موقف ، وكان هو دائم الاتصال ، وكانت بعض مكالماته تزيد على الساعة .. وتلك كانت هى المكالمات التى يكون على الطرف الآخر من الخط واحد ممن كان يشق فى قدراتهم و يناقش معهم المسائل الكبرى التى تتصل بمواقف هامة .

حاتم صادق ــ قضايا ناصرية ــ سلسلة قضايا معاصرة ــ الموقف العربى ــ القاهرة ، الطبعة الأولى ، أبريل سنة ١٩٨١ ، ص ٧

س : هل كان يأخذ حقنة الأنسولين فى الصباح ؟

جـ : طبعـــاً ..

س : من الذى كان يعطيها له ؟

جـ : أنـــا ..

س : إذا قررت دواء للرئيس هل كنت تطلبه من الصيدلية الخاصة بالرئاسة مباشرة .. ؟

جـ : طبعاً كان الدكتور صلاح جبر كبير الصيادلة يبعث إلىّ بما أريده .

س : هل كنت ترسل إليه رسولاً حاملاً ورقة بها أسماء الأدوية المطلوبة .. ؟

جـ : لأ ، لكن عندما أريد دواء فأنا أطلبه من الصيدلية والدكتور صلاح يسلمه لى فأحمله معى إلى الرئيس ، وطبعاً كانت أشياء الرئيس داخل حجرته مثل جهاز الضغط والسماعة وحقيبة بها أدوية .. وعندما كنت أدخل حجرة الرئيس لا أحتاج لحمل أى شىء معى من الخارج ..

س : الرقابة على الأكل كانت تخضع لك أو لمن ؟

جـ : الأكل كانوا يقومون بشرائه من أى مكان فى السوق ، وليس لبيت الرئيس متعهد خاص .. السيارة يركبها المختص و يتسوّق الخضار من أى مكان ..

س : إننى أسأل عن الرقابة على الطعام .. ؟

جـ : مفيش رقابة فى البيت على الطعام ، إنما كانت الرقابة على طعام الحفلات والاستقبالات .

س : من المسئول عنها فى الحفلات والاستقبالات .. وكيف كانت تتم هذه الرقابة .. ؟

جـ : الدكتور صلاح جبر كبير الصيادلة ، كان حاصلاً على دبلوم فى الأغذية وكان يعاين الطعام ..

س : لقد سمعت أن بعض الأنظمة كانت تصفى أعداءها فى الرأى عن طريق السم .. ، السم فى الطعام أو السم على الجلد بطريق المصافحة ؟

جـ : هـذا الكـلام ينطبق أكثر على جيمس بوند والعميل رقم ٢ ، الناس بتقابل رئيس الجـمـهورية .. مين اللى يقابله .. ؟ ده لازم يكون مضمون وموثوق فيه ، الكلام اللى انت بتقـولـه ينطبق على الشخص العادى إنما بالنسبة لرئيس الجمهورية فالأمر يختلف .

س : بالنسبة للأكل . هل كانت هناك رقابة عليه ومن أى نوع ؟

جـ : تفتكر يعنى إنت عاوز الأكل اللى يدخل البيت يتحلل يومياً ؟

س : عايز أعرف القواعد العامة بهذا الخصوص ؟

جـ : القـواعـد العامة إنك ما تشتريش أكل من مكان معين ، بل لابد أن تشتريه من أماكـن مختلفة كل يوم ، والأشخاص أنفسهم الذين يقومون بالشراء يكون عليهم رقابة أو يتغيروا وكذلك الطباخ فى البيت وإن كان فيه طباخ لكن قيمته بالنسبة لجمال عبد الناصر ما كانتش كبيرة لأنه كان شخص غير أكول بالمرة ، وكان فى كـثير مـن الأحـيـان السيدة قرينته هى التى تطبخ له ، وكان طعامه من السهولة لـدرجة أن الطباخ بتاعه اعتقد أن مواهبه لا يمكن أن تظهر فى بيت عبد الناصر ، المـواهـب دى كـانت تظهر لما يتناول الطعام على مائدته شخص تانى غيره ، زى أولاده مـثلاً ، إنما بالنسبة له لأ ، كان طعامه بسيط خالص وهذا كان من طبعه بصرف النظر عن مرض السكر ..

س : هل كان فيه ضمن العلاج .. علاج طبيعى ؟

جـ : طبعـــــاً ..

س : فى مصر . ؟

جـ : أيـــــوه ..

س : كان مين من الأطباء هو الذى يقوم بالعلاج الطبيعى .. ؟

جـ : هو إحنـا فى الحـقيقة اقتصرنا على المشى والتدليك ، وفى هذا الموضوع جاء الأول الـدكـتور **محمد فودة** الذى كان رئيساً لمركز التأهيل الطبى وكان رجع من انجلترا وكـشـف عـليه وأبدى بعض الاقتراحات واقتصر ــ بعد كده ــ العلاج الطبيعى على المشى ..

س : كنتم كأطباء موافقين على كده ؟

جـ : أيوه ، المشى أساسى ، لكن الدكتور فودة فى الأول بيعمل تمرينات وحمامات ميّه ، وعندما زادت الآلام توقفت هذه التمرينات ..

س : حمامات مياه .. كيف ؟

جـ : يعنى الواحد يقعد فى حوض مملوء بمياه تخرج كأنها تيار تعمل شوية تهدئة ، طبعاً دى كانت حمامات بسيطة .. لكن لـمّـا زادت الآلام سافر إلى روسيا واتحسن ، واقتصر العلاج الطبيعى بعد كده على تمرينات المشى ومزاولة التنس على خفيف .

س : كان بيمشى قد إيه ؟

جـ : نصف ساعة مرتين فى اليوم على الأقل .

س : والتدليك كان يومياً أم كان أسبوعياً ؟

جـ : التدليك كان حسب رغبته هو ، وبطبيعته كان لا يحب أن يقل عن ٣ أو ٤ مرات فى الأسبوع .

س : من الذى كان يقوم بالتدليك ؟

جـ : فى الأول قام بالتدليك مقدم اسمه **أحمد عبد اللطيف** ، فنى تحت إشراف الدكتور فودة وبعدين كان بيعمل التدليك ده زينهم اللى كان هو بعد كده بيدلّك الرئيس السادات (٢٩) .

س : لم أسمع عن شخص يعمل بالتدليك اسمه زينهم .. من هو ؟

جـ : هو رياضى بيلعب جودو وأظن أنه كان من أبطال الجودو ، وكان يقوم بعمل تمرينات للرئيس وتدليك أيضاً ، وهذه التدريبات والتدليك كانا يتمان بطريقة خفيفة كأسلوب للاسترخاء Relaxation وهذا النوع من العلاج كان أساسه المشى .

---

(٢٩) ذكر لى السيد شعراوى جمعة وزير الداخلية وأمين التنظيم فى عهد عبد الناصر أن محمود فهيم سكرتير الرئيس عبد الناصر تدرب على التدليك وكان يقوم به بالإضافة إلى زينهم (لقاء مسجل ، السبت ، ١٢ /٣/ ١٩٨٨) .

س : من الذى رشّح زينهم هذا للقيام بهذا العمل فى بيت الرئيس جمال عبد الناصر ؟

جـ : لا أذكر ، إنما زينهم شخص كويس جداً ومازال كذلك وقد استمر مع السادات وكان من حراسته الخاصة إلى أن توفى السادات فى المنصة .. أمّا زينهم فقد حدثت له جلطة فى القلب وكانت له قصة وأنقذت حياته بأعجوبة .

س : ألم تسمع عن شخص يدعى الدكتور على العاطفى كان يقوم بتدليك الرئيس وثارت حوله قصص أنه ــ مثلاً ــ كان مكلفاً بقتل الرئيس عن طريق تدليكه بمرهم مسموم .. ؟

جـ : سألونى مليون مرة عن هذا الشخص ، وبالقطع هذا الرجل لم يدخل بيت الرئيس عبد الناصر بعد سنة ١٩٦٧ لأن جمال عبد الناصر ليس الشخص الذى يتركك تخرج من عنده فيستدعى طبيباً آخر .. إن معنى دخول هذا الشخص بيت الرئيس وعلاجه بالتدليك يعنى أن الرئيس يتصرف فى علاجه من وراء ظهورنا وهذه ليست أخلاق جمال عبد الناصر .. وهذا الرجل المدعو/ د . العاطفى لم أره ولا سمعت عنه .

س : باعتبارك كنت مسئولاً مسئولية كاملة عن صحة عبد الناصر مع الدكتور منصور فايز من سنة ١٩٦٧ ؟

جـ : لأ ، الأصح أن تقول تحت إشراف أستاذى الفاضل الدكتور منصور .

س : على كل حال دعنا نقفز إلى الحدث الكبير .. أين كنت يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ؟

جـ : كالعادة ، يوم ٢٨ سبتمبر ذهبت صباحاً إلى بيت عبد الناصر ، كشفت عليه فى حدود الموعد اليومى وهو الساعة التاسعة والنصف تقريباً وكان كالعادة بيتكلم فى التليفون .

س : هل أعطيته حقنة الأنسولين .. ؟

جـ : طبعاً ، ولكن لعلمك فإن كمية الأنسولين التى كان يتعاطاها الرئيس عبد الناصر كانت كمية قليلة جداً ، يعنى كانت احتياجاته للأنسولين قليلة جداً ، واحنا كنا نتفادى أن يحدث له هيبوجلاسيا (أى كومة أو غيبوبة زيادة

فى كمية السكر فى الدم) فى أى وقت من الأوقات ، ولذلك كان اعتمادنا فى تخفيض نسبة السكر أنه يمشى شو ية لأن نقص السكر تضعه فى مواقف صعبة .. مثلاً يوم ما كنا رايحين بنى غازى فى ديسمبر ١٩٦٩ و بدأت الطائرة فى الهبوط لم ينزل العجل وظللنا فى الجو لمدة ساعة ثم نزلنا متأخرين أنا والدكتور منصور فايز وركبنا عربية بالعافية وكانت الساعة الثانية ، وهو ماشى لوحده .. أى عبد الناصر (٣٠) ، طبعاً كانت فى جيبه أقراص جلوكوز كورامين لو احتاج علشان الهيبوجلاسيا ، وأيضاً كنا يقظين لأن تكون كمية الأنسولين صغيرة إذا ما حصل له هيبوجلاسيا فى يوم زى ده ، طبعاً كانت ح تحصل ، ولكن بعد أن نزلنا المطار فوجئنا بانقطاع الصلة بيننا و بينه ، الجماهير وعبد الناصر بقوا حاجة واحدة .. وكنت أنا والدكتور منصور فايز مع بعض أصبحنا بندوّر على بعض ، العربية شالوها شيل ، والناس هجمت ، واختلط الحابل بالنابل ، وطول ما إحنا ماشيين كنت أفكر فيما يمكن أن يحدث له ، نزل الريّس من الطائرة الساعة الثانية ووصل بيت الضيافة الساعة الخامسة ، ساعتها كنت عاوز أصرخ وأقول يا ناس لازم الريّس ياخد حاجة ، يتغدى ، يشرب أى حاجة ، لماذا لم يحدث له هيموجلاسيا ، لأن كمية الأنسولين بسيطة وفى جيبه أقراص الجلوكوز كرامين (٣١) .

س : وماذا تعنى هذه الأقراص لمريض السكر . ؟

جـ : تمنحه جلوكوز .. أى تعطيه طعاماً ..

س : هل مثل هذه الأقراص تبقى معه دائماً أم فى حالات السفر فقط ؟

جـ : فى السفر ، فى الرحلات .. ودايماً معاه سكر علشان لو احتاج ياخد .

(٣٠) يذكر هيكل فى كتاب فؤاد مطر « بصراحة عن عبد الناصر » أنه بعد نزول عبد الناصر من الطائرة فى مطار بنغازى (ديسمبر سنة ١٩٦٩) ركب سيارة جيب نقلته من المطار إلى قصر الضيافة ، واستمر واقفاً فى السيارة يرد على هتافات الجماهير الليبية نحو أربع ساعات . فعل ذلك وهو المصاب حديثاً بذبحة فى القلب ، ص ٢٠٧

(٣١) فى الواقع لم أوجه إتهاماً للدكتور الضاوى حبيب بأنه تجاهل أن الرئيس عبد الناصر أصيب بحالة نقص سكر أو زيادة سكر بعد ظهر يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ولم يستطع تشخيص حالته تشخيصاً سليماً .. ولذا فهو يريد أن ينفى أن عبد الناصر كان محل رعاية وعناية واهتمام من أطبائه حتى لا يصاب بالهيموجلاسيا .

س : أريدك أن تعود بنا إلى يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ .. لقد ذهبت إليه كالعادة وأعطيته حقنة الأنسولين البسيطة ..

جـ : آه ، ودخلت عليه الصبح كالعادة وكشفت عليه وأعطيته الأدوية اللازمة ، وقال لى : أنا ما عنديش غير مشوار المطار .. أتذكر هذا الآن ، ولم أكن أعرف متى سيذهب إلى المطار بالضبط على أساس أن هذا آخر يوم عمل بالمؤتمر ، وكان قد انتقل من الهيلتون إلى بيته ، وقلت فى نفسى : « انه سوف يستريح ومفيش وراه حاجة ولا محتاجة » .

س : ما الوقت الذى مكثته معه فى ذلك الصباح الحزين ؟

جـ : لم أمكث معه أكثر من الوقت الذى استغرقه الكشف الطبى عليه .. وهذا لم يستغرق سوى ٢٥ دقيقة ..

س : هل لاحظت عليه شيئاً ؟

جـ : لا ، كان عادى جداً ..

س : يعنى حضرتك يا دكتور صاوى كشفت على الريّس كشف مضبوط ، على القلب والصدر ، والكلام ده أولم تجد مبرراً لذلك .. ؟

جـ : لا ، لازم أكشف ، أقال أدخل عليه أعمل إيه .. ؟ ما هو لازم ينكشف عليه كويس ، يعنى يقاس الضغط ويتسمَّع القلب .. وعلى كل حال الريّس راح مشواره ، وأنا مش عارف كان برنامجى إيه يومها (٣٢) ، وعلى كل حال فأنا خلّصت وجايز أكون قعدت فى المكتب شوية وبعدين ذهبت إلى بيتى .. وعندئذ استدعيت ..

س : متى استدعيت من بيتك .. ؟

جـ : حوالى الساعة الثالثة والنصف أو الثالثة و ٤٥ دقيقة بعد ظهر يوم الاثنين ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، وقالوا لى الريّس عاوزك ، وطبعاً اللى كان

(٣٢) أصيب السيد شعراوى جمعة وزير الداخلية فى عهد عبد الناصر والرجل القوى فى نظام عبد الناصر ، بالدهشة عندما سمع منى أن الدكتور الصاوى حبيب لم يكن فى العربة المرافقة لركب الرئيس .. (لقاء مسجل مع شعراوى جمعة مساء السبت ، ١٩٨٨/٣/١٢) إذ من المفروض أن يرافق الرئيس الأطباء المسئولون عنه وخاصة طبيبه الخاص الدكتور الصاوى حبيب والدكتور منصور فايز .. !!

بيتكلم ويبلّغ ليس الرئيس ، وعلى كل حال فقد نزلت وكان برضه الدكتور منصور فايز والدكتور زكى الرملى (٣٣) .

س : متى وصلت إلى بيت الرئيس جمال عبد الناصر.. هل وصلت حوالى الرابعة أو بعد الرابعة .. ؟

جـ : لا ، وصلت قبل الساعة الرابعة ، أنا يمكن وصلت بالكثير ويادوب لقيته لابس فعلاً البيجامة وقاعد فى السرير.

س : كان قاعد تعبان .. ؟

جـ : طبعاً ، قال لى : أنا حسيت بتعب فى المطار، تعب شديد وجيت بأحس بضربات القلب ، وطبعاً لأول وهلة كان يبدو أن الموقف خطير..

س : من كان معك ومعه فى حجرة نومه . ؟

جـ : المدام (يقصد تحية هانم حرم الرئيس عبد الناصر) ..

س : ألم يكن الدكتور منصور فايز قد وصل بعد .. ؟

جـ : لأ ، الدكتور منصور وصل بعدى بربع ساعة ، والدكتور زكى الرملى إتأخر ولذا طلبت استعجاله عن طريق سكرتارية الريّس فجاء بعد حوالى ١٠ دقائق ..

س : هل قدمتم إليه شيئاً ليأكله أو يشربه .. ؟

جـ : على ما أعتقد أخذ كوب عصير قدمته له المدام ، والمدام هى اللى كانت موجودة ولا أذكر أحداً من الأولاد ، لكنى أذكر أن المدام هى التى رأيتها ، والموقف زى ما أنا فاكر كان يدعو إلى الخوف من الدقيقة الأولى ..

س : الخوف من ماذا .. ؟ من مظهر الرئيس ؟ من نومه على السرير؟ ماذا كان يبعث على الخوف بالضبط .. ؟

---

(٣٣) لم أفهم شيئاً من كلمة « وكان برضه » .. هل كان يعنى أن الدكتور منصور وزكى الرملى قد استدعيا أيضاً .. ؟ الثابت أن استدعاء هذين الطبيبين تم من قبل بيت الرئيس عبد الناصر وبطلب من د . الصاوى نفسه .. لأن الدكتور الصاوى حبيب لم يكشف عن مدى خطورة حالة الرئيس .. فكيف تسنى له أن يستدعى الطبيبين منصور فايز وزكى الرملى .. ، أو ربما يريد الدكتور الصاوى أن يقرر بأنه عندما ذهب إلى بيت الرئيس كان هناك أيضاً الدكتور منصور والدكتور زكى الرملى .. وهذا غير حقيقى لأن هذين الطبيبين لم يحضرا إلا بناء على طلب د . الصاوى ، كما سبق القول .

جـ : الذى كان يبعث على الخوف هو السرعة الشديدة فى ضربات القلب مع انخفاض ضغط الدم الشديد ، ووجود عرق وبرودة الأطراف ودى علامة وحشة عند أى مريض خصوصاً إذا وضعت إيدك عليه ووجدت رجليه باردة .. معنى هذا أن المضخة ـ أى القلب ـ لا تعمل بكفاءة ..

س : هل توصلت يا دكتور صاوى إلى هذا التشخيص بناء على الكشف الظاهرى أم استعملت أجهزة قياس القلب ورسمه وما إلى ذلك .. ؟

جـ : طبعاً ، استخدمنا جهاز قياس القلب والكشف وقمت بكل ما يلزم ، والتشخيص لم يكن يحتاج إلى شىء ـ بقصد أن التشخيص لم يكن صعباً ـ انخفاض الضغط وبرودة الأطراف ، ومن هنا تبينت خطورة الوضع وشعرت لأول مرة أن الضغط يتسرب من بين يدى وينخفض بشدة والأطراف باردة ، ولكنه كان متيقظاً تماماً وليس عنده أى خوف ولا كأنه فى حاجة خالص ، وهو كان من الناس الذين لا يجئ لهم انسداد الشريان التاجى بألم ، لأنه أول مرة جاء له لم يكن بألم ، فنسبة من الناس لا يجئ لهم انسداد الشريان التاجى بألم من مرضى السكر بالذات ، وهذا هو ما كان له أهمية كبرى فى اكتشاف جلطة الشريان التاجى الأولى (٣٤) لأنها جاءت من غير ألم ، والمرء لا يعرف ، فربما تجئ له بألم ، وليس كل مريض سكر إذا أصيب بجلطة لا يشعر بالألم .. بل نسبة معينة من مرضى السكر .. وبالطبع كان الرئيس عبد الناصر يدخل فى هذه النسبة .

س : لكن الأعراض بتبقى واحدة أو تختلف فى الحالتين .. حالة الشعور بالألم وحالة انعدام الشعور به .. ؟

جـ : يظهر هذا فى الكشف ، فأنت مثلاً تجد صوتاً مختلفاً فى ضربات القلب ، دى حرفة بقى ، تكتشف إن دى جلطة حادة فى الشريان التاجى وأهم حاجة فيها وأبسط طرق العلاج هى الراحة ..

س : ألم يكن من المجدى أن يُنقل إلى غرفة العناية المركزة ؟

---

(٣٤) أصيب عبد الناصر بجلطة فى الشريان التاجى فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٦٩ على إثر عملية الإنزال الإسرائيلية فى منطقه الزعفرانة الواقعة فى خليج السويس ، وفى البداية أخفيت الحقيقة عن عبد الناصر وعن الناس وفسر تعبه وراحته وإجازته المرضية على أنها إنفلونزا إلى أن اكتشف هو ذلك من كثرة تردد الدكتور محمود صلاح الدين إخصائى القلب ، وتقرر منذ ذلك الحين تركيب مصعد فى بيته المؤلف من طابقين حيث تقع فى الطابق الثانى غرفة نوم الرئيس وغرفة مكتبه الملحقة .. بينما يقع الصالون الكبير والمكتب فى الدور الأول أو الأرضى .

جـ : لأ ، أيامها (سنة ١٩٧٠) لم تكن توجد فى مصر غرفة عناية مركزة ، أول غرفة إنعاش هى تلك التى تبرع بانشائها بمبلغ عشرة آلاف جنيه عندما جاء له الدكتور محمود صلاح الدين فأعطى له شيكين باسم جامعة الإسكندرية على مرتين .. ولمعلوماتك أن ٥٠ ٪ من وفيات الشريان التاجى تحدث فى المستشفيات المجانية قبل النقل للإنعاش .

س : وأين كانت غرفة الإنعاش هذه ؟

جـ : فى الإسكندرية ولم تكن قد ظهرت بعد للوجود ..

س : تقصد أنه لم تكن فى مصر كلها غرفة إنعاش ؟ (٣٥)

جـ : نعم ، والذى نبهنى لهذا هو الدكتور زكى الرملى ، قال : إنت فاكر الشيكين اللى طلبهم د . محمود صلاح الدين من الريّس ، دول كانوا علشان كده ، وأذكر أن المسودّة الأولى لإنشاء معهد ناصر للعلاج (٣٦) إنشاء وحدة للعناية المركزة لمرضى الشريان التاجى .

س : ما الفرق بين الجلطة الثانية والجلطة الأولى .. ؟

جـ : الجلطة الثانية غير الجلطة الأولى ، لأن كل جلطة فى الشريان التاجى تحدث تليّفاً فى عضلة القلب و يتراوح هذا التليّف بين ٣٠٪ و ٤٠٪ من حجم عضلة القلب .. ومن هنا يمكن أن تؤدى الجلطة الثانية إلى توقف القلب ، أى لا يصلح للعمل كمضخة ..

س : هل هذه حقائق توصلتم إليها من خلال التجارب والخبرة أم هى حقائق معروفة .. ؟

جـ : دى حاجات معروفة ..

(٣٥) كان يوجد ٤ غرف عناية مركزة مستشفى المعادى العسكرى منذ إنشاء المستشفى سنة ١٩٦٦ .

(٣٦) معهد ناصر للعلاج أرسي حجر أساسه فى عهد عبد الناصر وظل مجرد بناء جميل على كورنيش النيل وكان السادات يفكر فى تحويله إلى مسرح (!!) ، و بعد حادث المنصة الذى اختاره الله فيه ، فقد دبت الحياة فى معهد ناصر .. وكان مخصصاً فى البداية لمرضى السكر وهو المرض الذى عانى منه عبد الناصر .. إلاّ أنه يضم الآن وحدات فى القلب والسكر والعيون وبمعونة فرنسية و يابانية ، كان العمل بدأ فيه وأصبح من رموز القاهرة ، وفتح أبوابه للجمهور بأسعار رمزية ، وتحققت أمنية عبد الناصر فى عهد حسنى مبارك .

س : ألا يمكن علاج هذا .. ؟

جـ : إيــه هــو .. ؟

س : تليّـف القلب ؟

جـ : لأ ، و يتـوقف هذا على حجم التليّف ، وهناك نوعين من المضاعفات للجلطة ، نوع يؤدى إلى لخبـطة فى ضـربـات الـقـلـب وهذا ما ينفع فيه وحدات العناية المركزة ، أما الـنـوع الـثـانـى من الصدمة القلبية أو الجلطة القلبية فإن القلب لا يمكنه العمل كمضخة وعلاج هذا النوع الأخير يعتبر من المعجزات ..

س : كـيـف تـصرفـت إذن عـنـدمـا وجـدت انـسـداداً فى قـلـب الـرئيس جمال عبد الناصر بعد ظهر يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ؟

جـ : بـدون الـدخـول فى تـفـاصـيل العلاج ، فالمعروف أن فيه خطوات بنعملها ، يعـنـى مثلاً إذا كنت بتستعمل أوكسجين تعطى حاجة من الحاجات التى تـقـوى عـضـلـة الـقـلـب أو موسعات الشريان التاجى أو منظمات ضربات الـقـلـب .. دى خـطـوات لازم الـقـيـام بها مؤقتا .. وبعد فترة بدأ الرئيس يستريح وتكلم مع الدكتور منصور فايز فى عدد من الموضوعات (٣٧) .

س : هـل كـان الـدكـتـور مـنـصـور فـايـز قـد وصـل إلى بيـت الرئيس .. إنك لم تذكر هذا ؟

جـ : كـان قـد حضر بـعـدمـا بـدأ الموقـف يـتـحسن (٣٨) ، وكان الريّس بيكلم الـدكـتـور مـنـصـور فـايـز ، يعنى كان د . منصور يقول له : لازم تاخد إجازة

---

(٣٧) يقول د . الصاوى حبيب فى حديثه لمجلة « صباح الخير » ، العدد الصادر فى ٦/١١/١٩٨٦ ، ص ٧ ، وما بعدها بعنوان « هـكـذا مـات عـبـد الناصر » يقول : بدأت فى الإسعافات السريعة بأجهزة الأوكسجين ، و بدأت أقوم بعملية تدليك للقلب ، ثم أجهزة الصدمات الكهربائية وغيرها من أنواع العلاج (!!) ، استمرت الحالة متأزمة طوال ساعتين ، ثم بدأ الموقف الطبى ينفرج قليلاً ، و بدأت الأعصاب المشدودة فى الاسترخاء نسبياً . وهدأت الحالة .
فى ذلـك الـوقـت تحـادث الـرئـيـس عـبـد الناصر مع الدكتور منصور فايز قليلاً حول رغبته فى الذهاب إلى الجبهة وزيارة « أولادنا هناك » على حد تعبيره ، ورد عليه د . منصور بأن هذا غير ممكن فى الوقت الحالى . . . إلخ .

(٣٨) وإذن ، فما قام به د . الصاوى حبيب من استعمال أوكسجين والتدليك والصدمات وإعطاء **« الحاجات التى تقوى عـضـلـة الـقـلـب أو مـوسـعـات الشريان التاجى أو منظمات ضربات القلب » قام به من تلقاء نفسه وبإرادة منفردة ، ولم يكن قد حضر د . منصور.. الذى حضر عندما بدأ يتحسن .**
و بـالـطـبـع هـنـاك فـارق زمنى فى الوقت ، فكلام د . الصاوى يُفهم منه **أنه حضر حوالى الساعة الرابعة أو الرابعة إلاّ ربعاً وأن هـذه المحاولات اسـتـمـرت ساعتين أى حـتـى الـسـاعـة السادسة إلاّ ربعاً ..** والتحسن بدأ بعد

طويلة فيقول له الرئيس : لأ ، ممكن أروح الجبهة الأول ، فقال له د . منصور: لأ ، لازم تاخد الإجازة ،بعدين نبقى نفكّر فى الجبهة ، فقال الريّس : دا الوزرا كلهم رايحين الجبهة النهاردة ، أنا فاكر حديث من هذا النوع .. وأنا مش فاكر ده قال إيه وده قال إيه ، والدكتور منصور قال له : استريح ياريّس .
وقام الرئيس وولّع الراديو وبصّ فى الساعة وبعدين سمع نشرة الأخبار..

س : هل كان أحد من المسئولين قد حضر.. ؟

جـ : لا ، لم يحضر أحد خالص ..

س : لغاية الساعة الخامسة مفيش حد وصل .. ؟

جـ : لأ ، وبعدين قفل الراديو وقلت له : سيادتك استريح بقى ، إنت عملت مجهود ، قال لى : أنا استريحت ومات على كده ، هى كده بالضبط الكلمة اللى قالها « أنا استريحت » وخُلص ، وكانت آخر كلماته ..

س : من الذى دخل حجرة نوم الرئيس وأول من رآه بعد وفاته ؟

جـ : شوف بقى ، إحنا قعدنا نعمل تدليك ..

س : إنت والدكتور منصور فايز ؟

جـ : أيـــوه ..

س : وفين الدكتور زكى الرملى ؟

جـ : والدكتور زكى الرملى ..

س : هل كان قد وصل .. ؟ إنك لم تذكر هذا .. ؟

جـ : لأ ، كان موجود من الأول ، الدكتور زكى الرملى كان معانا من الأول خالص ..

س : متى بالتحديد ؟ من حوالى الساعة الثالثة والنصف أم الثالثة و٤٥ دقيقة .. ؟

جـ : لا .. من حوالى الساعة الرابعة والنصف ، أنا جيت (حضرت) الأول

الساعتين ، حيث حضر عندئذ الدكتور منصور فايز .. ولكن هل علم د . منصور فايز بما أعطى للرئيس من مقويات لعضلة القلب أو موسعات للشرايين أو منظمات ؟

بعدى تقريباً بربع ساعة الدكتور منصور فايز وبعدها بثلث ساعة جاء الدكتور زكى الرملى .

س : مَن مِن الأطباء الآخرين .. ؟

جـ : مفيش ..

س : من الذى حضر بعدما فتح الرئيس الراديو وقال « أنا استريحت » ثم أسلم الروح .. ؟

جـ : بعدما أسلم الروح بصيت لقيت الحجرة مليانة ناس مين حتى موش فاكر ، وجاء الدكتور طه عبد العزيز(٣٩) وأعطى له صدمة كهربائية ويجوز أن اللّبس الذى حدث من كلام صلاح الشاهد كبير الأمناء أن الدكتور طه عبد العزيز هذا حاصل على دبلوم فى طب الأطفال(٤٠) .

س : فيه أحد الأشخاص أمسك بك بعد أن أوقفت الصدمات وقال لك يا دكتور ليه بتوقف الصدمات ؟ .. هذا بعدما توفى الرئيس ؟

جـ : هو أنا أوقفت الصدمات ؟! لست أذكر ..

س : أى أنك رفعت الأسلاك عندما أدركت عبث المحاولة ؟

جـ : لأ ، اللى قام بعمل الصدمة هو الدكتور طه عبد العزيز ، ولا أعرف بصراحة ، كنت قد فقدت الأمل وقلت حتى لما يعمل له مائة صدمة ، يعنى فى الحالات اللى زى دىّ إعتقادى أنه بعدما تحدث أعراض الصدمة القلبية مفيش أمل ، لكن استيفاء للروتين قلنا اعمل يا دكتور طه صدمة

(٣٩) الدكتور طه عبد العزيز هو المختص بتشغيل جهاز الصدمات الكهربائية للقلب .. ومعنى هذا أن الجهاز إذا كان قد بدأ العمل فقد عمل فى الوقت الميئوس منه تماماً .. لأنه حضر كما يذكر د.. الصاوى **بعد أن كان الرئيس قد** أسلم الروح !

(٤٠) ذكر الصحفى صلاح منتصر فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٦/٩/٢٨ نقلاً عما نشرته بعض المجلات العربية ومنسوباً للسيد صلاح الشاهد كبير الأمناء للقصر الجمهورى أن الرئيس ركب السيارة من المطار إلى منزله وهو فى غيبوبة تامة ، وربما لو أنه تناول قطعة صغيرة من السكر لكتب له عمر ثان ، فى المنزل حقنه الدكتور الصاوى بحقنة أنتستين بر يقين ضد الحساسية أصابت القلب بهبوط شديد وتوفى على الفور ، والدكتور الصاوى ــ والكلام لصلاح الشاهد ــ طبيب أطفال ، ود . أحمد ثروت الذى جاء طبيب أطفال أيضاً ، ود . محمد بطاطا الذى شارك ليس حاصلاً على دبلوم عال فى الطب ، أى أن الأطباء الثلاثة المحيطين بالرئيس غير متخصصين فى القلب أو السكر ، أما المتخصصون فكانوا الدكتور رفاعى كامل (فى القلب) ود . منصور فايز (فى الباطنية) ود . البدرى (فى السكر) فلم يكونوا معه ولذلك رفض الدكتور رفاعى كامل أن يكتب للرئيس شهادة وفاة لأنه لا يعرف السبب فى الوفاة ، كما رفض وكيل وزارة العدل للطب الشرعى وقال : « **لازم أشرّح الجثة** » .

كـهـربـائـيـة وعـملها الدكتور طه .. لكن هل كانت مجدية .. ؟ ولذلك أنا نسيتها وأنا بأرد على كلام صلاح الشاهد ، لأنها ما كانتش ح تفرق وما كانتش ح تفيد ..

س : إذا سمحت لى يا دكتور صاوى أنا عاوز تفاصيل كاملة فى هذا الموقف إذا كان ممكن ، عندما حضرت أنت والدكتور منصور والدكتور الرملى وتأكدتم تماماً من الخطر ، ووجود انسداد فى الشريان التاجى .. ماذا أعطيتم من دواء للرئيس عبد الناصر .. ؟

جـ : لأ ، تسألنى أعطيتم له إيه بالضبط ده سؤال يسأله دكتور إنما لا يسأله كاتب أو صحفى .. لأنه فى هذه الحالة لا يفيد ..

س : هناك اتهام يا دكتور صاوى وكلام قيل أنك أعطيت للرئيس عبد الناصر حقنة أنتستين .. أنا أريد توضيح هذه النقطة .. ؟

جـ : لا يوجد أنتستين فى الحالات اللى زى دى ، وباختصار أيـن ستعطى الأنتستين .. ؟ (٤١)

س : قصدى ربما أعطيته دواء منشطاً للقلب وهو فسر هذا الدواء بأنه أنتستين .. ؟

جـ : وأنا أعمل إيه ما يفسَّر ، إنما يعنى انت تيجى تقول أنتستين ؟ الأنتستين ليس له دور فى هذا الموضوع ..

س : ليس له دور .. ؟

جـ : أبداً ، وهل الأنتستين يموّت ؟ ده دواء للحساسية ومالوش دور يعنى .. يعنى

(٤١) فى رده على ما نشره « الأهرام » ، قال الدكتور الصاوى حبيب فى أهرام ١٩٨٦/١٠/١ ، ص ٧ : لم يتم حقن الرئيس عبد الناصر بالأنتستين لأن هذا عبارة عن نقط للأنف .

ومن الثابت والمعروف وطبقاً للمراجع العلمية ونشرات الأدوية ودليل الدواء المصرى أنه يوجد أنتستين على أشكال ثلاثة هى :

١ ــ نفط للأنف .

٢ ــ حقن (فى علبة بها ٥ أمبولات ٢ ملليجرام) .

٣ ــ أقــراص .

وطبقاً لدليل الأدوية المصرى للمتخصصين الصادر عن وزارة الصحة المصرية عامى ١٩٧٠ ، ١٩٧٧ ، صـ٩٣ ، تحت عنوان Antihistam Inics فإن شركة سويس فارما المصرية تنتج الأنتستين بتصريح من شركة سيبا السويسرية .

ما هو اللى قال إنها ...

س : غيبوبــة سكر.. ؟!

جـ : لأ ، لا تقل غيبوبة سكر ، لأنه هل حصل له غيبوبة .. ؟ هل هو حصل له أى فقدان وعْــى ؟ إذا كان حصل له كده ما كان دخل عربية الإسعاف .. ده يشهد على أنه لم يحدث له فقدان وعْى ، صحيح أنا لم أكن فى المطار([٤٢]) ، لكن لم يكن من المعقول أن أذهب إليه فى بيته بعد عودته من المطار وأجده يقظاً وقاعد يوصف لى اللى حدث و بعدين يقعد ما أعرفش يتكلم ده كله و بعدين يتقال إنه كان فى غيبوبة .. طيب غيبوبة إزاى وانتقل للبيت إزاى ؟ ما كان انتقل للمستشفى .. ؟ ([٤٣])

س : لابد أنك قرأت ما قاله السيد عبد المجيد فريد سكرتير عام رئاسة الجمهورية السابق فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر ؟

جـ : لأ ، لم أقرأ ما قاله ..

س : على كل حال ما قاله عبد المجيد فريد بعيد الآن عن موضوعنا ولكن بالمناسبة ، بمناسبة كومة السكر فهناك ثلاثة ادعاءات : الادعاء الأول يقول بأنه قد أجرى للرئيس عبد الناصر رسماً للقلب يوم ٢٨ سبتمبر وهذا الرسم لا يختلف فى شىء عن رسم القلب الذى أجرى له منذ عدة أيام ؟

جـ : أيــــــوه ..

س : الادعاء الثانى أن الدكتور ناصح أمين قام بعمل تحليل للدم يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ وكانت نسبة التجلط ٢٢٪ ؟

جـ : الغرابة ، تتصور إن الواحد بيخاف أحسن ينسى حاجة ، وأنت عارف إن الواقعة

---

(٤٢) من الملاحظات التى أثارت الدهشة لدى السيد شعراوى جمعة وزير الداخلية فى عهد جمال عبد الناصر عدم وجود طبيب مرافق لركب الرئيس جمال عبد الناصر لا عند ذهابه للمطار أو لدى عودته .. وقد سألنى إذا كنت متأكداً من أن الدكتور الصاوى حبيب لم يكن مرافقاً للرئيس لدى عودته .. فقلت : لا وهذا باعتراف الدكتور الصاوى حبيب نفسه .. (لقاء مسجل مع شعراوى جمعة مساء ١٢/٣/١٩٨٨ بالقاهرة) .

(٤٣) من يملك إصدار قرار نقل رئيس الجمهورية إلى المستشفى غير طبيبه الخاص الذى لم يكن موجوداً أو أى من أطبائه .. ؟ هذا بالإضافة إلى أن هذا إجراء سياسى وليس إجراء طبياً فقط .. ؟.ولكن أى مستشفى يقصد .. ؟ إن د . الصاوى يقرر فيا سبق أنه لم تكن فى مصر غرفة عناية مركزة .. فإلى أين كان سينقل .. ؟

دى مضى عليها أكثر من ١٦ سنة ، ولسه واحد جاى يفكرنى و يقول لى : إنت مش فاكر إن الدكتور فلان جاء لى ، وإن الدكتور ناصح أمين جاء للريّس يومها وعمل له تحليل دم وطلّع نسبة التجلط ٢٢٪ مش فاكر..

س : هل كان الدكتور ناصح أمين موجوداً ؟

جـ : لا أذكر..

س : من الذى يستطيع أن يتذكر و يقول لى إذا ما كان قد حضر من عدمه ؟

جـ : مش ممكن حدّ يفتكر ، لكن أقطع أن الدكتور ناصح أمين لم يوجد فى بيت الرئيس هذا اليوم ، يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

س : الادعاء الثالث !

جـ : الادعاء ده مش ماشى برضه ..

س : أنا أذكر لك يا دكتور صاوى ما قيل من ادعاءات ولم أصفها بأنها حقائق ، وعلى كل فالادعاء برسم القلب وأنه كان لا يختلف عن رسم القلب الذى عمل منذ أيام للرئيس وليس ادعاء بل حقيقة ، والادعاء الثانى تقول عنه أنه غير حقيقى ، أمّا الادعاء الثالث فمضمونه أن أحد الأطباء المحيطين بعبد الناصر قد أعطى له حقنة أنتستين وليس أنتستين بر يفين وحقنة بانتو بون وهذه من مشتقات المورفين و بعدين الدكتور منصور أو طبيب آخر..

جـ : جابها منين حقنة البانتو بون ؟

س : على كل حال أرجو أن تسمع بقية الادعاء .. جاء طبيب آخر من المحيطين بعبد الناصر ونصح بأن يعطى عبد الناصر حقنة أخرى بانتو بون .. فبعدما أخذ الرئيس عبد الناصر حقنة البانتو بون الثانية توفى على الفور..

جـ : هذا ادعاء غير صحيح ، شوف لو ذهبت تسأل الدكتور منصور فايز عن ترتيب الوقائع .. وعلى كل حال فإن هذا الكلام لكى يكون صحيحاً لابد أن يكون صادراً عن أحد ثلاثة هم : أنا ، أو الدكتور منصور فايز أو الدكتور زكى الرملى ..

س : هل كان الدكتور رفاعى كامل موجوداً . ؟

جـ : سـوف أقول لك ، لم يحضر سوى الدكتور زكي الرملي ، و بالعكس الموضوع كان ماشي كو يس جداً ، لكن زى ما قلت لك ماحدش فى الدنيا يقول فى الظروف دى الناس كلها بتحكم على الراجل من منظره .. هذا الرجل الذى هو جمال عبد الناصر كانت ظروفه تحتم السر ية فى مرضه ، وكان ممكن الجلطة الأولى لو كان قام بمجهود ما أو فى الشارع .. كان يمكن يحصل نفس الوضع ، ولكن الظروف أن الأزمة كانت فى البيت ، ور بنا شاء أنها تمر لأنها كانت تجئ للر ئيس من غير ألم

والجلطة الثانية جاءت له بعد إرهاق شديد وهى نتيجة منطقية للتار يخ المرضى للرئيس ، فى القلب جزء مُتليّف من عضلة القلب والجزء الثانى حدث فيه جلطة .. ماذا تتخيل أن يحدث ؟ و بعدين مافيش حد عارف الوصف ، واحد تلاقيه عرقان وأطرافه باردة وضغطه منخفض جداً ، ونبضه سر يع .. دى كلها علامات الصدمة القلبية اللى بيقولوا لغاية النهاردة لا يوجد علاج لها .. لماذا .. ؟ هو العلاج يبقى إمتى ؟ عندما يكون القلب فيه مضخة مُمكن تشغّله .. لـمّا القلب فيه جزء سليم .. جزء محسوس سليم .. ، ودائماً النجاح له مائة أب أمّا الفشل فيتيم .. النجاح إزاى .. ؟ إذا عاش واكتشف الناس أننى عالجته ، إنما دلوقتى كل واحد أصبح طبيب و يشخّص : انخفاض السكر ده فى المطار ، ولماذا لم يحدث وهو قاعد فى بيته ؟ ولماذا لم يحصل وهو فى بنى غازى ، قاعد بدون غذاء من الساعة التاسعة صباحاً للساعة الخامسة بعد الظهر ، كل واحد أصبح بيحشر نفسه فى حياة هذا الشخص الخاصة ، شخص بالحجم ده صحته .. إنت مثلاً لما حد من أولادك بيتعب بتسكت .. ؟ ما انت لازم تتحرك مع الدكتور ، تعطى له مضاد حيوى ليه .. ؟ وهل الحرارة سوف تضيع بالمضاد الحيوى .. ؟ أنا أقول لك أعطى له اسبير ين يضيع الحرارة .. ، طيب تعطى له مضاد حيوى ليه .. ؟ أقول لك علشان يموّت الميكروب .. طيب وهو ده ميكروب وإلاّ فيروس .. ؟!

س : أنا شخصياً أحترّم الأطباء جداً وكلامهم ، ربنا فوق وهمّ تحت .. !

جـ : يعنى أساساً يا أستاذ جمال ، هل الناس اللى كانوا قائمين على الخدمة الطبية

لجمال عبد الناصر على مستوى والاّ لأ .. ؟ هذا الرجل الذى تعرض لأسيتون وجلطة فى الشريان التاجى ، لم يسأل أحد نفسه من هؤلاء الذين ينصبون أنفسهم أساتذة فى الطب ، و يشخصون وهم جالسون فى بيوتهم أمام التليفزيون ، لم يسألوا أنفسهم لماذا لم يعش عبد الناصر كثيراً ، على الرغم من أن والده عاش كثيراً ، يعيش هو عمراً أكثر.. ، ثم ما السبب الذى يؤدى به إلى الإصابة بالسكر وهو فى الثلاثينيات .. ؟ هل هذا شخص عادى ؟ يبقى لمّا يعيش حياة عادية يبقى شخص عادى ، القضية هى : هل تثق فىّ أم لا ؟ تسلمنى روحك أم لا ؟ تسلمنى روحك فاطمئن ، تقصير عمر جمال عبد الناصر لم يقم به الأطباء ، لأ ..

س : ربما كان ما أثير من ادعاءات وكلام السيد صلاح الشاهد وكلام غيره يستند إلى كلام رجل حجة فى القلب وفى الطب .. مثلاً الدكتور رفاعى كامل .. مارأيك ؟

جـ : مش ممكن يقول الدكتور رفاعى كامل هذا الكلام .. مش ممكن (٤٤) .

س : د . رفاعى كامل قال هذا الكلام وكرره أمام الفريق محمد فوزى وزير الدفاع الأسبق .

جـ : إستحالة ، لكن طبعاً الفريق فوزى ده وزير دفاع يرى أمامه جمال عبد الناصر يموت .. إزاى يموت جمال عبد الناصر ؟ بقى واقف مذهول ، طب اطلبوا الدكتور رفاعى ، حاجة طبيعية جداً ، هاتوا الدكتور رفاعى ، إمّال ح يجيب مين ؟ فييجى الدكتور رفاعى يبص فيه آه ميّت .. دى مسألة طبيعية جداً ..

س : سمعت أن الفريق رفاعى كامل رفض أو تردد فى توقيع الشهادة أو حاجة من هذا القبيل .. أقصد شهادة الوفاة ؟

جـ : لم أسمع بهذا الكلام ده خالص ، هذه أول مرة أسمعه .

---

(٤٤) الحقيقة ــ طبعاً ــ أن هذا الكلام أو هذه الادعاءات مؤيدة بكلام موثق من الدكتور رفاعى كامل ، ولم أشأ مصارحة الدكتور الصاوى حبيب بذلك ، وعلى أية حال فمهما كانت شخصية صاحب الاتهام فالجريمة قد وقعت أو ما نتصور أنه جريمة قد وقعت ، وعلى المتهم أو الجانى أن يقدم الدليل على براءته أو ينفى التهمة بأدلة مقنعة .. ، كذلك لا يمكن الادعاء بأن صاحب هذه الأقوال مُغرض أو صاحب هوى أو فى قلبه حسد أو غيره للدكتور الصاوى حبيب فشتان بين هذا وذاك من نواحى السن والمكانة والتخصص .. !

س : بعد نقل جثة الرئيس جمال عبد الناصر إلى قصر القبة مساء يوم ٢٨ سبتمبر، حيث عقد هناك اجتماع مشترك ضم أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء الذين كان معظمهم فى الجبهة .. والاجتماع بهدف إعلان وفاة الرئيس عبد الناصر وانتقال السلطة إلى نائبه أنور السادات وتحديد موعد الاحتفال بتشييع الجثمان إلى مقره الأخير.. هل طُلب منكم الاستماع إلى رأيكم فى أسباب الوفاة أمام المجتمعين .. ؟

جـ : لأ ، ده كان فيه بيان وهذا البيان وقّع عليه الدكتور بهاء والدكتور رفاعى كامل ، ولنفرض أنه رفض التوقيع ، يعنى ما هو شايف الجثة قدّامه ولا توجد أية شبهة ، يعنى مثلاً إذا أنا رحت لمريض أعرفه ولقيته قدامى ميت ولا توجد به أية آثار عنيفة أرفض التوقيع على شهادة وفاته ؟ طبعاً ده منطق غير طبيعى ، واتعطلت جلسة مجلس الوزراء إلى أن يصل الدكتور منصور فايز علشان يقرأ البيان بصفته أكبرنا سناً ورئيسنا (٤٥) .

س : فى الواقع الدكتور رفاعى كامل ليس صغيراً وهو أيضاً رجل عسكرى ومحل ثقة ، ولا غبار على كفاءته التى هى محل تقدير الجميع ، كذلك لا أعتقد أنه ــ بكلامه هذا ــ يبحث عن ضحية لحكم القدر.. لكن السؤال هو: ما مصلحة الدكتور رفاعى كامل فى أن يشكك فى موت عبد الناصر.. ؟

جـ : الواقع أن الدكتور رفاعى كامل لا أهمية له فى الموضوع لأنه لم يحضر ما سبق الوفاة أو الوفاة نفسها ، وبالتالى مناقشة أى شىء يتعلق به لا قيمة له فالظروف اللى جابته أن قائد الجيش الفريق فوزى عايز يعمل أى حاجة لإنقاذ الرئيس فنادى الدكتور رفاعى ..

س : على كل فلنترك هذا الموضوع إلى الاجتماع المشترك فى قصر القبة .. هل حضرت الاجتماع وناقشت الأعضاء والوزراء فى أسباب موت الرئيس عبد الناصر.. ؟

---

(٤٥) من الواضح أن كلام الدكتور رفاعى كامل عن رفض توقيع شهادة الوفاة صحيح ، لأنه لولا ذلك ما كان الأمر فى حاجة لاستدعاء الدكتور منصور فايز لقراءة البيان الذى أعلن على الناس والبيان بالطبع غير شهادة الوفاة .. والمعروف أن الدكتور رفاعى كان مقيماً بقصر القبة مع الطبيب الشرعى مع الجثة إلى أن تم الاحتفال بتشييع الجنازة يوم الخميس أول أكتوبر سنة ١٩٧٠ .

جـ : لأ ، أنا بصراحة لم أحضر ، لأن السيدة حرم الرئيس عبد الناصر حصل لها دور من ضربات القلب الشديدة بتوصل من ١٦٠ إلى ٢٢٠ ، فأنا كمّلت معاها والدكتور منصور فايز قرأ البيان ، ومن هنا فإن كل ما ذكر عن رفض إصدار شهادة وفاة للرئيس غير حقيقي ، سواء كان هذا كلام د . رفاعى كامل أو السيد صلاح الشاهد .. وأنا فى الواقع جلست أسأل نفسي مليون مرة هذا السؤال : ما مصلحة صلاح الشاهد إنه يقول كده .. ؟ فلم أصل إلى إجابة ، وأعتقد أنه جاءه شيء من اللبس ، وأن دوره هو دور جنرالات الهزيمة .. وأنا ما زلت أقول إن النجاح له ألف أب أمّا الفشل فيتيم ولا أب له ..

*** وإلى هنا وانتهت شهادة الدكتور الصاوى حبيب ، طبيب الرئيس جمال عبد الناصر من عام ١٩٦٤ إلى عام ١٩٧٠ .**

■ □ ■ □ ■ □ ■

شهادة فؤاد عبد الحى

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو كان فؤاد عبد الحى [1] برتبة نقيب (يوزباشى) فى الجيش، وقد عمل فى المخابرات العامة، وتولى بعض الوظائف فى رئاسة الجمهورية، فكان ــ مثلاً ــ مسئولاً عن أمن الرئيس ــ الأمن الشخصى ــ كما كان مسئولاً فى الوقت نفسه عن الأمن والحراسة فى نفس الوقت بالتنسيق مع قائد الحراسة الخاصة اللواء محمد البنا، الذى نفذ خطة تحركات الرئيس، وكان ــ حتى ذلك سنة ١٩٦٦ ــ على قوة المخابرات ــ فأصدر الرئيس أمراً بنقله إلى رئاسة الجمهورية مديراً عاماً ثم عُين سكرتيراً خاصاً له..

والواقع ــ الذى لم يقله فؤاد عبد الحى ــ أن سكرتيرىْ الرئيس ناصر وهما: محمد أحمد الجيار ومحمود فهيم كانا يقاربان عمر الرئيس ناصر، وكان من الصعب عليهما

(١) **فؤاد عبد الحى**، سكرتير خاص جمال عبد الناصر فى الفترة من ١٩٦٦ إلى حين وفاته فى ٢٨/٩/١٩٧٠ ــ أمين عام وزارة الخارجية الآن ــ لم يتعد الخامسة والخمسين، تمت شهادته فى مكتبه الواقع فى مبنى وزارة الخارجية الواقع فى ميدان التحرير فى صباح يوم ١٢ من نوفمبر سنة ١٩٨٦.

● فؤاد عبد الحى ●

مواصلة العمل الذى يعتمد فى جزء كبير منه على اللياقة البدنية وسرعة البديهة ، وكان من الطبيعى أن يلاحظ الرئيس ذلك فأبقاهما فى مكتبيهما يقومون بالأعمال الروتينية واختـار فؤاد عبد الحى ليكون سكرتيراً خاصاً له ، وكان ذلك فى عام ١٩٦٦ وعمره لم يتعد ــ بعد ــ الخامسة والثلاثين .

وفؤاد عبد الحى من الأشخاص الذين تحبهم وترتاح إليهم لأول وهلة ، وعندما يتحدث يسمى الأشياء بأسمائها ، وقد يستعمل كلمات جارحة بهدف تحديد المعنى المراد تحديداً دقيقاً ، فمثلاً عندما يصف بعض المحيطين بالرئيس وقت هذه الأزمة فإنه يختار حكمة فائقة الدلالة على المعنى وهى : أصلهم كانوا « مذهولين » .. وكلمة « مذهولين » لا تضاهيها كلمة عربية واحدة فى المعنى .. ولكن لكى تصل إلى معناها لابد من استخدام حشد من الكلمات والجمل ..

وحتى الآن وعمره يقترب من النصف الثانى من الخمسينيات فمازال كما هو شاباً رشيقاً لا يزيد وزنه فى تقديرى عن ٦٥ كيلو .. ، وطوله لا يتعدى ١٦٠ سنتيمتراً ، أسمر فى لون عبد الناصر الذى أحبه كثيراً ..

كان قريباً جداً من عبد الناصر ، وكان رفيقه ــ ربما ــ الوحيد فى اللحظات التى سبقت وفاته ، ومن هنا فلشهادته أهمية كبيرة .. ، وقد لا يكون دقيقاً ولكنه على أية حال صادق ، وقد يجامل ولكن ليس على حساب الحقيقة .. ، يكفيه أنه ذكر لأول مرة واقعة على جانب عظيم من الخطورة وهو أن حضرات الأطباء المشرفين على علاجه أرسلوا يطلبون أنبوبة أوكسجين ، والأنبوبة فى صيدلية والصيدلية فى الدور الثانى من مبنى السكرتارية على الرصيف الآخر من بيت الرئيس .. ، وكانت الصيدلية مغلقة ، مديرها لا وجود له ، واقتضى الأمر تحطيم الباب لإخراج أنبوبة الأوكسجين .. لم تكن العقبة فقط أن الصيدلية مغلقة ، ولكن العقبة ــ أيضاً ــ أن أنبوبة الأوكسجين « عهدة » أو « أمانة » .. ورجل آخر ، زعيم هذه الأمة يلفظ أنفاسه الأخيرة فى حاجة إلى جرعة من الأوكسجين من هذه الأنبوبة ..

هل هذا إهمال الأطباء .. ؟ أم إهمال من يتولى إدارة بيت رئيس الجمهورية ؟ أم إهمال وزير شئون رئاسة الجمهورية .. ؟ لكنه إهمال يصل إلى حد التواطؤ على حياة رئيس الجمهورية .. وعلى كل فلنستمع إلى شهادته بصبر واهتمام ...

س : أين كنت يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ؟

جـ : كنت مع الريّس فى المؤتمر. ما كنتش أسيبه .

س : هل ترافقه دائماً فى الرحلات والمؤتمرات والزيارات .. ؟

جـ : نعم ، من يوم ما صدر قرار بأنى سكرتير خاص ، كنت أطلع معاه فى كل حتة ، وباستمرار أى مكان يروح فيه أكون معاه ، وعلى هذا فقد كنت معه ــ بالطبع ــ فى المؤتمر اللى انعقد فى الهيلتون على ما أذكر .

س : تذكر طبعاً أنه كان فيه استعدادات خاصة للحماية والأمن .. ؟

جـ : طبعاً ، أذكر من هذا : الكوبرى الذى كان يصل بين الهيلتون وقاعة اجتماعات جامعة الدول العربية .. كان فيه أيامها مشاكل بين الأردن والمقاومة ، وكانت فيه وفود بتروح وتيجى وفى انتظار عودة النميرى من الأردن ورجع مع ياسر عرفات ، و ياسر وصل والدنيا زايطة ، صحيح الواحد ما كانش فى القاعة من جوه لكن من وراء الكواليس الواحد كان بيشعر أن الرئيس رحمه الله كان بيبذل مجهود فوق طاقته .

س : هل تذكر متى ذهبت مع الرئيس إلى المؤتمر .. ؟

جـ : أعتقد يوم ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، وكان لنا جناح فى الهيلتون ، لكن الواحد كان بيحس إن المؤتمر كله بيدور فى فلكه حول عبد الناصر ، يعنى هو اللى قاعد يلزّق فى المؤتمر علشان نوصل لنتيجة ، طبعاً الضغط واضح عليه ، والظروف كانت واضحة أن الشغل كان كتير قوى ، وكان برضه بيروّح ما بيحبش يبات هو فى الهيلتون (٢) .

س : هل كان ــ فعلاً ــ يعود إلى بيته كل ليلة بعد انتهاء أعمال المؤتمر .. ؟

جـ : تقريباً بنسبة ٩٠٪ ، ٩٥٪ ، وبعدين ما كانش هو يحب ينام بره أو يأكل بره ..

---

(٢) أجمع الذين رافقوا الرئيس فى مؤتمر الهيلتون أن الرئيس عبد الناصر كان يبيت فى جناحه بالدور الـ ١١ بالهيلتون أثناء عقد المؤتمر (٢٣ ــ ٢٧ سبتمبر) ولم يذهب إلى بيته إلاّ مساء السابع والعشرين من سبتمبر، لكن طبقاً لرواية الأستاذ فؤاد عبد الحى ، وهو سكرتيره الخاص ورفيقه فى السيارة عندما لا يكون معه ضيف ، فإن الرئيس كان يعود كل ليلة إلى بيته لينام ، ونحن لا نطمئن إلى شهادة السيد فؤاد عبد الحى فى نفيه مبيت الرئيس فى الهيلتون ، لأنه لم يقدم سبباً مقنعاً لذلك .

س : هل كان فريق الأطباء المرافق معه فى الهيلتون أيضاً .. ؟

جـ : طبعاً كان فيه Sestem نظام ..

س : إيه هو هذا الـ Sestem .. ؟

جـ : الـ Sestem هو إن فيه خدمة طبية موجودة بالسكرتارية فى منشية البكرى وهى عبارة عن صيدلية كبيرة يرأسها وكيل وزارة قدّ الدنيا ، صيدلى وده كان هو الدكتور صلاح جبر ، وده راجل محترم ، والصيدلية الـ ٢٤ ساعة مفتوحة وأنابيب الأوكسجين برضه موجودة وكل الاستعدادات الطبية موجودة فى السكرتارية ، علاوة على أنه له طبيب خاص هو الدكتور الصاوى حبيب ، والريّس برضه هو اللى اختاره (٣) .

س : هل أنت متأكد أن الرئيس هو الذى اختاره .. ؟

جـ : لأ ، ما أعرفش ، إحنا بصّينا لقينا الصاوى بيشتغل ، لكن كيف جاء ، أنا شخصياً لا أعرف ظروف وجود الصاوى إيه (٤) ، لكن قبله كان فيه الدكتور أحمد ثروت ، وأنا حضرت ـــ فعلاً ـــ الرياسة قبل الصاوى حبيب ، وكان فيه الدكتور أحمد ثروت وكان هو المسئول عن العملية الطبية ..

س : هل الدكتور أحمد ثروت هو الذى رشح الدكتور الصاوى حبيب ؟

جـ : أظـــن (٥) .

س : والصاوى حبيب هو اللى جاب الدكتور منصور فايز .. ؟

جـ : لا ، أنا أقول لسيادتك إن الصاوى كان حويط شوية (٦) ، منوفى (٧) ، يعنى

---

(٣) قرر الدكتور الصاوى حبيب أن الذى اختاره للعمل فى رياسة الجمهورية هو **الدكتور أحمد ثروت** الذى توفى سنة ١٩٧٤ (**شهادة د. الصاوى حبيب المسجلة فى ١٢/١٠/١٩٨٦**) .

(٤) يبدو أن السيد فؤاد عبد الحى لا يستقر على حال معين ، إنه يذكر واقعة ما ثم يعود سريعاً لينفيها ، وبالطبع لا يمكن إرجاع ذلك إلى ضعف الذاكرة !!

(٥) لاحظ أنه قرر أن الرئيس هو الذى اختار د. الصاوى ثم عاد وأنكر معرفته بظروف وجود د. الصاوى حبيب بالرياسة .. وأخيراً ها هو يتردد فى التسليم بترشيح الدكتور ثروت للدكتور الصاوى حبيب للعمل بالرياسة !

(٦) **حويط** : أى خبيث ولئيم ..

(٧) **منوفى** : أى خبيث ولئيم أيضاً ، والمعروف أن أنور السادات من المنوفية وهى محافظة تقع شمال القاهرة ومن محافظات الدلتا الغنية بالخضروات و يشتهر أهلها بالبخل والخبث ومداراة القوى ونفاق الحكام .. !

أكثر من حوبيط ، يعنى ناصح ، المهم كان عندنا نظام خاص للخدمة الطبية ، كان فيه طبيب خاص ودوره واضح وهو بييجى يشوف الريّس كل يوم الصبح ، وده حسب شغلى وأنا فاهمه ، لأن أنا بقى اللى أشوفه ، يعنى الدكتور الخاص كان الدكتور أحمد ثروت قبل أن يتوفى أو الدكتور الصاوى بعد ما مسك مكان الدكتور أحمد ثروت . . ، كان له دور فوق عند الريّس ، الله أعلم كان بيعمل إيه فوق ، لكن الراجل بيطلع كل يوم بيقولوا بيدّى الحقنة للريّس .

س : هل تعرف هذه الحقنة التى كان يعطيها الدكتور الصاوى حبيب للريّس ؟

جـ : إعفينى ، لأن التكنيك اللى فوق (٨) لم أره ولا مرة . .

س : لكن الدكتور الصاوى كان يصعد يومياً إلى فوق ؟

جـ : كل يوم الصبح . . البوابة تفتح له على طول . .

س : حوالى الساعة كام . . ؟

جـ : والله لمّا يقولوا إن الريّس صحى (استيقظ) ، أصل الريّس ده ريّس يعنى ، كان السفرجى ساعات يسأل : الدكتور عندكم . . ؟ فإذا كان الريّس صحى ، يقول السفرجى : طيب قولوا له الريّس صحى . . تكون الساعة أصبحت تسعة والاّ ثمانية ، تطلع عشرة ، لكن دى فترة الصبح . .

س : يعنى الدكتور بييجى دائماً فى فترة الصباح من الساعة الثامنة إلى الساعة العاشرة . . ؟

جـ : هو الريّس كان بيصحى بدرى ، ما كانش فيه الخِصلة (العادة) إنه يصحى الساعة ١١ ، ١٢ ، وعلى كل الطبيب بيطلع كل يوم و يعمل ما يلزم هناك ، فوق الله أعلم بيعمل إيه ، لكن المعلومات إنه كان فى الفترة الأخيرة ، كل الناس كانت عارفة وأنا من الناس اللى كانت عارفة إن الريّس عنده سكر . . معروفة زى الشمس ، علشان حاجات قبل كده حصلت ، وأنا شخصياً عندى سكر ، و بعدين الموضوع بتاع القلب اللى جاله سنة تسعة وستين ، كنا عارفين أن السكر والقلب دول المرضين الأساسيين اللى بيطلع لهم الدكتور الصاوى حبيب ،

---

(٨) يقصد بيت الرئيس عبد الناصر من الداخل لأن مكتب السيد فؤاد عبد الحى كان يقع فى الدور الأول .

بيعمل له إيه بقى فوق ؟ موش عارف ، لكن ده الهيكل بتاع العلاج .. المهم يطلع الدكتور فى فترة الصبح و ينزل بعد نصف ساعة أو ٤٥ دقيقة أو ربع ساعة وبيروح يشوف شغله ، وكان عندنا دكاترة نوبتجية ودول كان إسمهم أطباء الرّكاب ، وأطباء الرّكاب كان على ما أظن أو أتذكر كانوا : د . محمود فراج ، د . طه عبد العزيز ، د . محمد إبراهيم .

س : هل كان الفريق طبيب رفاعى كامل يتردد على بيت الرئيس عبد الناصر .. ؟

جـ : لأ ، لأ ، ما تسمعش ، أنا أقول لك الواقع بصفتى وموقعى عن الحاجة الشخصية الخاصة بالريّس ، يعنى أنا بأقول لك أنا سكرتيره الشخصى ، يعنى حتى مع احترامنا للإخوان بتوع الورق والمعلومات (٩) ، يعنى ما يعرفش السفرجى فيه إيه فى البيت ، جايز يعرف المطبخ و بس ، فأنا بأقول لك الواقع والحقيقة وقدام ربنا لا د . رفاعى ولا مارفاعيش !! (١٠)

س : تقصد من هذا أن الدكتور رفاعى لم يكن يحضر إلى بيت الرئيس ؟

جـ : أنا لم أر رفاعى دخل بيت الرئيس إلاّ إذا كان دخل من وراء ظهرى ، لكن أن يتردد فلابد أن أعرف أنه حضر ولم أره هذا اليوم وقد أراه غداً ، لكنى لا أذكر أن رفاعى تردد على بيت الرئيس ، لكن أتذكر أنه جاء يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ (١١) ، أظن بعد ما توفى ، لكن ما كانش الريّس يحبه ، هو كان فيه خِصل (١٢) تتعب الدنيا ، عموماً ده مش موضوعنا ، المهم كان فيه أطباء ركاب (١٣) يبقى موجود فى السكرتارية مع نوبتجية الحراسة ، طبيب اسمه مثلاً الدكتور فلان قاعد مع ضباط الحراسة الذين يكوّنون طقم حراسة كل ٢٤ ساعة ، مع هذا الطاقم يوجد الدكتور دائماً ، قاعد بدون مواعيد ، ومعروف أنه

---

(٩) يقصد الذين يحكمون أو يقررون من خلال التقارير والأوراق وليس من خلال الواقع ..

(١٠) لم أفهم سبباً لهذه الحدّة فى نفى حضور الرفاعى بيت الرئيس !

(١١) أخيراً تذكر أنه جاء فى اليوم الحاسم ، لكن كلامه عن الدكتور رفاعى مشحون بالعداء والكراهية .. لماذا .. ؟

(١٢) **خِصل** : كلمة بالعامية المصرية تعنى عادات متأصلة .

(١٣) **طبيب ركاب** : أى الطبيب الذى يصحب موكب الرئيس ، وغالباً ما يوجد طبيب الركاب هذا ضمن الأطباء فى عربة الإسعاف المجهزة التى تصحب موكب الرئيس .

مثلاً الرئيس خارج الساعة الثانية أو الساعة الخامسة فيصبح من المعروف ذلك ، وعندئه تجهز سيارات الحراسة مع ضباط الحراسة والدكتور وسط هذا كله ، هذا هو النظام ، و بعد ما ينام الرئيس ، الدكتور طبعاً بتاع النوبتجية يروّح ، ونبتدى نروّح كلنا .. هذا هو النظام الذى أتذكره ..

س : فى فندق الهيلتون وأثناء المؤتمر من الفترة ٢٣ ــ ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠ هل كان فيه نوبتجية حراسة وطبيب ؟

جـ : طبعاً ، الحراسة والنوبتجية ٢٤ ساعة فى مكان يوجد فيه الرئيس ، والنظام هو كده : الريّس نازل بننزل معاه فى العربيات واللى بيركب معاه السكرتير الخاص ، بيركب جنبه ، وإذا كان حد من النواب معاه يبقى السكرتير فى عربية من العربيتين اللى وراه .. فى هذا اليوم ، أى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ أنا أذكر أننا كنا نودّع الرؤساء الموجودين ، وكان ميعاد أمير الكويت الظهر ، كان ميعاد « رذل » (١٤) ، كانت الساعة الثانية حاجة زى كده (١٥) ، **فأنا أذكر تماماً أن السيد محمد أحمد** (١٦) **كلمنى وقال لى : يا فؤاد الراجل الكويتى ده « بايخ » ، وأنا تعبان وتطلع مع الريّس إنت والنبى أحسن مش ح أقدر**، وعلى هذا دخلنا جهزّنا الرّكاب وكان ميعاد الريّس أظن الساعة الواحدة والنصف أو الساعة الثانية أو الساعة الثانية والنصف فى الميعاد « البايخ » ده ، و بعدين إحنا قاعدين من كتر الروتين بيبقى الواحد بيعملها أوتوماتيك ، المهم أنا سمعت ركاب أمير الكويت ولقيته مرّ من أمام بيت الريّس فى منشية البكرى والريّس ما نزلش ، فطلبت السفرجى فقال لى : أيوه يا بيه الريّس بيلبس ، و بعدين أنا دخلت جوّه العربية برضه من الحاجات المفروض إنها تتقال أن السكرتير بيقعد مع الريّس فى العربية إلاّ إذا كان فيه ضيف مع الريّس يركب جنبه ، يعنى

(١٤) **رذل :** كلمة بالعامية المصرية ومعناها : سخيف ! أو ميعاد غير مناسب !

(١٥) كان موعد سفر أمير الكويت ما بين الثالثة والثالثة والربع بعد الظهر.

(١٦) محمد أحمد كان من حرس الرئيس عبد الناصر منذ ثورة يوليو ثم أصبح سكرتيراً خاصاً له ، وفى الفترة من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٠ كان يُسكلف ببعض المهام ، لم يكن موجوداً يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ ، وكان السيد فؤاد عبد الحى يتولى المنصب الفعلى للسكرتير الخاص لجمال عبد الناصر وظل كذلك إلى حين وفاة الرئيس ، وقد أصبح السيد محمد أحمد وزيراً فى أول وزارة شكلها السادات بعد انتخابه رئيساً للجمهورية فى ١٩٧٠/١١/١٨ وكانت الوزراة برئاسة د . محمود فوزى ثم عين مرتين وزيراً لشئون رياسة الجمهورية ثم وزيراً فى اتحاد الجمهوريات ... إلخ .

كان أنور السادات الله يرحمه ، وحسين الشافعى كانوا بيركبوا ، فالمهم أن اليوم ده ما كانش فيه حد ، فالرئيس نازل لوحده فركبت جنبه ، وطلعنا من البيت وشايف أنا إنه مُجهد وتعبان و يعنى قرفان ، فأنا طبعاً عارف إن ده تعب الخمس والست أيام اللى فاتوا ، وأذكر أننى وأنا جالس إلى جانبه فى العربة عايز أقول له حاجة .. أو يقول لى حاجة ، يعنى « أنكشه » (١٧) يتكلم .. ، كان من الصعب أن الإنسان يفتح حديث معاه غير لما يأذن هوه بطريقته الخاصة ، ومهما سمعت من روايات اللى الواحد بيسمعها للأسف بعد موت الرئيس ناصر إن أى حد من اللى عامل « غضنفر» (١٨) دلوقتى ، أى واحد لم يكن يستطيع أن يفتح فمه بكلام معاه إلاّ لو الرئيس هو اللى فتح الكلام أولاً ، وهذه نقطة أقولها للتاريخ ، علشان يعنى فيه ناس كثير عاملة دلوقتى شجاعة ، المهم أنا شفته تعبان وكان حالق ذقنه ، وأنا فاكر إنه كان له عادة أنه يمسح دقنه بالقطن فأنا وجدت قطعة قطن صغيرة جداً على كتف الجاكت . فأنا عايز أشوف سبب أكلمه ، فمسكت قطعة القطن والتقطتها من على الجاكت فبصّ لى وقال : إيه .. ؟ فيه إيه .. ؟ قلت له : لا يافندم ، الظاهر سيادتك ، قطعة قطن .. بس ، سيادتك تعبان ؟ رد قائلاً : آه الواحد تعب !!
وإلى هنا وبسّ ، وكفاية علىّ أنا قلت كده وهو ردّ علىّ .. ورحنا المطار ووصلنا كويسين ٢٤ قيراط واتعملت مراسم التوديع وكل حاجة تمام ٢٤ قيراط ..

س : هل كان نزوله من العربة طبيعى .. ؟

جـ : عادى جداً ، ونفس اللى بيتعمل كل مرة فى التوديع هوه هوه ، ورحنا عند سلم الطائرة ، وأمير الكويت صعد سلم الطائرة ، وعملنا له باى باى ، والتانى عمل له باى باى ، وبعدين حصلت الحاجة اللى مش طبيعية ، نعم الحاجة اللى مش طبيعية بدأت من لحظة ما أمير الكويت طلع على سلم الطائرة والباب اتقفل أو بيتقفل ، فلقيت أظن حسين الشافعى أو أنور السادات يعنى بيقول هاتوا العربية هنا (١٩) .

---

(١٧) أثيره ليتكلم .

(١٨) غضنفر: شجاع أو أسد .

(١٩) يذكر السادات فى كتابه « البحث عن الذات ــ قصة حياتى » ص ٢٦٣ ، أن الرئيس عبد الناصر كان يتحامل على نفسه ، فعندما ركب أمير الكويت طائرته ، لم يتحرك عبد الناصر من أمام الطائرة ، بل وقف مكانه والعرق يتصبب من وجهه وقد امتقع وجهه بصفرة رهيبة ، فطلب أن تأتى السيارة إلى حيث كان .. ! ــ « البحث عن الذات » الطبعة الأولى ــ أبريل سنة ١٩٧٨ ــ الناشر : المكتب المصرى الحديث .

س : هل هناك أحد آخر من المسئولين حول الرئيس .. ؟

جـ : لأ ، ما كانش فيه حد .. وبعدين مين يفتكر ويتذكر النقطة دى ؟ (٢٠)

س : هل كنت على مقربة منه لتسمع ذلك .. تسمع ما قاله أحد الاثنين الشافعى أو السادات : هاتوا العربية هنا .. ؟

جـ : بينى وبينه ما فيش متر وطبعاً الريّس لما يقف مع النواب يادوب إحنا نبقى واقفين على مسافة مترين ، ونتيجة الوشوشة (الهمس) مع النواب هو اللى أنا فاكره ، إن الاثنين النواب (٢١) كانوا وياه ، لكن الشىء الذى أذكره بالتحديد أن أنور السادات كان موجود لأنه هو الذى نظر إلىّ وقال : هاتوا العربية هنا .. دى كانت جديدة علينا بقى ..

س : وماذا كانت العادة المتبعة ؟

جـ : فى العادة كانت العربات تنتظر فى مكان الانتظار وهو مكان ليس بعيداً ، كان للعربات مكان معين ولا تدخل أكثر منه .. والرئيس بعدما ينتهى من التوديع يسير نحو العربة ويركبها ، فالجديد علينا أن تذهب العربة إليه ، وأذكر أن السادات هو الذى قال : هاتوا العربية هنا .. وهنا أحضرنا العربة وركبت إلى جانبه وسارت العربة ٢٤ قيراط إلى أن وصلنا إلى سور الكلية الحربية تقريباً وأذكر جيداً صورته وهو قاعد فى العربية .. كان يستند بيده على مسند العربة ووضع رأسه على إيده مستنداً والتعب ظاهر عليه ..

س : عرق والاّ مجرد تعب ؟!

جـ : لأ مجرد تعب ، وبعدين برضه أنا يعنى قاعد مش مستريح ، كان صعبان علىّ ، الواحد بيحبه طبعاً ، أو حتى بيحبه أو ما يحبوش أهو راجل تعبان قاعد جنبك ، فأنا كنت عايز برضه أكلمه ، أنا بأقول لك على مشاعرى ، وزى ما قلت لك أن

(٢٠) ذكر الفريق سعد الدين متولى كبير الياوران أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يتحامل على نفسه ليخرج من السيارة ويدخل إليها ، وأنه كان يستند بكلتا يديه ليتمكن من النهوض من مقعده الخلفى إلى الباب .. ولم تكن هذه ملاحظة كبير الياوران فقط إنما كانت ملاحظة كل من شاهده فى المطار .. فكيف عجز السيد فؤاد عبد الحى عن التقاط هذه الملاحظة ؟!

(٢١) كان لفظ « نائب » يطلق على رفاق عبد الناصر احتراماً وتوقيراً ، والواقع أن السيد حسين الشافعى كان فى ذلك الوقت نائباً للرئيس ووزيراً للأوقاف وشئون الأزهر ، طبقاً لقرار تشكيل الوزارة فى ١٩٦٨/٣/٢٠ ، وكان نائباً للرئيس لشئون المؤسسات لأول مرة منذ ١٩٦١/٨/١٦ .

عملية كلامه دى مشكلة حقيقية ، فلغاية العربية ما وصلت من بداية السور حتى باب الكلية الحربية وفاتت شوية و بعدت عن السور، وأنا قاعد أفكر أكلمه إزاى؟ إزاى أفتح الكلام معاه.. ؟ و بعدين قلت لنفسى : «لأ.. ضرورى أكلمه» ..

كان السبب هو جلسته تلك فى العربة واستناده بيد على المسند و باليد الأخرى يسند بها رأسه ، هذا الوضع كان غير طبيعى ، بصيت له تانى كده وقعدت أتنحنح شوية ، ما ردش ولا بص ناحيتى و بعدين إضطريت أقول له : موش سيادتك دلوقتى أحسن يافندم والحمد لله ، فقام قايم وقال: «آه كويس ، بس أول ما نوصل هات لى الصاوى» .

قلت له : حاضر..

ووصلنا البيت فى أمانة الله .

س : ونزل من العربية لوحده والاّ كان محتاج لمساعدة؟

جـ : نزل من العربية كويس و٢٤ قيراط ، ونزلت معاه ، وانت عارف إن فى الفترة الأخيرة كانوا عملوا له أسانسير فى البيت ، هو البيت دور واحد صحيح ، لكن بعد ما حدث له السنة الأخيرة عملوا له الأسانسير علشان يطلع فيه .. ، المهم نزلت معاه من العربية وعادة وتأدباً ومن الواجب أن يظل الواحد واقفاً إلى أن يدخل الأسانسير، علشان يمكن يفتكر حاجة وهو فى الأسانسير فينده لك و يقول لك عليها ، المهم فضلت واقف طبيعى جداً ، الرئيس ركب الأسانسير قدامى ، والأسانسير إتحرك لوحده ٢٤ قيراط ، وطلع ، وأنا رحت على مكتبى وعلى طول بدأت التعليمات بطلب الدكتور الصاوى (٢٢) ، آلو: أطلب لى يابنى الدكتور الصاوى ، آلو الدكتور تعالى سياذة الرئيس عايزك ، قال : خير، قلت له : ولا حاجة الظاهر تعبان شوية أو مُجهد وقال لى أنده لك ، ردّ علىّ وقال لى : حاضر، مفيش ربع ساعة والاّ ما أعرفش أدّ إيه ربع ساعة أو ثلث ساعة ، مسافة

---

(٢٢) إذن ، استدعاء الدكتور الصاوى لم يتم من داخل سيارة الرئيس إنما تم بعد وصول الرئيس إلى بيته و بواسطة فؤاد عبد الحى ، هذا أولاً ، وثانياً ، أين عربة الإسعاف الملحقة بركب الرئيس وما دورها ... ؟

السكة (٢٣) ، يعنى جه الراجل (الدكتور الصاوى) ، وما يفوتش علينا طبيبه الخاص ، البوابة بتفتح و يدخل بيت الرئيس ، وشو يتين ولقيته برضه بيطلبنى من فوق و بيقول لى : **والنبى يا فؤاد تطلب لى د . زكى الرملى ، لأ مش زكى الرملى آسف هو قال لى : اطلب لى د . منصور فايز .**

س : هذا الطلب باستدعاء د . منصور فايز .. متى .. ؟

جـ : بعد حوالى ربع ساعة أو ١٠ دقائق من وصوله .. ، وحكاية د . منصور فايز طبيعية برضه .. ليه ؟ لأن الصاوى نرجع نقول إنه منوفى (٢٤) ، وعايز بدل الرأى الواحد إتنين ، وكان الدكتور منصور فايز أيامها مدرسة قديمة ، لكن سيادة الريّس كان يحبه و يثق فيه ، فالصاوى برضه عاوز منصور فايز ، والله أعلم هو عايزه ليه ؟ **وطلبنا له منصور فايز : والنبى يادكتور منصور الدكتور الصاوى فوق وبيقول لك عايزك شوية ، قال : حاضر** (٢٥) ، وجاء منصور فايز ، و بعدين بعد شو يتين هو الظاهر الصاوى برضه طلب د . زكى الرملى من تحويلة التليفون اللى فوق ، عرفت ذلك لما أبلغنى الشرطى الذى بالبوابة ، أن الدكتور زكى الرملى دخل .

س : بعد أد إيه وصل الدكتور زكى الرملى ؟

جـ : بعد حوالى ساعة إلا ربع .. أحداث متتالية وراء بعضها ..

س : مفيش حد من أولاد الريّس ، خالد ، عبد الحكيم مثلاً ، كانوا موجودين فى الصالون أو فوق .. ؟

---

(٢٣) الدكتور الصاوى مقيم بشارع طلعت حرب بالقاهرة ، وعيادته بشارع الجمهورية بالقاهرة (عابدين) .

(٢٤) «منوفى» : أى من محافظة المنوفية (محافظة السادات) و بالتالى فهو متردد ، و يريد إشراك غيره فى الأمر خوفاً من المسئولية .

(٢٥) **أولاً** : من الواضح أن الدكتور الصاوى حبيب هو الذى يقرر من الذى يحضر من الأطباء ومن لا يحضر . **وثانياً** : أن الوقت كان يمر بين حضور د . الصاوى حبيب إلى بيت الرئيس و بين طلبه د . منصور فايز .. كان الوقت يمر والحياة تتسرب من جسد الرئيس .. !

جـ : موجودين كلهم فوق .. (٢٦)

س : فى حجرته .. ؟

جـ : لأ ، لأ ، أصل سيادتك عاوز برضه أحط سيادتك فى الصورة ، الراجل ده (يقصد الرئيس ناصر) ما كانش حد يخش له الحجرة بتاعته بسهولة ، برضه لا ابنه ولا مراته ، يعنى هم عارفين إنه راجل بتاع شغل الـ ٢٤ ساعة ، موش سهل صحيح مراته (تحية هانم) ما تدخلش له لما تشوف الدكاترة أو الهيصة دى برضه ، بس هو كان معوّد البيت على نظام يخش له دكاترة يخش له تعابين يعنى مش زى ما إنت متصور ، أى بيت فى دكاترة يبقى أدخل أشوف جوزى ، لأ ، عملية كانت خشنة ، لم يكن من السهل أن تدخل عليه تحية هانم فى الفترة الأولى أى الساعة الأولى من وصول الصاوى ، إنما يعنى هى تخش له إمتى .. ؟ تدخل له فى المرحلة الثانية .. التى بدأت بحضور د . زكى الرملى .

س : ماذا فكّرت أنت .. ؟

جـ : د . منصور فايز و بعدين د . زكى الرملى ، واحنا كنا متعودين أن الصاوى والاّ منصور يقعدوا لهم ساعة و يروحوا ، يعنى نصف ساعة ، لقينا العملية طوّلت ، وأنا بصراحة واحد من الناس ما كنتش خرجت ولا مشيت وكنت على موعد مع ناس من أصحابى الساعة الخامسة ، فالساعة بتمشى و بتطوّل ، وطبعاً ليس من السهل أن تتكلم وتسأل : هو فيه إيه ؟ وهذا من الخشونة اللى سبق وقلت لك عليها ، المهم كنت قاعد ومستعد والدكاترة فوق بتشتغل ، يعنى فيه حاجة ، يعنى فيه شغل ، و بعدين بعد شو ية الساعة قربت من أر بعة وشو ية (٢٧) ، فوجئت بالسفرجى الخاص بجمال عبد الناصر واسمه فؤاد دخل المكتب علىّ .

---

(٢٦) يبدو أن السيد فؤاد عبد الحى سكرتير الرئيس كان آخر من يعلم لأن عبد الحميد ابن الرئيس ، والذى كان طالباً بالبحر ية كان بالإسكندر ية ، وقد استدعى بعد ذلك فى نفس الليلة وحملته طائرة خاصة وهبطت به فى مطار ألماظة ، وكان الذى استقبله فى المطار الضابط حسين كاظم الذى يعمل الآن رئيساً لجهاز التنظيم والإدارة بدرجة وز ير !!

(٢٧) الأستاذ فؤاد عبد الحى ليس دقيقاً فى حساب الوقت ، لأن أمير الكو يت ارتفعت طائرته الساعة الثالثة و ١٥ دقيقة ، أو ما بين الثالثة و ١٥ دقيقة و ٣٠ دقيقة تقر يباً ، وتحرك ركب الرئيس الساعة ٣,٣٠ ، ووصل إلى البيت ـــ فرضاً ـــ الساعة ٣,٤٠ ، وجاء الصاوى بعد ربع ساعة ، أى أن الساعة وصلت ٤,٥٥ أو الخامسة و ١٥ دقيقة ثم جاء د . زكى الرملى فوصلت الساعة إلى ٥,٣٠ تقر يباً .

س : أين كان مكتبك بالضبط .. تحت فى البيت ؟

جـ : لأ ، مكتبى ليس فى نفس بيت الرئيس ، بيت الرئيس ليس فيه شخص غريب عن أسرة الرئيس ، ومكان السكرتارية يقع فى البر الثانى من الشارع اللى فيه بيت الريس ، أى أنهما ــ إذا صح القول ــ بيتان متقابلان ، بيت الريس وبيت السكرتارية ويفصل بينهما شارع أو ممر كبير .. والاثنان حولهما حراسة ، بالإضافة إلى أن بوابة بيت الريس لا تفتح إلاّ بمعرفتنا ولابد من معرفة الداخل والخارج ..

س : وإذن فأنتم تشاهدون كل شيء من نوافذ السكرتارية .. الداخلية والخارجية ؟

جـ : شباك مكتبى يقع على الشارع أو الممر الواسع وأرى بوضوح الشارع والبيت والبوابة فرأيت السفرجى فؤاد داخل المكتب علىّ .. وكان فى حالة غير عادية ، سألته : فيه إيه يا فؤاد ؟ قال : عاوزين أنبوبة أكسجين يا بيه ..

كان فؤاد السفرجى « متلخبط » ، سألته : فيه إيه ؟ قال : الريس تعبان والدكاترة بيشتغلوا مش عارف إيه ، هم عايزين أنبوبة أوكسجين ، قلت : طيب يا فؤاد خد الأول أنبوبة الأوكسجين ..

ولم تكن أنبوبة الأوكسجين عندى ، كانت فى الصيدلية فى الدور الثانى فى نفس مبنى السكرتارية ، فالمهم كانت الصيدلية مغلقة فأمرت بكسرها لإخراج الأنبوبة فشالها فؤاد مع عساكر من الحراسة .. ، لكنى على الرغم من الكلمات القليلة التى فاه بها السفرجى فؤاد فقد أدركت أن الأمر خطير ..

س : هل كنت المسئول وحدك أو الوحيد ــ فى ذلك الوقت ــ عن السكرتارية .. ؟

جـ : السكرتارية فيها طقم حراسة ودكتور وسفرجى ومحمد أحمد هو الــ Head الرأس الكبيرة بتاع العملية ، ومحمد أحمد لم يحضر وزى ما قلت لك من قبل أن محمد أحمد كان سايب الموضوع ، ووجدت الوضع غريب ، وبدأت أفكر ، ووجدت ــ فعلاً ــ أن الحكاية أعمق وأهم فمسكت التليفون وطلبت سامى شرف .. (٢٨)

---

(٢٨) سامى شرف كان سكرتيراً لرئيس الجمهورية سنة ١٩٥٥ ، ثم مستشاراً للرئيس بدرجة نائب وزير سنة ١٩٦٥ إلى ١٩٧٠ ، وفى شهر أبريل سنة ١٩٧٠ عُين وزيراً لشئون رياسة الجمهورية ، وظل بهذا المنصب إلى أن استقال فى ١٩٧١/٥/١٤ وقبض عليه وسجن فيما يعرف بمؤامرة مراكز القوى على السادات فى الجناية رقم ١ لسنة ١٩٧١ أمن دولة ، وقد أفرج عنه بناء على التماس قدمه للسادات قبل اكتمال مدة العقوبة .

س : كلمت سامي شرف لأول مرة .. ؟ أى أنك لم تتصل به من قبل فى هذا اليوم .. لا فى الصباح ولا عند عودتك من المطار . ؟

جـ : الأول أنا كلمت محمد أحمد ، وافتكر أنا كلمت ٣ أو ٤ لكن مين الأول ومين الثانى لا أذكر ، لكنى أتذكر الآن أننى كلمت محمد أحمد الأول وبعدين كلمت سامى شرف وبعدين شعراوى جمعة .

س : هل أنت متأكد من هذا .. ؟ لأن سامى شرف ذكر لى أنك كلمته وقام هو بدوره بالاتصال بشعراوى جمعة .. ؟

جـ : احتمال ، لأن سامى شرف وشعراوى وصلوا مع بعضهما وكانا هما أول ناس يحضروا .

س : هل تحدثت مع أحد آخر من المسئولين . ؟

جـ : كلمت أنور السادات .. (٢٩)

س : هل تذكر بالتحديد كم كانت الساعة عندئذ ؟

جـ : كانت الساعة قد دخلت على الرابعة والنصف أو الخامسة حاجة كده ، وبعدين أنا بدأت أحس بأن الريّس فيه حاجة لأن الدكاترة حواليه وما حدش منهم خرج يقول حاجة وبدأت أشم إن هو تعبان أكتر لما الولد السفرجى دخل علىّ وهو متلخبط ، والسفرجى ده مهم وأعتقد أنه موجود واشتغل مع السادات ، والسفرجى ده معروف زى الشمس وهو مهم جداً (!!) واسمه فؤاد زكى (٣٠) ، لكن معرفش حالياً هو فين ، تستطيع أن تبحث عليه وتجده ، إسأل عنه فى الرياسة ، على كل بدأت أتصل بالباقين فى التليفون زى ما قلت : سامى شرف وشعراوى والسادات ، وده كان طبيعى لأن الشغل بيحتم علىّ أن الواحد يتصل بدول ولما وصلوا .

---

(٢٩) يذكر السادات أنه ذهب إلى بيته على إثر توديع أمير الكويت « وذهبت إلى منزلى قليلاً فاتصل بى سكرتيره الخاص ليقول لى إن عبد الناصر سيحضر عندى لتناول العشاء معى .. وذهبت لأنام قليلاً ولكنهم أيقظونى فى الساعة السابعة مساء وقالوا لى إن بيت الرئيس جمال عبد الناصر اتصلوا وقالوا إنك مطلوب فى البيت لأمر هام ! » (البحث عن الذات ــ قصة حياتى ــ الطبعة الأولى ــ أبريل ١٩٧٨ ــ ص ٢٦٣) ويبدو ــ أيضاً ــ الخلط واضحاً فى التوقيت .. ذلك أنه من غير المعقول أن يذكر السيد فؤاد عبد الحى أنه اتصل فى نفس الوقت (حوالى ٤,٥٥ أو ٤,٥٠) بسامى شرف ثم يتصل بالسادات فى السابعة !! كذلك من غير المعقول أن يتصل سكرتير الرئيس بالسادات لتأكيد موعد العشاء مع الرئيس لأن السكرتير الخاص الذى هو فؤاد عبد الحى كان مشغولاً إثر عودته من المطار مع الرئيس بالاتصال بالأطباء .. هذا إلاّ إذا كان يقصد محمد أحمد السكرتير الخاص أو الـ Head وإلاّ لذكر اسمه .. بالإضافة إلى أن محمد أحمد كان فى اجازة وكان يرافق زوجته بالمستشفى لحالة ولادة .. !!

(٣٠) لماذا يركز فؤاد عبد الحى على هذا السفرجى ؟!

قاطعته سائلاً :

س : ومتى وصلوا .. هل تتذكر .. ؟

جـ : أفتكر الساعة الخامسة ، وأنا فى مكتبى لأن مكتبى ده كنترول ح أسيبه وأطلع فوق أعمل إيه .. ؟ أتفرج .. ؟ ما الدكاترة فوق ، لكن أنا ابتديت أطلع لمّا لقيت أصوات وتحركات .. أنا قلت لك أنا أبصّ كده أعرف على طول وأنا فى مكتبى شفت سامى شرف داخل وشعراوى جمعة ومحمد أحمد يمكن حضر لكن متأخر شوية ..

س : هل تذكر متى جاء محمد أحمد .. ؟

جـ : والله مش فاكر ، لكن فاكر إنه جاء متأخر شوية .

س : هل كان سامى وشعراوى هم أول الحاضرين فعلاً ؟

جـ : أيوه كانوا أول ناس ، وكان يهمنى إن هم دول يكونوا أول ناس ، وبعدهم بدأت العربيات تيجى وأنا فى المكتب وسامى وشعراوى همّ اللى كلّموا الفريق فوزى وحسين الشافعى وكلموا هيكل ، المهم إننى برضه فِضلت فى المكتب لأن وجودى فيه مهم ، وبالطبع شعرت بأن الموضوع غير طبيعى ، كان فيه « دربكة » ، لكن أنا طلعت فوق بعد فترة لقيت الأسرة وأنا طالع ، سمعت حسّهم وأصواتهم ، وأنا لم أكن أسمع صوتهم أبداً فى الصالة برة .. شفت مُنى وكانت بتعيّط .. (تبكى) .

س : مُنى فقط .. ؟

جـ : منى وكانت مع والدتها فى الصالة ، وأيضاً هدى ، وفى المكتب الملحق بغرفة نوم الريّس ، كانوا رايحين جايين و بيعيطوا ، أنا لم أكلمهم ودخلت غرفة نوم الرئيس ..

س : ماذا رأيت عندما دخلت غرفة نوم عبد الناصر .. وهل كان بها أحد من أولاده ، خالد ، أو عبد الحكيم أو عبد الحميد ؟

جـ : لا أتذكر أنه كان فى الغرفة أحد من أبناء الريّس ، عندما دخلت الغرفة رأيت منظراً لا يمكن أن أنساه أبداً ، رأيت الرئيس عبد الناصر مسجّى على السرير بالفانلة و بنطلون البيجاما والدكتور طه عبد العزيز راكب عليه كده و بيعمل له التدليك بتاع القلب ، الموقف كان صعب علىّ ، وكان فى الغرفة الفريق محمد

فوزى والشافعى وسامى شرف وشعراوى وهيكل ، وشفت جسم الريّس وهو بيتنفض من صدمة الكهربا ، كانوا كلهم بيعيّطوا (بيكون) والفريق فوزى قاعد يزعق ولا أعرف بيزعق ليه ، ولقيت الدكتور رفاعى كامل (٣١) أيضاً وفى اليوم ده ما كانش فيه نظام ، وعلى فكرة الريّس لم يشرب عصير فى المطار خالص ولا تناول شيئاً علشان زى ما انت عارف بعد التوديع حملتنا العربة وجئنا إلى البيت (٣٢) .

س : الواقع إننى أريد توضيحاً منك حول روايتين ، واحدة منها تقول بأن الرئيس « شاور» لكى تأتى السيارة إلى حيث كان واقفاً وصاحبها هو الفريق فوزى و يؤيدها صلاح الشاهد أنه أشار إليه ليأتى بالسيارة ، والرواية الثانية أنت صاحبها ، وهى أن الرئيس لم « يشاور» بيده إنما الذى طالب بالسيارة لكى تأتى هو أنور السادات حيث ذكرت أن السادات قال : هاتوا العربية هِنا .. (٣٣) .

جـ : قُل للفريق فوزى على لسانى يا سيادة الفريق أنت أستاذنا ومعلمنا الصدق والأمانة وأن الكلام الذى ذكرته لم يقع ..

س : وهناك رواية أخرى قال بها الدكتور رفاعى كامل ، الذى كان يتابع برنامج توديع الرؤساء فى التليفزيون ببيته ، فقد ذكر أنه رأى الريّس فى التليفزيون بعدما ودّع أمير الكويت أن رجليه لفّت على بعضهما ومش مضبوطة ؟

جـ : يبقى يروح الفريق طبيب رفاعى يقيس رجلين الريّس و يشوفها مضبوطة

---

(٣١) ظهر د . رفاعى كامل هنا ..

(٣٢) كنت قد أثرت مع الأستاذ فؤاد عبد الحى موضوع العصير الذى تناوله الرئيس جمال عبد الناصر فى المطار وفى البيت ، ولمّا كان لا يعرف إذا ما كان قد تناول شيئاً فى البيت من عدمه إلاّ أنه بالتأكيد لابد أن يكون قد عرف إذا كان الرئيس قد تناول شيئاً فى المطار من عدمه .

(٣٣) إذا كان السادات قد أدرك بأن التعب الذى يعانيه الرئيس يتطلب منه على غير العادة أن تجئ السيارة إليه وهذا يعنى أن الرئيس غير قادر على الذهاب إلى مكان السيارة .. فلم تركه السادات ؟ ولم لَم يتخذ اجراءات نقله إلى مستشفى المعادى بواسطة سيارة الإسعاف أو سيارة المستشفى المرافقة لموكب الرئيس ، والتى كانت مجهزة كغرفة عمليات لمثل هذه الحالات أيضاً .. ؟ أو على أقل تقدير لماذا لم يصحبه فى سيارته إلى البيت .. ؟ أو لماذا لم يستدع الأطباء بواسطته ليلحقوا به فى البيت بدلاً من انتظار وصوله ثم استدعاء الأطباء الذين استغرق وصولهم ساعة كاملة ؟!

والاّ لأ (٣٤) ، عمر الراجل ما اتهزت رجليه ، وإذا كان الدكتور رفاعى كامل لاحظ هذا فى التليفزيون يبقى يعنى مش بشر ، يعنى لو دكتور لاحظ رجلين الريّس فى التليفزيون وشاف انها مش مضبوطة بينما الأفندية اللى حواليه لم يلاحظوا ذلك يبقوا أكيد هؤلاء الأفندية المحيطين بالرئيس حيوانات .

س : د . رفاعى بيتكلم من ناحية أن الريّس له مشية معينة وشافها اتغيرت ؟

جـ : يلاحظها ازاى فى التليفزيون عاوز أعرف . ؟ يعنى دكتور يكشف بالتليفزيون .. ؟!

س : د . رفاعى يرى أن لكل شخص مشية معينة يُعرف بها من بعيد أو قريب ؟

جـ : مشية الريّس كانت سليمة ٢٤ قيراط ، دا أنا موصله لغاية الأسانسير بعدما عدنا من المطار ، معنى كده أننى مقدرش أعرف إذا كان فيه حاجة والاّ لأ .. ؟

س : معنى هذا أن الروايتين ، رواية الفريق فوزى والسيد صلاح الشاهد .. ورواية الدكتور رفاعى ، هاتان الروايتان مشكوك فيهما ؟

جـ : المنطق بيقول كده ..

س : لمـــــاذا .. ؟

جـ : أولاً حكاية أن الريّس شاور لصلاح الشاهد : « هاتوا لى العربية » ده مش صلاح الشاهد ، والريّس لم « يشاور » ، أنور السادات هو الذى قال : « هاتوا العربية هنا » وقال لى أنا وليس لأحد آخر .. وعلى هذا أحضرنا العربة ، ودى مش شغلانة صعبة ولا عويصة ..

س : وعندما ركب السيارة كنت بجانبه ؟

جـ : بالضبط ..

س : ألم يضع الرئيس ناصر يده على قلبه أو منتصف صدره ؟

جـ : ولا قلبه ولا حاجة ، فقط كُوع الرئيس كان تحت دماغه .

(٣٤) ها هو ذا يعود مرة أخرى إلى مهاجمة الرجل والتقليل من شهادته .. ولم يسأل نفسه : إذا كان د . رفاعى يقول هذا .. فهل يبغى منفعة من وراء هذا .. ؟

س : إيه مظاهر التعب التى لاحظتها على الرئيس عبد الناصر ؟

جـ : وجهه كان تعبان وشكله كان تعبان . .

س : هل كان وجهه أصفر . . ؟

جـ : حضرتك عارف إنه كان أسمر ، فالصفار لا يظهر عليه ، هو كان فيه زرقة فى وجهه ، وشكله كان تعبان فعلاً وبعدين زى ما قلت لسيادتك حبيت أتنحنح له لغاية ما قلت له : يا سيادة الريّس إنت تعبان ؟ قال لى : شوية بس يا فؤاد ، أول ما نوصل إبقى ابعت هات الدكتور الصاوى ، يعنى إذن كان تعبان فعلاً والاّ كان طالب الصاوى ليه . . ؟ وكان الرئيس واعى تماماً ، وأنا أقول لحضرتك أمام التاريخ ، ولا صلاح الشاهد ولا رفاعى كامل . . أنا أقول لك الواقع ، جايز فوق حصل حاجات ، وأنا أعفيت نفسى منها لأنى ما أعرفش ، ولأنه أصلاً كان تعبان قبل ما نروح المطار ، لما التقطت القطنة من على كتفه « تلكيكة » [٣٥] فى العربية علشان أكلمه وأشوف إيه وضعه ، وبأقول لسيادتك إنه كان تعبان وقال لى وقتها : « آه والله الواحد تعبان » وسكت ، لكن تعبان بيشتغل جمعة أو أزيد ، شغل متواصل . .

س : أرجو أن تسمح لى بإعادة واقعة دخولك حجرة نوم الرئيس بعد « الدربكة » حضرتك وصلت ودخلت فى لحظة محاولة الأطباء عمل الصدمة الكهربائية أليس كذلك . . ماذا رأيت بالضبط عندئذ ؟!

جـ : أنا شفت الدكتور طه عبد العزيز على السرير بيعمل له التنفس الصناعى والسلوك موجودة بتاعة الجهاز . .

س : بالجهاز والاّ باليد ؟

جـ : صراحة ما خدتش بالى . .

س : هل ممكن أن نعيد تسمية أسماء الأشخاص الذين كانوا فى حجرة الرئيس عبد الناصر وقت وفاته . . ؟

---

(٣٥) تلكيكة : يعنى سبب مفتعل ، شخص يتلكك لشخص آخر : أى يفتعل له أسباباً ويصطنعها لسبب فى نفسه ، وهى بالطبع كلمة عامية مصرية .

جـ : كان فيه سامى شرف وشعراوى جمعة ومحمد فوزى وأنور السادات وحسين الشافعى وهيكل ورفاعى كامل والدكاترة طه عبد العزيز وزكى الرملى ومنصور فايز والصاوى حبيب .. لكن من بالتحديد كان فى ملحق الحجرة، أى المكتب الصغير، ومن فى نفس الحجرة فأرجو أن تعفينى لأنى لا أذكر، ولكن هذه هى المجموعة كاملة عندما رأيتها عند دخولى (٣٦) .

س : هل رأيت فى حجرة الرئيس عبد الناصر أنبوبة الأكسجين التى طلبها منك فؤاد السفرجى .. هل كانت داخل حجرة نوم الرئيس .. أو لم تلاحظ ذلك .. ؟

جـ : الحقيقة إننى لم ألاحظ، لكن الأنبوبة طُلبت منى والذى طلبها هو فؤاد السفرجى ..

س : هل كان بالرياسة شخص يقوم بتدليك جمال عبد الناصر ؟

جـ : أيوه وإسمه « زينهم » .

س : زينهم . أين هو الآن ؟

جـ : الآن ؟ لازم حد من بتوع المخابرات العامة أو الرياسة يدلك عليه .

س : ألم تره قريباً .. ؟

جـ : شفته، أيوه أنا لسه شايفه يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٨٦ اللى فات ده فى العزاء اللى فى بيت الريس (٣٧) ، وكان زينهم ده بيدلّك أنور السادات أيضاً ..

س : هل له عيادة .. ؟

جـ : لأ ..

س : هل هو طبيب .. أى يحمل إجازة جامعية فى التدليك .. ؟

---

(٣٦) ذكر الجميع أن أنور السادات حضر عندما انتهى الأمر وغطى جسد الرئيس بغطاء، وأذكر أنا أنه جاء ورفع الغطاء عن وجهه ثم التفت إلى من فى الحجرة وقال : « همّ الدكاترة قاموا باللازم ؟ » وكان هذا سؤالاً لا معنى له (من حديث مع السيد شعراوى جمعة مساء السبت ١٩٨٨/٣/١٢ ــ مسجل) والاختلاف بين رواية شعراوى جمعة والآخرين هو: ١ ـ أن السادات سأل هذا السؤال من عدمه . ٢ ـ أن السادات رفع الغطاء وقبل وجه عبد الناصر وهذا حدث أم لم يحدث، لأن السادات نفسه يعترف بأنه وضع خده على خده فقط . ٣ ـ أن السادات كان آخر من حضروا بدليل أنه رفع الغطاء .. بعد أن كان كل شىء قد انتهى .

(٣٧) يحتفل فى بيت الرئيس عبد الناصر يوم ٢٨ سبتمبر من كل عام بذكرى وفاة الرئيس .

جـ : لأ .. هو معاه شهادة من معهد العلاج الطبيعي أو بتاع الرياضة ده واللى كانوا جابوه للرئيس هم بتوع المخابرات العامة (٣٨) ، وأعتقد أصلاً أنه كان بيشتغل هناك وبعدين عندما حضر لم يكن منضماً لقوة السكرتارية .. لكن فى أيام السادات أصبح على قوة رياسة الجمهورية .. وكان أيام عبد الناصر يطلبوه ويحضر يعمل شغله و يعود إلى المكان الذى جاء منه ..

س : هل كان زينهم هذا يحضر كل يوم .. ؟

جـ : لا ، والرئيس ما كانش بيحب الحكاية دى أصلاً ولا أدرى من الذى أشار عليه بها . لكن الذى أعرفه أنه لم يكن يحب التدليك ..

س : هل سمعت عمن يدعى على العاطفى ؟

جـ : لأ ..

س : يقال إنه كان يدلّك الرئيس ؟

جـ : لأ ، ما تصدقش الكلام ده ..

س : عندما يريد الرئيس الاتصال بأحد هل يجرى الاتصال عن طريقك أو عنده وصلة يتصل بها .. ؟

جـ : همّ عملوا له مؤخراً سنترال خاص عليه حوالى ١٥ أو ٢٠ خط بينه وبين صلاح نصر والسادات .. يعنى كانوا ١٥ خط ممكن إنه يطلب أىّ حد عليه ، لكن طلباته الطبيعية كانت عن طريقنا ..

س : يقول سامي شرف : إن الرئيس لما عاد من المطار طلبه ؟

جـ : ممكن جداً ..

س : هل فيه وصلة من غرفته لمكتب سامي شرف ؟

جـ : لأ ، فيه وصلة سنترال صغير (B.B.X) .

س : يعنى يمكن يطلب اللى عايز يكلمه .. يدوّر القرص و يطلب ؟

---

(٣٨) من الواضح أن المخابرات العامة كانت تمسك بكثير من الخيوط فى بيت جمال عبد الناصر .. وأن طقم عبد الناصر الذى يعمل معه كان مجرد ديكور !!

جـ : بأقولك الراجل (يقصد الريّس) كان سليم ١٠٠٪ ، يعنى كان ممكن الواحد العادى يتعب ، يغمى عليه ، يقول لك : إسندنى ، مثلاً ، كل ده ممكن يحصل كإنسان ، ده طالع كويس بنسبة ١٠٠٪ لغاية ما دخل الأسانسير وضغط على الزرار وطلع الأسانسير وبعدين الصاوى جاء له بعد ربع أو ثلث ساعة ، لو كان فيه حاجة كان الصاوى « حلوس » الدنيا يعنى مش بس اطلب لى منصور فايز ، ده ح يقول لك إنتوسايبين الراجل لـمّا تعب والاّ امراته حتى والاّ .. لكن ما حصلش من دى حاجة .. مفيش حاجة مثيرة ..

س : ما تفسيرك إذن للوقت الضائع منذ دخول الرئيس عبد الناصر إلى حجرة نومه الساعة الثالثة و ٣٠ دقيقة تقريباً ووقوع الارتباك الذى أدى بك إلى الاتصال بسامى شرف الساعة الرابعة و ٥٠ دقيقة .. ؟

جـ : تفسيرى أنا .. ؟ راجل تعبان ودكاترة بتعالج فيه ملهاش تفسير تانى ، راجل تعبان طلب الدكتور ، ما أنا أتعب أطلب الدكتور ولو تعبان قوى مثلاً يجيبوا لى كونصلتو..

س : هل حاله الريس كانت تستدعى كونصلتو.. ؟

جـ : ما هو الكونصلتو همّ الدكتور منصور فايز باطنى وزكى الرملى بتاع سكر ، والراجل لا يخرج مرضه عن حاجتين ودول اللى كانوا بيعالجوه من ١٠ أو ١٥ سنة ..

س : لم يكن فيهم واحد مختص بالقلب ؟

جـ: لأ ما أتذكرش موضوع القلب ده من يوم العملية اللى أصيب بها فى الستينيات .. ما كانش موضوع القلب فى دماغنا .

س : لكن فى إعلان الوفاة قالوا إن سبب الوفاة جلطة فى الشريان التاجى .. ؟

جـ : لأ ما أعرفش ، لكن قصدى أن الدكاترة اللى كانوا بيترددوا عليه كانوا بتوع سكر وباطنية و يتركزوا فى منصور فايز والصاوى ، ويمكن رفاعى جاء مرة والكلام ده لـمّا كان تعبان قوى سنة ١٩٦٩ ، جابوا الدكتور رفاعى كامل أيامها ، لكن أعتقد أن موضوع القلب ده كان بينكشف عليه يومى بواسطة الصاوى .. أعتقد كده .. !

س : أين توجد الأوراق الخاصة بالتحاليل الطبية ورسوم القلب وتقارير الأشعة ؟

جـ : دى شغلة الدكتور .. هذه الأشياء لا توضع عندنا ولا عند سامى شرف .. أنا فى تقديرى كده لأنى لم أرها أبداً عند سامى شرف .. !

س : الوزير سامى شرف أجابنى على هذا السؤال وقال لى : إن الذى يعرف هذه المسائل السكرتارية الخاصة ، أى المسألة محصورة فى محمد أحمد أو مساعده وهو أنت .. أى فؤاد عبد الحى . ؟

جـ : لا .. الحاجات دى تبقى مع الدكتور .. هل سألت محمد أحمد ؟

س : لأ لأنك تعرف أكثر منه ، كذلك فإن محمد أحمد لم يكن موجوداً يوم ٢٨ سبتمبر إلاّ فى اللحظات الأخيرة التى أعقبت الوفاة . أى لم يحضر إلى بيت الرئيس عبد الناصر إلاّ عندما أبلغته أنت بعد طلب أنبوبة الأكسجين بواسطة السفرجى فؤاد زكى حوالى الساعة الخامسة .. و بالتالى فمعلوماته عن هذا اليوم ليست بذات أهمية .. ولا يُعوَّل عليها .

جـ : أنا بأقول لك بالنسبة للتقارير الطبية ، لأن محمد أحمد غاوى طب فيمكن كان بصفته سكرتيره منذ مدة وعلاقته بالريّس علاقة قوية يحب يشيل التقارير دى .. يحب يقرأ و يشوف الراجل عمل إيه .. أقول لسيادتك محمد أحمد غاوى طب ، هذا علاوة على وظيفته .

س : من الذى كان يقوم بالتحاليل الخاصة بالرئيس عبد الناصر ؟

جـ : كان دكتور اسمه ناصح أمين جوز الست الله يرحمها ..

س : هل كان هناك أحد آخر يقوم بتحاليل ؟

جـ : على قدر معلوماتى لم يكن هناك سواه على أساس أنه صديق شخصى لمحمد أحمد وأستاذ للدكتور الصاوى .. أعتقد أن التحاليل كانت مركزة فى الدكتور ناصح أمين .

س : أريد أن أسألك عن واقعة حدثت يوم الوفاة ، وهى أن أحد الأطباء الذين كانوا حول الرئيس عبد الناصر لحظة الوفاة رأى ورقتين ، الأولى عبارة عن رسم قلب والثانية عبارة عن نتائج تحليل دم للرئيس ، الورقة الأولى ثابت فيها

أن القلب كويس وعادى والورقة الثانية تثبت أن نسبة التجلط ٢٢٪ وهذه النسبة لا تسبب جلطة فى الشريان التاجى ..
هاتان الورقتان كانتا على مكتب الرئيس الملحق بغرفة النوم ، وهذا ما أثار الشك فى أسباب موت الرئيس .. فهل كان من المعتاد أن يكون على مكتب الرئيس مثل هذه الأوراق .. إننى أعرف أن هذا ليس من اختصاصك .. ولكن هل لاحظت ورأيت هذه الأوراق عندما دخلت حجرة نوم الرئيس عبد الناصر مساء ذلك اليوم ؟!

جـ : لا ، لأنه كانت فى الحجرة وفى البيت كله حالة « دهولة » كاملة واللى يقول غير كده يبقى مش مضبوط ..

س : لقد ترتب على هذا التحليل أن نبعت فكرة جديدة وهو أن ما أصيب به عبد الناصر لم يكن جلطة ، صحيح أن الأعمار بيد الله ، لكن ما أصيب به هو غيبوبة السكر ووقع خطأ فى التشخيص وهذا ما أدى بالأطباء المحيطين إلى إعطائه بعض الحقن التى عجّلت بوفاته ، وضمن هذه الحقن حقنة « بانتوبون » Pantopon وهى من مشتقات المورفين ومن الممكن أن تسبب الوفاة فوراً إذا كان فى حالة « كومة » سكر .. لأن مثل هذه الحقنة تصيبه بالهبوط الفورى .. فهل تعتقد من خلال الأعراض التى رأيتها على الرئيس عبد الناصر خلال عودتكما من المطار .. هل تعتقد أنه كان مصاباً بكومة سكر .. ؟ هذا السؤال تستطيع ألاّ تجيب عليه .. ؟

جـ : لأ ، غيبوبة سكر لأ ، لأن لوغيبوبة سكر كانت الشواهد اللى قلت لك عليها إتغيّرت ، يعنى غيبوبة السكر فى العربية نيجى ننزله يغمى عليه ، إنه مثلاً ييجى ينزل من العربية و يروح ناحية الأسانسير وهى مسافة حوالى ٢٠ متراً كان وقع منا ، كان فوق وعلى ما وصل الصاوى كان يبقى فى غيبوبة .. وكان السفرجى صرخ وصوّت وقال الريّس وقع منى فى السكّة ومراته صوتت .. كل ده كان طبيعى لأن غيبوبة السكر شواهدها غير اللى حصل خالص ، وبعدين فى غيبوبة السكر موش ح يرد على الدكاترة وح يبقى فى غيبوبة .. وكل ده لم نلمسه ، وبعدين هو كان معاه جلوكوز فى جيبه دائماً ..

س : هذا رأيك على كل حال ، وهناك ما أود أن أعرف رأيك فيه أيضاً ، وهوما جاء فى تصريح للسيد عبد المجيد فريد السكرتير العام السابق لرئاسة الجمهورية (أيام عبد الناصر) فى جريدة الدستور بمناسبة مرور ١٥ عاماً على وفاته (عام ١٩٨٥) من أن سبب الوفاة هو الإهمال وأسس تصريحه على شقين ، **أولهما :** أن موكب الرئيس عبد الناصر لم تلحق به سيارة إسعاف متكاملة لإنقاذه ، **وثانيهما :** هو أن الأطباء الذين كانوا حوله لم يكونوا على الكفاءة المطلوبة .. ما رأيك وأنت سكرتير خاص لعبد الناصر منذ عام ١٩٦٦ إلى حين وفاته سنة ١٩٧٠ ؟

جـ : عبد المجيد فريد ما جابش ليه العربية المجهزة دى .. شغلته كانت إيه .. ؟

جـ : كان سكرتير عام رئاسة الجمهورية ..

جـ : ماذا تعنى وظيفة سكرتير عام رئاسة الجمهورية ؟

س : لا أعـــــرف ..

جـ : معناها كل النواحى الثقيلة فى الرئاسة ، معناها أن عنده صلاحية رئيس الجمهورية فى جميع الشئون الإدارية والمالية ودى سلطة خولها له رئيس الجمهورية بصفته سكرتير عام ، وبعدين هو اللى كان بيجيب الدكاترة والأدوية وكلّـه (٣٩) .. وإذن لماذا لم يحضر مثل هذه العربة .. ؟ هذا رد ، وهناك رد آخر على هذا التصريح وهو أن من قال إنه لم تكن هناك عربة مجهزة ؟! كان يوجد عربة إسعاف مجهزة بالأوكسجين درجة أولى وكانت بتطلع ورانا فى الرّكاب ٢٤ قيراط ، بس كانت كبيرة ، مش معقول الريّس خارج نصف ساعة تخرج العربية وتمشى وراه ، وهوما كانش يحب يشوف عربية الإسعاف دى أصلاً .. تخيّل منظر الراجل وامرأته وأولاده نازل وعربية الإسعاف ماشية وراه (٤٠)

س : ما رأيك إذن فيما يقال إن المخابرات الأمريكية والإسرائيلية وكان يهمهما

(٣٩) المسئولية ضائعة فيما يختص بالمسئول عن استقدام الأطباء .. ضائعة بين محمد أحمد ، وسامى شرف ، وعبد المجيد فريد .. أو يبدو أن هناك قوة كانت تفرض هؤلاء الأطباء فرضاً على الرئاسة .. !

(٤٠) ومفاد هذا الرأى أن عربة الإسعاف لم تكن مرافقة لعبد الناصر من البيت إلى المطار ولا من المطار إلى البيت .. !!

التخلص من عبد الناصر ، وتعرف بالطبع أن هناك محاولات لتحقيق هذا الهدف على مر السنين منذ قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .. ، يقال فى هذا الشأن إن المخابرات الأجنبية (أى الأمريكية والإسرائيلية) زرعت عدداً من الأشخاص فى بيت عبد الناصر لقتله بالسم .. لقد قرأت بعض مذكرات للدكتور أحمد ثروت الطبيب الخاص لعبد الناصر حتى سنة ١٩٦٧ يشير فيها إلى وجود السم فى المخابرات وضياع كمية منه .. ثم قرأت ما يشبه التحذير لعبد الناصر من السم .. ما رأيك .. ؟

جـ : رأيى أن الرئيس جمال عبد الناصر مات ميتة طبيعية جداً ، لقد كان مصاباً بالسكر وعنده القلب وجاء قدره ، وكل هذه الضجة التى حدثت لأنه جمال عبد الناصر ولأنه رئيس جمهورية ، لكن هو الراجل مات بسكر وعنده القلب والدكاترة حاولوا معالجته فى المرحلة الأخيرة ما عرفوش لأسباب خارجة عن إرادتهم فتوفى ، موضوع السم ده كلام ممكن يتردد لكن فى تصورى لو كان فى حادثة زى دى ــ أى الموت بالسم عن طريق التدليك ــ فهى مجال لمن يعنيه الأمر ومن لا يعنيه الأمر ، لكن مين اللى ح يقدر يقول بعد الراجل ما مات والسم راح ومين النهاردة اللى ح يقدر يثبت أو ينفى إن ده حصل .. لكن أهو كلام حلو يقال فى مجال حواديت ، لكن أنا من موقعى اللى كنت فيه أنها بعيدة قوى أن اليهود يزرعوا أشخاص فى بيت الرئيس عبد الناصر وده رأيى الشخصى .. فعلاً الكلام ده إتقال بعد سنة ١٩٦٧ وسمعنا عن حكاية السم دى فى حوادث سنة ١٩٦٧ بالنسبة للمشير عامر و بالنسبة لصلاح نصر مدير المخابرات العامة .

س : هل عندما يدخل شخص ما الرياسة ، أقصد بيت الريّس يبقى معروف ، أعنى أن يقيد اسمه و يكون فيه معلومات عنه والاّ إيه .. ؟ لأن د . على العاطفى المقول بأنه دس سم للريس أثناء التدليك يمكن يكون دخل بيت الريّس باسم تانى ؟

جـ : لأ ، على العاطفى لم يدخل بيت الرئيس عبد الناصر فى منشية البكرى ، ولا أتذكر شخصاً بهذا الاسم دخل بيت الريّس ، والشخص الذى كان يدخل بيت الريّس طبعاً يكون معروف بالنسبة للمصريين بالذات ، و بالنسبة لشغل

البيت ، لأن على العاطفى ده جه يعمل إيه ؟ إذا كان بيدلّك فهذا شيء كنت لابد أن أعرفه أكيد إلا إذا جاء ياسر عرفات مثلاً ومعاه ثلاثة ما أعرفش وفيهم على العاطفى ، أو وفد بتاع أى دولة مش معقول ح نحقق فى أعضاء الوفد ، لكن مصرى يدخل مثلاً علشان يصلح الزجاج لازم أكون عارفه مش حكاية تدليك ، ضرورى أى حد بيدخل البيت لازم ياخد تصريح وبعدين الريّس كان ساكن فى بيت مش فى قصر ، وبعدين هو راجل معاه مراته وأولاده ، بأقول لسيادتك وأكرر إنه هو راجل له نظام ..

س : جايز النظام الدقيق الصارم هو اللى قتله أيضاً ؟

جـ : النظام ده قتله ، وأنا أوافقك تماماً ، لأن أخونا عبد المجيد فريد السكرتير العام لرئاسة الجمهورية قال إيه .. ؟ قال إن اللى موّت الرئيس عبد الناصر هو الإهمال ، أى إهمال ؟ ليس فى علاجه السبع ساعات الأخيرة .. لأ ، إهماله فى نفسه ، وعدم تمكن الآخرين من أنهم يسيطروا عليه كرئيس دولة .. دى حقيقة ، لكن على العاطفى يدخل يدلّك لأ . ، طبعاً لأن الريّس أصلاً لم يكن يحب التدليك ..

س : أرجو أن تسمح لى بأن أعيد سؤالك إذا ما استجد جديد . ؟

جـ : تحت أمرك ، وأكرر أننى أجد أنه واجب على الواحد إنه يوضّح ويذكر ويساعد الآخرين على الوصول إلى الحقيقة وطبعاً ده أعتبره واجب ، نعم ذكر الحقيقة بما يرضى الله واجب ..

وهكذا تنتهى شهادة فؤاد عبد الحى السكرتير الخاص لجمال عبد الناصر من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٠ ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

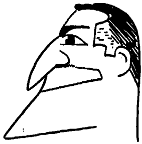

شهادة الفريق أول سعد الدين متولى

وظيفة كبير الياوران (١) من الوظائف الحساسة جداً فى رئاسة الجمهورية ، فكبير الياوران هو الذى يتقدم الرئيس فى الاحتفالات والاستقبالات وفى الزيارات الخاصة والعامة ، وهو المرشد له أو الدليل للطريق الذى سيسير فيه الرئيس ، وهو الذى يتبعه كظله فى المراسم الرسمية ، ويكون إلى جانبه أو أمامه أو وراءه حسبما يقتضى الموقف .. وهناك لغة متبادلة بين الرئيس وكبير الياوران ، فكبير الياوران يكون أول من يراه الرئيس عندما يفتح باب سيارته ، ويتبادل الرئيس مع كبير الياوران النظرات ويعرف الرئيس أن كل شيء على ما يرام ، وأن عليه أن يتبع الياوران لأنه ــ بالطبع ــ لا يعرف المكان الذى يذهب إليه ، ولا الطريق ، ولا الأماكن التى قد يضطر للجلوس فيها ، ولا الأشخاص الذين عليه أن يتوقف لمصافحتهم .. ويسبق هذا بالطبع دراسة يقوم بها كبير الياوران للمكان موضوع الزيارة أو الاستقبال أو التوديع أو الاحتفال ، ويرسم مع الفريق المتقدم من الحرس الخاص والسكرتارية خريطة لكل تحركات الرئيس وعلى هَدْى هذه الخريطة يقود الرئيس ..

● الفريق أول سعد الدين متولى ●

(١) **الفريق أول سعد الدين متولى** ــ سفير مصر السابق فى براج ، كان يعمل مع عبد الناصر نائباً للياوران ثم كبيراً للياوران منذ عام ١٩٦٣ حتى وفاته فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ ــ سجلت هذه الشهادة يوم ١٩٨٨/٣/٢٨ .

ولا يعرف بالطبع كيفية اختيار كبير الياوران ، هل بالأقدمية فى العمل بالحرس الجمهورى أم بالخبرة والمران .. هل بالدراسة .. لكن الاختيار للفريق أول سعد متولى تم بطريقة مغايرة — على ما نعتقد — لكل ما هو مألوف ، ففى عام ١٩٥٧ — بعد العدوان الثلاثى على مصر — وتوثيق العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى تقرر سفر عدد من البعثات العسكرية إلى الاتحاد السوفيتى ، وكان الفريق سعد متولى عندئذ برتبة عقيد وعلى رأس أولى هذه البعثات ومعه من الأسماء اللامعة الفريق صادق والفريق مرتجى والمشير أحمد إسماعيل وزير الدفاع فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ومن التقاليد المتبعة قبل السفر أن يذهب أعضاء البعثة إلى قيادتهم للتحية والسلام .. وهكذا قصد العقيد سعد متولى إلى القائد العام ووزير الحربية المشير عامر ، وسأله المشير : هو انت عايز البعثة دى .. ؟

ولم يجب العقيد الشاب سعد متولى ، واستطرد المشير عامر : بلاش البعثة وروح فى الياوران مع عبد الناصر .. روح بكرة واستلم العمل هناك نائباً لكبير الياوران ..

وفى اليوم التالى ذهب إلى قصر القبة ودخل مكتب كبير الياوران حينئذ الفريق رشاد حسن وقال له : « أنا اتعينت هنا نائباً لك .. »

ورحب به الفريق رشاد حسن وسأله عن أى موقع يريد .. فقال له سعد متولى : سأذهب إلى مكتب عبد الناصر وأقف أمامه وعندما يصل سوف يختار هو لى الموقع الذى يريده ..

وكان مكتب عبد الناصر فى قصر القبة يقع فى نهاية الممر الذى يبدأ بغرف السكرتارية والياوران والحرس الخاص على اليمين ، وعلى اليسار قاعة مجلس الوزراء ، وكان عبد الناصر عندما يصل يتجه يساراً إلى مجلس الوزراء إذا كان المجلس فى انتظار الانعقاد .. فإذا لم يكن كذلك فإنه يتجه يميناً إلى مكتبه .. وفى هذا اليوم عندما وصل الرئيس جمال عبد الناصر إلى مكتبه فوجئ بالياوران الواقف على بابه هو سعد الدين متولى فصاح به : ليس هذا مكانك ..

ومنذ هذا الوقت أصبح سعد الدين متولى كبيراً للياوران عملياً .. بينما كان رسمياً مازال نائباً لكبير الياوران رشاد حسن الذى توفى عام ١٩٦٣ فحل مكانه سعد متولى رسمياً وكان قد وصل إلى رتبة فريق ..

والواقع أن اللقاء الذى تم بين الفريق سعد متولى وعبد الناصر والذى تم أمام بابه فى قصر القبة لم يكن هذا اللقاء الأول ، فقد كان زميلاً لعبد الناصر فى الكلية الحربية ، بل كان فى الدفعة السابقة عليه ، لقد كان مطلوباً فى هذه الدفعة ٤٠ طالباً فقط وتقدم لها ٨٠٠ طالب منهم جمال عبد الناصر ونجح الـ ٨٠٠ طالب جميعهم فى الكشف الطبى ، وكان من شروط القبول أن ينجح الطالب فى كشف الهيئة ـــ كما يذكر الفريق سعد الدين متولى ـــ ولمّا كان بالدفعة عدد كبير من أبناء الضباط فقد أعفوا من كشف الهيئة .. أما غير أبناء الضباط فقد كان الحظ يلعب دوراً هاماً فى نجاحهم فى كشف الهيئة .. وعلى كل ـــ كما يقول سعد الدين متولى ـــ فإن جمال عبد الناصر لم يدخل فى هذه الدفعة بينما كنت أنا وأنور السادات من المقبولين .. ولذا فقد اتجه عبد الناصر إلى كلية الحقوق ، وقدم طلباً للالتحاق فى الدفعة التالية فى أواخر عام ١٩٣٦ أو أوائل عام ١٩٣٧ (٢) ، وتخرج سعد الدين متولى فى فبراير سنة ١٩٣٨ وكان أول الدفعة حسين ذو الفقار صبرى شقيق السيد على صبرى ، وعبد المنعم رياض وزكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى ، وبعد خمسة أشهر بالتحديد أى فى يوليو سنة ١٩٣٨ تخرجت الدفعة التالية التى كان بها جمال عبد الناصر ..

وعلى كل حال فإن سعد الدين متولى عُيِّن فى منقباد وعندما تخرج جمال عبد الناصر ذهب هو أيضاً إلى هناك ووجد سعد الدين متولى وخدم معه فى كتيبة واحدة تسمى « خمسجى بنادق مشاة » .

فلقاء قصر القبة لم يكن هو اللقاء الأول ، بل سبقه من قبل عدة لقاءات ومعايشة كاملة فى الكلية الحربية وفى منقباد ..

وتدرج سعد الدين متولى فى الحياة العسكرية ، وفى سنة ١٩٤٩ اختير ضابطاً بالحرس الملكى لمدة طويلة ، وقضى هذه المدة ما بين القاهرة والإسكندرية .. ثم عاد إلى السلك العسكرى ، وعندما وقع العدوان الثلاثى فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، كان سعد متولى قائداً للواء الرابع فى العريش برتبة عقيد .. وفى هذا الوقت أصيب

(٢) للمزيد من المعلومات حول موضوع قبول عبد الناصر فى الكلية الحربية ينبغى الرجوع إلى الجزء الرابع من كتابنا « حكاية جمال عبد الناصر » نشر دار المستقبل العربى ، صـ ١٤ وما بعدها ، حيث يتضح أن ما ذكره الفريق أول سعد الدين متولى يفتقر إلى الدقة .

قائد اللواء السادس فتولى العقيد سعد متولى قيادته وخاض به معركة أبوعجيلة .. ، وعندما عاد منسحباً من سيناء ، وقضى بعض الوقت بالقاهرة جاءته البعثة إلى الاتحاد السوفيتى .. وشاء القدر ألاّ يسافر .. وأن يصبح كبير الياوران ..

والفريق سعد الدين متولى من مواليد عام ١٩١٨ وفى ٤ يوليو ١٩٨٨ يكون قد بلغ السبعين من عمره .. ، وقد ظل إلى جانب عبد الناصر نائباً للياوران وكبيراً للياوران منذ عام ١٩٥٧ إلى أن توفى عبد الناصر فى ١٩٧٠/٩/٢٨ .. ثم استمر كبيراً للياوران مع أنور السادات إلى أول يوليو سنة ١٩٧١ ، أى حوالى تسعة أشهر إلى أن عُين سفيراً بالخارجية بناء على طلبه ، وكان الفريق أول سعد متولى قد صرح برغبته هذه لكل رفاقه بالرياسة الذين عملوا مع عبد الناصر وكان من رأيه أن السادات لن يقبل أن يستمر معه الذين عملوا مع عبد الناصر وأنه لابد أن يختار كل مسئول بالرياسة مكاناً ملائماً له و يطلب من السادات نقله إليه وإلاّ اضُطر آخر الأمر أن يقبل ما يفرضه عليه السادات .. ، وكان هذا اتجاهاً ذكياً من الفريق أول سعد متولى .. لأن السادات سرعان ما أطاح بالجميع وأبقى — فقط — على بعض الذين يثق فيهم ولديهم الأسباب التى تدخلهم فى طاعته و يكونون من بطانته ..

والواقع أن الفريق أول سعد الدين متولى كان فى « حَاله » ومن رأيه عدم التدخل فيما لا يعنيه وإلاّ لقىَ مالا يرضيه وهو مثل قديم يعتنق فلسفته وربما هذا ما أبقاه فى الرئاسة شهراً ونصفاً بعد انقلاب ١٥ مايو سنة ١٩٧١ وما جعل السادات يستجيب لطلبه بالنقل سفيراً بالخارجية .. ، و يرى بعض رفاق الفريق سعد متولى أنه لا يتعاطى السياسة وهذا حقيقى .. ولم يكن على وئام كبير مع وزراء الرياسة الذين كانوا ضباطاً صغاراً فأصبحوا وزراء مثل كمال رفعت وسامى شرف .. إلخ .. والعلاقة بين العسكريين تعتمد إلى حد كبير على الأقدمية والرتبة ، ومهما ارتفع نجم الضابط وأصبح وزيراً فإنه لا يمثل بالنسبة لأقرانه سوى الضابط زميل الدفعة وصاحب الرتبة العسكرية لا صاحب المنصب المدنى .. وقد وقعت مشادات ومعارك صامتة فى مواقع كثيرة من التى يعمل فيها العسكريون إلى جانب المدنيين ذوى الأصل العسكرى ..

■ **سألت الفريق أول سعد الدين متولى :**

س : أين كنت يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، اليوم الأخير فى حياة جمال عبد الناصر ؟!

□ قال الفريق :

جـ : كنت مع الرئيس طبعاً ، وكان فيه المؤتمر الخاص بوقف المذبحة الدائرة فى الأردن لأفراد المقاومة الفلسطينية ، وكان المؤتمر يعقد فى الهيلتون ، والواقع أن يوم ٢٨ سبتمبر لا يبدأ كباقى الأيام من الصباح الباكر ، بل فى تقديرى أن هذا اليوم بدأ من اليوم السابق ، ففى المساء كان الاتفاق قد وقّع على وقف القتال ، وصعد الرئيس إلى جناحه فى الدور الحادى عشر .. كان الوقت حوالى التاسعة مساء عندما اتصل بى العميد صلاح الدين شهيب من قصر القبة وهو الياور المُعيَّن لمرافقة القذافى وقال لى : فخامة الرئيس الليبى دعا طاقم طائرته للاستعداد للإقلاع إلى ليبيا الليلة ، بعد حوالى ١٥ دقيقة سيتحرك ركب القذافى إلى المطار ، قلت له : ابق على التليفون .. واتصلت بمحمد أحمد سكرتير خاص الرئيس وأبلغته فطلب منى أن أنتظر لحظة .. عاد بعدها وطلب تحويل المكالمة إليه وقال للعميد صلاح شهيب : لا تدّعوا القذافى يسافر .. الرئيس سوف يجئ إليكم فى القبة ..

و يبدو ــ أيضاً ــ أن سكرتارية الرئيس اتصلت بالمطار لتعطيل طائرة القذافى ، وهبط عبد الناصر من الدور الـ ١١ وركبتُ فى عربة تبعته بها إلى قصر القبة .. وكان القذافى فى انتظار الرئيس وركبا سوياً وذهبا إلى المطار ، وودعه الرئيس وتحركت طائرة القذافى وعندئذ كانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة (٣) أو تخطت منتصف الليل بدقائق .. وعاد عبد الناصر إلى بيته فى تلك الليلة .. ولم يذهب إلى الهيلتون .

س : وبهذا نصل إلى يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ .. أين كنت ؟

---

(٣) ليس صحيحاً ما أورده هيكل فى كتاب « بصراحة عن عبد الناصر » الناشر : دار القضايا ــ بيروت ، يناير سنة ١٩٧٥ ، لفؤاد مطر ، ص ٢١٠ ، أن عبد الناصر لم يلحق بالقذافى لوداعه ، إذ يذكر : « و بعدها قيل لعبد الناصر إن القذافى غادر إلى المطار لحق به ، لكن القذافى كان ركب طائرته وسافر ، وعندها توجه إلى منزله فى « منشية البكرى » ، فالثابت من أقوال الوزير محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس أنه ذهب إليه فى قصر القبة ثم رافقه إلى المطار وودعه هناك وعاد إلى بيته فى منشية البكرى **(لقاء مسجل مع الوزير محمد أحمد ، مساء السبت ١٩٨٨/٤/٢)** كما يدحض ما أورده هيكل ما ذكره الفريق أول سعد الدين متولى أنه كان مع الرئيس ناصر فى وداعه للقذافى **(لقاء مع سعد متولى ، فى ٨٨/٤/١)** .

جـ : إنك تقلّب الذكريات والأوجاع أيضاً .. عندما كنت أرافق عبد الناصر فى أية مهمة لم أكن أرافقه لواجبات وظيفتى فقط .. بل لأنى كنت أحمل له مَعَزة خاصة ، كل الذين عملوا مع عبد الناصر وتفانوا فى حبه وإخلاصهم له ، كل منهم يحمل له جميلاً لا يُنسى ، مثلاً أنا ، أنا فعلاً أحمل له جميلاً لا يُنسى ، أذكر سنة ١٩٥٩ وكنا فى الشام أيام الوحدة وكنت قد وقعت فى حب فتاة ألمانية واتفقنا على الزواج ، ولكن ظهرت أمامنا العقبة الوحيدة وهى جنسيتها الألمانية وكانت القوانين العسكرية تحول دون ذلك ، فقد كانت تحرم على ضباط الجيش الزواج من أجنبيات ، وكان هذا النص موجوداً أيام الملك ولكنه كان ينتهى بفقرة هامة وهى : « إلاّ بموافقة جلالة الملك » وألغى عبد الناصر هذه الفقرة ، ومن هنا أصبح ممنوعاً على ضباط الجيش الزواج من أجنبيات ، إلاّ أننى كنت مصمماً على الزواج منها بأى ثمن ، وصارحت محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس بقرارى هذا .. ، ولم يكن هناك ــ فى تقديرى ــ مفر من الخروج من الخدمة .. ، إلاّ أن محمد أحمد أشار على بالكتابة إلى عبد الناصر .. ، فسهرت الليل أكتب فى ورقة لا يزيد عدد سطورها عن ثلاثة وهى : « سيادة الرئيس ، أفندم ، لقد قررت الزواج من الآنسة (...) الألمانية الجنسية ، ولما كان هذا ممنوعاً على الضباط فإنى أعرض على سيادتكم ما يلى :

١ ــ نقلى إلى وظيفة مدنية .

٢ ــ إحالتى إلى المعاش المبكر.

٣ ــ إحالتى إلى الاستيداع أو ما ترونه .

وفى الصباح قدمت الورقة لمحمد أحمد الذى كان بسبيله إلى تقديمها للرئيس عندما فوجئنا بضرورة التحرك للقاء على الحدود بين الرئيس عبد الناصر واللواء فؤاد شهاب رئيس لبنان .. كان ذلك فى ٢٦ مارس سنة ١٩٥٩ .. وكان قد دبّر هذا اللقاء عبد الحميد السراج .. ، وضع محمد أحمد الورقة فى جيبه و بدانا نتحرك إلى الحدود .. وتم اللقاء بين الرئيس فى خيمة على الحدود على المرتفعات الجبلية وكان الجو بارداً ، ونحن حول الخيمة نقف على الثلوج .. و بعد اللقاء تحرك الرّكب وهو عبارة عن ثلاث سيارات إلى مطار صغير تقف فيه طائرة صغيرة أليوشن ليس بها سوى صالونين بسيطين .. والطائرة نفسها صغيرة و بسيطة ،

وكان الوقت فى رمضان وحان موعد الإفطار وطلب الرئيس كوباً من الماء لكن لم يكن بالطائرة لا ماء ولا كوب ، وكنت أجلس بزاوية مع الرئيس .. وعندئذ أخرجت علبة سجائرى وأشعلت واحدة وسحبت منها نفساً عميقاً أحس به الرئيس ، فالتفت إلى وقال : إنت صايم .. ؟!

واستطرد قائلاً : أنت لا تصوم أبداً ، أنا أعرف هذا من أيام منقباد سنة ١٩٣٨ ، كنا نصوم وأنت الوحيد الذى تفطر..

وفاضت الذكريات ، وأخذنا نتحدث فى الماضى وأيام منقباد ، والساعات الأولى من الثورة .. وهبطت الطائرة فى مطار ألماظة ..

وأمسك عبد الناصر بذراع محمد أحمد وقال له : طوال فترة وجودنا بالطائرة وأنا أتحدث مع سعد متولى وهو يتحدث معى .. لكنى أشعر أنه يحمل فى نفسه شيئاً يريد أن يقوله لى .. ، ماذا كان يريد أن يقول .. ؟ وأخرج له محمد أحمد الورقة وأعطاها له ..

يستطرد الفريق أول سعد متولى :

وانتظرت عدة أيام وأنا متوقع أن يُصدر قراراً بإحالتى إلى المعاش أو نقلى إلى وظيفة مدنية .. فلم يكن هناك حل لمشكلتى سوى هذا .. ، لكن فجأة جاء لى محمد أحمد وسلمنى قراراً أصدره جمال عبد الناصر ، و ينص القرار على منح الآنسة « ... » المقيمة بـ (...) بألمانيا ، الجنسية المصرية وألاّ ينشر هذا القرار بالجريدة الرسمية .. !!

وفى هذا المجال أذكر بالخير سامى شرف لأنه أصدر أوامره بأن تتم إجراءات تنفيذ هذا القرار بأسرع ما يمكن ، وعلى هذا فقد سافرت إلى ألمانيا وعدت مع خطيبتى وأعلنت إسلامها وعقد قراننا وطارت المشكلة الخاصة بالجنسية إلى الأبد .. فقد أصبحت زوجتى مصرية ١٠٠٪ .. لكن بعد نقلى من الرياسة إلى الخارجية

وصدور قرار تعييني سفيراً لمصر فى براج ١٩٧١ عادت مسألة الجنسية مرة أخرى فقد قالوا إنه ليس من حق الديبلوماسى أن يكون متزوجاً من سيدة ليست ذات أصول مصرية .. وعندئذ واجهتم بجيهان السادات زوجة رئيس الجمهورية وقتئذ .. فسكتوا .. (!!)

س : هل نعود إلى يوم ٢٨ سبتمبر؟

جـ : نعم ، لقد حرصت على أن أقدم لك نموذجاً لإنسانية عبد الناصر ، وبصيرته النافذة وسرعة استجابته .. فلم يكن أحد يتصور أن يكون حل مشكلة جنسية زوجتى فى الإسراع بهذه الطريقة المبتكرة الفريدة التى حل بها عبد الناصر المشكلة .. وعلى كل ، ففى يوم ٢٨ سبتمبر كنت فى المطار فترة الصباح ولا أذكر من كنا نودع ، إلاّ أننى أذكر أنه بعد انتهاء مراسيم التوديع وعودة عبد الناصر إلى مبنى المطار وضع يده على كتفى وصار يحيى المستقبلين باليد الأخرى ، الذين كانوا يقفون فى الشرفة بالمطار القديم .. هل كان يستند على .. أم شعر بفيض من المودة للأشخاص الذين سيفارقهم قريباً ..

على كل حال عدت إلى البيت وعاد هو إلى بيته فى منشية البكرى ، وكان على أن أعود لحضور وداع أمير الكويت فى الثالثة ، وكنت حريصاً دائماً على أن أصل قبل الموعد بوقت مبكر.

وصلت الساعة الثانية ظهراً إلى المطار وقت بالاطمئنان — كالعادة — على الطائرة وطاقمها ، وعلى الاستراحة ، واحتياطات الأمن .. ، وفى الاستراحة جلست أنتظر وإذ بتليفون من فؤاد عبد الحى سكرتير الرئيس المساعد لمحمد أحمد ، كان يتكلم من مكتبه ببيت الرئيس فى منشية البكرى ، قال لى فؤاد عبد الحى : الريّس ح يتأخر شوية ، خلّى أنور السادات يستقبل أمير الكويت و يقعده معاه فى الاستراحة و يستبقيه إلى أن يصل الريّس ..

سألته : ليـــــه ؟

قال : الريّس تعبان قوى .. وح يتأخر..

عندما جاء السادات انفردت به وقلت له :

ــ أنا عايز منك خدمة ..

أجاب السادات :

ــ خير .. فيه إيه .. ؟

قلت له :

ــ أوّل الرئيس ما يودع أمير الكويت تطلع معاه بالعربية على برج العرب ، وتريّح هناك كام يوم وتقطع التليفون ومتخليش فيه اتصالات ولا جرايد ولا حاجة ..

التفت إلى أنور السادات وأجاب :

ــ والله يا سعد لك حق ..

قلت :

ــ إنت وهو بس ومفيش حد تانى ..

ووصل أمير الكويت واستقبله أنور السادات ودخلا إلى الاستراحة ، وبعد لحظات عرفت أن الرئيس عبد الناصر وصل .. ، ويقتضى الواجب أن أقف لاستقباله عند العربة ، وقام أحدهم بفتح باب العربة .. كانت العربة التى يركبها الرئيس فى ذلك الوقت ماركة كاديلاك كبيرة والمسافة بين الكرسى الجالس عليه والباب كبيرة وكان إلى جانبه فؤاد عبد الحى الذى هبط سريعاً من الجانب الآخر، ولاحظت ــ ربما لأول مرة ــ أن الرئيس يمد يده يمسك بمقبض الباب القريب منه ويشدّ نفسه لكى ينهض ، فنهض ولكن بصعوبة ، ثم بعد ذلك هبط من العربة ومشى بخطوات متباطئة ، وعند الاستراحة لاحظت أنه يصعد الدرجات واحدة واحدة ليأخذ راحته ، ويقف ويحيى الناس .. ثم يصعد درجة أخرى وهكذا .. وكان فى العادة يصعد الدرجات الأربعة ثم يقف ويحيى الناس .. وهذا دليل واضح على أنه لا يقدر على صعود الدرجات الأربعة مرة واحدة بل كان يتوقف بين كل درجة ودرجة ليأخذ أنفاسه ويستريح .. كان يتحامل على نفسه ، وكان هذا شيئاً غير طبيعى ، وبعد أن دخل الممر الصغير الذى ينتهى إلى الصالون توقف لحظة .. ثم واصل السير ببطء أيضاً إلى أن وصل إلى الصالون ..

وتحتم على واجبات وظيفتى أن أقوم بعدة إجراءات قبل أن أدعو الرئيس ليصحب ضيفه إلى الطائرة ، فأذهب إلى الطائرة ، وأتأكد من وجود الطاقم

الذى عليه أن يبلغنى بأنه جاهز وأن قواعد السلامة متبعة .. وما أن قمت بذلك حتى عدت إلى الاستراحة وقلت :

ــ اتفضل يا فندم ..

رفع إلى وجهاً متعباً وقال : « خلينى أريّح شويه .. »

خرجت من الاستراحة ، والتفت حولى إلى المرافقين للرئيس وكأنى أسألهم : الريّس عايز يريّح شوية .. أستنى قد إيه كده ؟

وعلى كل فقد انتظرت حوالى ١٠ دقائق ، وفى ذهنى أن هناك عدة إجراءات أخرى باقية فى بروتوكول التوديع ، إذ يقف جندى من حرس الشرف على رأس ممر الطائرة وعندما يرى الرئيس عليه أن يرفع علماً فى يده وتعتبر هذه إشارة بدء لعزف السلامين الكويتى والمصرى .. ثم تأتى الخطوة التالية وهى المرور على حرس الشرف .. أما الخطوة التالية فتتم عندما يحيى ضيفه الذى يقف على سلم الطائرة ثم يتجه إلى أول الصف الذى يقف فيه المودعون للضيف و يقف على رأس هذا الصف إلى أن تقلع الطائرة .. ثم يتجه إلى مكان العربة و يركب .

لكن ما حدث هذه المرة كان شيئاً مختلفاً ، فقد انتظرت حوالى ١٠ دقائق ثم عدت إلى الاستراحة وقلت للرئيس أدعوه : اتفضل يافندم ..

فى هذه المرة نهض ولكنه أشار لى وقال بصوت خفيض : بلاش الوقفة . (أى لا داعى لعزف السلامين الكويتى والمصرى) !

وبدأ السير مع ضيفه والمودعين وبالطبع أشرت لحامل العلم بألاّ يرفع العلم ومن هنا لم يتم عزف السلامين الكويتى والمصرى ..

ثم وللمرة الثانية أشار لى الرئيس قائلاً : مفيش مرور.. وكان يعنى لا داعى للمرور على حرس الشرف كما هى العادة ..

وصعد الضيف إلى الطائرة ، وحياه الرئيس برفع يده ، لكنه لم يتجه إلى أول صف المودعين كالعادة بل نادى علىّ وقال : يا سعد .. عايز العربية هنا ..

س : سألت الفريق أول سعد الدين متولى كبير الياوران فى ذلك الوقت : قال لى صلاح الشاهد كبير الأمناء إنك اعترفت له بأن رائحة الأسيتون (٤) كانت تنبعث واضحة من فم الرئيس ؟

---

(٤) تدل رائحة الأسيتون فى زفير الشخص على زيادة كمية السكر بالدم و يفقد المريض وعيه ، وهذه الحالة تعرف بـ Acidosis وتسمى كومة Coma أمّا صدمة الأنسولين « Insulin Shock » فهى تعبير عن نقص كبير فى كمية السكر بالدم وتنتهى أيضاً بفقد الوعى ..

قال وكأنه يبعد خاطراً خاضت فيه الصحف كثيراً وهو أن عبد الناصر مات بكومة سكر وليس بجلطة فى الشريان التاجى ، وقال : لا ، مش كتير كده .. ! (٥)

س : نعود إلى تفاصيل ما حدث فى المطار على إثر توديع أمير الكويت بعد ظهر يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ..

جـ : عندما قال لى الرئيس : يا سعد ، عايز العربية هنا .. انطلقت هنا وهناك لأفسح الطريق لمجيئ العربة حيث يقف ، وعندما جاءت العربة حاول أنور السادات الركوب معه لكن الرئيس طلب منه البقاء ، وعلى هذا فقد ركب معه فؤاد عبد الحى .. أمّا أنا فقد ركبت عربة الفريق الليثى ناصف وقلت له : اطلع بينا على بيت الريّس ..

كنت أريد أن أطمئن عليه .. ، إن الأحداث التى رأيتها كانت رسالة موجهة إلينا بأن الرئيس ليس على مايرام .. ، على كل وصلنا بيت الرئيس وقابلنا فؤاد عبد الحى وسألناه : هيه ، إيه الحال ، إزى أخبار الريّس دلوقتى ؟
أجاب فؤاد عبد الحى : كل حاجة تمام (٦) .
أنا والليثى أخذنا نفس العربة التى جئنا بها وذهب كل منا إلى بيته ..
ذهبت إلى بيتى ، وفى الساعة الخامسة و١٥ دقيقة دق جرس التليفون فى بيتى ، كان المتحدث هو أحد السكرتارية فى بيت الريّس قال لى بكلمات مقتضبة : تعال على بيت الريّس فوراً ..
أخذت عربتى الخاصة وألقيت بنفسى فيها ووصلت البيت خلال عدة دقائق ، دخلت البيت ، فوجئت بالصالون الكبير مملوء بالمسئولين والدكتور رفاعى كامل يهبط من الدور الثانى ــ حيث تقع غرفة نوم الرئيس ــ إلى البهو بالسلم الداخلى وكان يبكى .. ، كانت عيناى معلقة به .. ، قال لى : تم قضاء الله !!
وكان هذا حوالى الساعة الخامسة والنصف أو السادسة إلا ربعاً .

س : هل أنت متأكد أنك رأيت الدكتور رفاعى كامل وهو يهبط من السلم الداخلى

---

(٥) لم ينف ولم يؤكد ولكنه ذكر الحقيقة كما رآها ..

(٦) من المثير للدهشة أن تكون هذه إجابة فؤاد عبد الحى رداً على سؤال الفريق سعد متولى ، فالحالة لم تكن تماماً أو « كل حاجة تمام » انما كانت كل حاجة تسير من سيئ إلى أسوأ .. !

إلى بهو الصالونات فى بيت الرئيس عبد الناصر بمنشية البكرى و يبكى قائلاً : تم قضاء الله .. ؟

جـ : طبعاً ، لقد كان د . رفاعى كامل برتبة فريق وأستاذاً عظيماً فى القلب وأعرفه جيداً .. ولا يمكن أن أجهله ، نعم رأيته نازلاً من السلم الداخلى يبكى .. وأنا أعرف الدكتور رفاعى جيداً ..

س : هل تناول الرئيس جمال عبد الناصر كوباً من عصير البرتقال أو الليمون أو شيئاً من هذا القبيل .. أثناء وجوده فى المطار .. ؟

جـ : أفهم ما تقصد إليه ، إننى أستبعد أن يكون عبد الناصر قد مات بالسم أو أن أحد أطبائه قد أعطاه أدوية خطأ أدت إلى وفاته ، كما يردد هذا الدكتور (....) — طبيب القلب المعروف وأستاذ الجامعة ، إنه يقول إن الذى قتله هو العيّل (أى الطفل) اللى جايبينه فى الرياسة .. ، وأنا شخصياً لا أعرف إن كان قد شرب عصير برتقال أو ليمون أو لم يشرب .. لأنه قد جرت العادة أن يقدم فى استراحة الرئيس ثلاث « صوانى » كبيرة واحدة مملوءة بأكواب من شتى العصائر والصينية الثانية مملوءة بالشاى والصينية الثالثة قهوة .. و بالتالى فلا أعرف إن كان الرئيس شرب شيئاً أم لا .. لأن مهمتى لا تمتد إلى داخل الاستراحة بل عند بابها .. فأنا أنتهى بالرئيس إلى باب الاستراحة فيدخل أو يستقبله أحد من الموجودين ثم أتسلمه من باب الاستراحة .. ، إذن داخل الاستراحة لا شأن لى به ..

س : من يصنع هذه العصائر أو يقدمها .. ؟

جـ : يوجد إلى جانب الاستراحة أوعلى الأصح داخلها « أوفيس » صغير يتم فيه تحضير هذه الأشياء .. و يقوم بهذا طاقم من الرئاسة متخصص فى هذا النوع من الخدمة .. ، ويجب أن تعرف أن استراحة الرئاسة لا تفتح إلاّ بواسطة طاقم الرئاسة و بعد أن يتم فيها الاستقبال أو التوديع تغلق تماماً .. ومن رأيى أن الرئيس جمال عبد الناصر قد مات ٣ مرات : **الأولى :** عند الانفصال سنة ١٩٦١ ، **والثانية :** فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، **والثالثة :** إثر انتهاء مؤتمر القمة فى

سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، وهى الموتة الأخيرة .. ده راجل عنده تعليمات إنه لا يشتغل فكان يشتغل أكثر من اللازم .. معنى كده إيه .. ؟

س : هل كان محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس موجوداً فى هذا اليوم ؟

جـ : لا أعرف إذا كان موجوداً أو غير موجود لكنى لم أره ، والذى رأيته هو زميله أو مساعده السيد فؤاد عبد الحى وهو الآن مساعد الوزير بالخارجية .

س : يقال : إنه كانت ترافق عربة الرئيس عبد الناصر عربة مستشفى مجهزة تجهيزاً كاملاً لحالات الطوارئ وبها طبيب أو طاقم من الأطباء .. هل كانت موجودة فى هذا اليوم .. ومن كان الطبيب النوبتجى بها .. ؟

جـ : جرت العادة أنه فى كل تحركات الرئيس كان يتبع الركب عربة مستشفى ، لكن لا أتذكر إذا ما كانت موجودة من عدمه ، وهذا الموضوع ليس فى حسبانى ، لأن اهتمامى الكلى كان منصباً على الرئيس ، تحركاته وحضوره وانصرافه .. ، لكننى أعرف أن طبيباً مستديماً مع الرئيس هو الدكتور الصاوى حبيب ، وهو الذى تولى علاجه عندما وصل إلى البيت لكنى لم أره فى المطار ..

س : أين كان مكان الطبيب الخاص فى ركب الرئيس .. ؟

جـ : كان مكانه فى سيارة من سيارات الحرس الجمهورى ، وكنت أرى الدكتور أحمد ثروت ـــ رحمه الله ـــ فى سيارة من سيارات الحرس .. وكان د . ثروت هو الطبيب الخاص لعبد الناصر .. وجاء مكانه الدكتور الصاوى حبيب ..

س : لقد اقترحت على أنور السادات نائب الرئيس فى ذلك الوقت أن يذهب بالرئيس إلى برج العرب للراحة على إثر انتهاء مراسيم التوديع .. فلماذا لم تقترح عليه أيضاً وقد لمست مدى تعبه وإرهاقه ، لماذا لم تقترح عليه نقل الرئيس إلى مستشفى المعادى العسكرى الذى كان مهيئاً لإجراء الفحوص واستقبال كبار المسئولين .. فإذا لم تقترح هذا لا بصفتك كبيراً للياوران .. بل لأن عبد الناصر زميلك ورفيقك فى الكلية وتعايشتما فى منقباد فأنتم إخوة فى السلاح .. كذلك فإن أنور السادات كان من دفعتك أيضاً .. ؟

جـ : سياستى هى « من تدخل فيما لا يعنيه لقى ما لا يرضيه » !! هذا من جهة .. ومن جهة أخرى كان الرئيس عنيداً .. لقد رفض أن يصحبه أنور السادات فى سيارته وقال له : خليك إنت هنا .. فكيف كان يمكن أن يقبل نقله إلى مستشفى المعادى .. ؟

س : الواقع أننى لا أفهم شيئاً عن هذه السياسة التى تقول بها ، لكننى ألاحظ اللامبالاة شبه الكاملة من الطاقم المحيط بالرئيس جمال عبد الناصر بخطورة حالة الرئيس .. بدءاً بالسكرتارية الخاصة وانتهاء بالنواب والوزراء والأصدقاء الذين رافقوه فى مراسيم التوديع أو تحدثوا إليه بالتليفون أو غير ذلك ..

جـ : لم يكن أحد فى الرئاسة « يتدخل فيما لا يعنيه » ، وكل كان يقوم بالواجبات المسندة إليه فقط وهذا ينطبق على ديوان الأمناء وديوان كبير الياوران ، أمَّا بخصوص الحراسة الخاصة فلم يكن لأحد منهم أن يتدخل ، وكان قائد الحراسة الخاصة محمد أحمد إذا أراد أن ينبّه لأى حاجة فى هذا الموضوع فعليه أن ينبّه .

س : ذكر السيد فؤاد عبد الحى مساعد محمد أحمد سكرتير الرئيس عبد الناصر والذى رافق الرئيس أثناء ذهابه وإيابه إلى المطار فترة ما بعد الظهر لوداع أمير الكويت ، ذكر أن الرئيس عبد الناصر طلب منه أثناء العودة موافاته بالدكتور الصاوى .. إلاّ أنه ــ كما تقول ــ قد ذكر لكما أنت والفريق الليثى ، عندما سألتماه عن صحة الرئيس أجابكما بأن كل شىء تمام .. ما تفسيرك لهذا التناقض .. ؟

جـ : لا تناقض ، إن السيد فؤاد عبد الحى يعلم أن الرئيس منذ الأمس فى تعب كثير من مراسيم التوديع وخلافه .. ولو أبلغنا بغير ذلك ، أى بغير ما يطمئننا لمكثنا فى بيت الرئيس ، ولذا أبلغنا أنه كويس ..

س : ألم يثر موت الرئيس عبد الناصر لديك تساؤلات وشكوكاً على الرغم من إيماننا الكامل بأن لكل أجل كتاب والأعمار بيد الله وأنه لا رادّ لقضائه .. ؟

جـ : لم يخطر فى بالى فى وقت من الأوقات أن وفاة الرئيس جمال عبد الناصر غير طبيعية ..

س : عندما استُدعيت إلى بيت الرئيس بعد الساعة الخامسة مساء ، ثم انتقلتم إلى قصر القبة لحفظ الجثة فى الثلاجة بالدور الثانى ، وإجراء الاجتماع المشترك للجنة التنفيذية العليا والوزراء ، هل سمعتم شيئاً عن ضرورة تشريح جثة الرئيس لمعرفة سبب الوفاة وأن هذا كان شرطاً لإصدار شهادة الوفاة وتصريح الدفن .. ؟

جـ : نعم ، أذكر هذا وأعتقد أن الذى أثاره هو السيد حسن التهامى وزير الدولة وكان صوته أوضح وأقوى من أن تحول بينه وبين الوصول إلينا الأبواب المغلقة .. ، ولا شك أنك تعرف أن السيد حسن التهامى قدّم خدمة جليلة للسادات ، بل هى الخدمة الأولى وأهم خدمة .. ، فقد تحدث الدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الأمة وقتذاك عن حقه فى الرئاسة المؤقتة طبقاً للدستور باعتباره رئيساً لمجلس الأمة ، فاعترض حسن التهامى بقوة ، وصاح : ده غلط لأن فيه نائب رئيس الجمهورية .. (٧)
فرد عليه د . لبيب شقير: لكن السادات ليس نائباً أول كما ينص الدستور..
فصاح التهامى : لكن مفيش نائب غيره ، هو نائب واحد ، يبقى هو الرئيس المؤقت ..

س : ألم تسمع أو تر شيئاً فى هذه الليلة الحزينة ـ يشير إلى عمل قناع لوجه الرئيس جمال عبد الناصر بعد وفاته .. قناع من الجبس لإمكانية صبّ تماثيل عليه من البرونز أو النحاس أو أى مادة أخرى .. ؟

جـ : نعم ، لقد مرّ فى مخيلتى هذا الموضوع ، وعن عمل قناع لكن لا أجزم به ..

(٧) • ينص الإعلان الدستورى الصادر فى ٢٣ مارس سنة ١٩٦٤ فى مادته ١١٠ : « فى حالة استقالة الرئيس أو عجزه الدائم عن العمل ، أو وفاته يتولى الرئاسة ـ **مؤقتاً** ـ **النائب الأول لرئيس الجمهورية ، ثم يقرر مجلس الأمة** ـ بأغلبية ثلثى أعضائه ـ خلو منصب الرئيس ، و يتم اختيار رئيس الجمهورية خلال مدة لا تجاوز ٦٠ يوماً من تاريخ خلو منصب الرئاسة .
• وتنص المادة ١١١ على أنه إذا قدم الرئيس استقالته من منصبه وجه كتاب الاستقالة إلى مجلس الأمة .
• وكان هذا النص فى دستور ١٩٥٦ المؤقت بجعل السلطة فى يد رئيس مجلس الأمة ، فتنص المادة ١٢٨ على أنه **فى حالة استقالة الرئيس أو عجزه أو وفاته يتولى الرئاسة مؤقتاً رئيس مجلس الأمة** .
• أما التعديل الدستورى الذى أعلن السادات بموجبه الدستور الجديد فى ١٩٨٠/٥/٢٢ ، فتنص المادة **٨٤ على أنه فى حالة خلو منصب رئيس الجمهورية أو عجزه الدائم عن العمل يتولى الرئاسة مؤقتاً رئيس مجلس الشعب** .
ولم يرد فى دستور السادات هذا اعترافاً بوفاة رئيس الجمهورية وما ينشأ عن هذا من إجراءات !!

س : أما زلت تصر على أن وفاة الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ كانت وفاة طبيعية .. ؟

جـ : نعـــــم ..

وانتهت شهادة السفير الفريق أول سعد الدين متولى ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

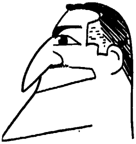

شهادة السيد شعراوى جمعة

كان هذا اللقاء (١) أول لقاء بيني وبينه منذ خروجه من السجن بعد أن صدر عليه الحكم بالإعدام وخُفف إلى الأشغال الشاقة المؤبدة فيما يعرف بقضية مراكز القوى، الجناية رقم ١ لسنة ١٩٧١ أو انقلاب السادات المسمى بـ ١٥ مايو، كنت أعرفه منذ أكثر من ربع قرن.. فقد تقابلنا سوياً عندما كان محافظاً فى السويس فى أوائل الستينيات، وفى فترة التحول الاشتراكى وبناء الاتحاد الاشتراكى توطدت العلاقة أكثر، وكان الذى عرّفنى به الصديق الأستاذ محمد عروق مدير إذاعة صوت العرب فى ذلك الوقت،

(١) السيد شعراوى جمعة ـ وزير الداخلية وأمين التنظيم السياسى فى حكومات عبد الناصر منذ ١٩٦٥/١٠/١ إلى ١٩٦٨/٢/٢٠، ونائباً لرئيس الوزراء للخدمات ووزيراً للداخلية منذ ١٩٧٠/١١/١٨ وهى أول حكومة يصدر قرار تشكيلها بعد انتخاب السادات رئيساً للجمهورية، وكانت الوزارة برئاسة الدكتور محمود فوزى، وظل بها إلى أن سقطت فى أحداث ١٥ مايو سنة ١٩٧١ بانقلاب مايو، الذى قاده السادات ضد الناصريين، وقد تولى شعراوى جمعة عدة مناصب قيادية فى التنظيم السياسى والاتحاد الاشتراكى، فكان أميناً للتنظيم الطليعى.. وكان أحد أربعة يقال إنهم كانوا يمثلون مراكز القوى فى مصر، وهم: على صبرى، والفريق فوزى، وسامى شرف، ثم شعراوى جمعة ـ وقد تمت هذه الشهادة فى منزله بمصر الجديدة فى ١٢ مارس سنة ١٩٨٨، على شريط مدته ساعة.

• شعراوى جمعة •

والـذى أصبـح ـ فيا بـعـد ـ مـديراً لمكـتب شعراوى جمعة لشئون التنظيم الطليعى .. ومحمد عروق من أبناء السويس ، حيث تأسس هناك أول معهد للدراسات الاشتراكية ، وكنا نذهب إلى هناك أسبوعياً للحوار والمناقشة والمحاضرة عن الاشتراكية والتاريخ والثقافة .. ولم أكن وحدى بالطبع ، كان هناك عدد من الزملاء ، منهم محمد عودة ، محمود أمين العالم ، كامل زهيرى ، محمود السعدنى ، جلال السيد ، د . محمد أنيس .. وغيرهم وغيرهم ..

ذهبت إلى شعراوى جمعة فى بيته بمصر الجديدة ، كان رقيقاً ومتواضعاً ، لم يتغير كثيراً ، ازداد سمنة ، حزن عميق هادئ يمر عبر عينيه ، دققت النظر فيهما ، ثيابه ليست أنيقة لكنها متناسقة متواضعة .. يرتدى كرافتة سوداء على عزيز مات لديه لا يستطيع نسيانه .. من هو .. ؟

قلت له فى البداية : أنت تعرف ما أبحث عنه ، و يقينى أن سامى شرف قد أبلغك ، إننى أحقق فى موت الرئيس جمال عبد الناصر .. ، أنا غير مطمئن إلى موته بجلطة فى الشريان التاجى للقلب .. أعتقد أن فى موته شيئاً غامضاً .. أرجو أن تعيننى على كشفه ..

أجاب : على كل حال ، ففى سبيل الحقيقة ، وعلى حسب معلوماتى ، وطبقاً لما أتذكره ، سوف أقدم ما عندى .

س : يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ مات عبد الناصر وقيل فى شهادة وفاته أو إعلان وفاته أنه مات بجلطة فى الشريان التاجى للقلب ، وقد وقّع على هذه الشهادة خمسة من الأطباء ، أكبرهم وأعلمهم فيما يختص بالقلب قرر أنه كتب هذه الشهادة أو وقّع هذه الشهادة تحت تأثير الظروف التى تمر بها البلاد حينئذ ، وكان الواجب يقتضيه ألاّ يوقع عليها لأنه رأى أن عبد الناصر لم يمت بجلطة فى الشريان التاجى ، إنما مات بكومة سكر أخطأ فى هذا الأطباء المحيطون به فى تشخيصها لسبب أو لآخر ، بل إنهم تمادوا فى هذا الخطأ حيث حقنوه بثلاث حقن مشبطة عجّلت بوفاته .. هذا الطبيب الذى قرر أخيراً واعترف به بعد ١٦ عاماً من وفاته ، أى فى شهر أكتوبر سنة ١٩٨٦ هو الفريق طبيب رفاعى كامل الذى يبلغ من العمر الآن ٧٥ عاماً .. وكان الفريق رفاعى قد ذهب عقب تشييع

جنازة الزعيم الراحل بيوم واحد .. أى فى يوم السبت ٣ من أكتوبر سنة ١٩٧٠ إلى مكتب القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية الفريق أول محمد فوزى وأفضى إليه بهذه الحقيقة باعتباره الرئاسة المباشرة له فطلب منه الوزير أن « يكفى على الخبر ماجور » وهو تعبير مألوف بلا شك يعنى أن يبقى الأمر سراً ولا يخرج أبداً ..

■ وهنا سألنى السيد شعراوى جمعة إذا ما كنت قد عرضت هذا الاعتراف على الفريق فوزى ، فأجبت بأننى عرضته عليه فى لقاء معه تم فى مسكنه بمصر الجديدة فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٨٦ وقرر لى بأنه يثق فى الدكتور رفاعى كامل ، فهو رجل علم وطب وأخلاق ، وله به علاقة طويلة .. وأنه إذا كان الفريق رفاعى قد قال هذا الكلام فهو صادق ، لكنه أضاف معلّقاً أن هذا رجل عسكرى وأنه كتب سطرين مسئول عنها فكيف يجئ لى بعد أن انتهى الأمر ويقول بأنه أخطأ .. ؟ كان هذا هو تعليق الفريق صادق عندما أسمعته الشريط المسجل الذى قال فيه الدكتور رفاعى اعترافه الخطير ..

أجاب السيد شعراوى جمعة :

هو فى الواقع ، أنا سوف أقول لك معلوماتى ..

س : هذا ما أريده منك ، أريد التفاصيل الدقيقة منذ أن استُدعيت إلى بيت الرئيس جمال عبد الناصر مساء ذلك اليوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ..

قال السيد شعراوى جمعة :

الساعة الخامسة والربع من ذلك اليوم اتصل بى السيد سامى شرف ، وقال لى الريّس عايزنا وأنا ح أفوت عليك حالاً ، ولم يقل لى الريّس تعبان ولا حاجة ، وبعدين فات على حوالى ٥,٣٠ .. واحنا بيتنا جنب بعض وكان هو اللى سايق العربية ، ورحنا بيت الريّس لقينا فؤاد عبد الحى كان هو النوبتجى ، وكان الهلع مسيطراً عليه وقال بصعوبة : « الريّس تعبان » وطلعنا أنا وسامى وكنا أول اتنين وصلوا إلى حجرة نوم الريّس عبد الناصر ، كان الريّس نايم على السرير وحواليه مجموعة من الأطباء ثلاثة أو أربعة وفيه أجهزة كهربائية متصلة

بجسد الرئيس عن طريق أسلاك هنا وهناك ، والأطباء قاعدين يدلّكوا القلب ..

س : أتذكر الوقت بالضبط .. ؟

جـ : كان الوقت حوالى ٥,٤٠ لكن لم يعلن أحد من الأطباء حتى هذا الوقت أن الريّس مات .. يعنى كانت المحاولات مازالت جارية ، فأنا نزلت بسرعة واتصلت بأمين هويدى ولم يكن موجوداً بالبيت ، كان فى زيارة للجبهة .. وكذلك لم أجد الفريق فوزى فى بيته فتركت لهما رسالة عاجلة ليحضرا ..

س : من أين قمت بالاتصال .. ؟

جـ : من مكتب الريّس تحت فى الدور الأرضى ..

س : ألم يكن محمد أحمد موجوداً .. ؟

جـ : لا .. فى الوقت ده لم يكن محمد أحمد موجوداً ، المهم .. أجريت هذا الاتصال وطلعت تانى فوق .. وكانت الناس قد بدأت تصل ولا أستطيع بالتحديد أن أتذكر من وصل الأول أو من الثانى أو الثالث : هيكل ، الفريق فوزى ، على صبرى ، أمين هويدى .. ثم حسين الشافعى ، وبعدين وصل السادات .. كان آخرهم ..

س : متى وصل السادات .. ؟

جـ : وصل حوالى السابعة .. وأثناء وصولهم ، وكنا واقفين كلنا اللى بيدّعى واللى بيصلى واللى بيقرا قرآن ، حصلت هزة فى الجسد ، انتفض الرئيس على إثرها وقلنا فى نفسنا « الحمد لله » ..

س : دى طبعاً كانت رد فعل شحنة كهربائية من جهاز الصدمات ؟

جـ : طبعاً .. ، وبالفعل الأطباء قالوا مفيش فايدة ..

وعاد السيد شعراوى جمعة يتذكر بدقة أكثر فقال :

جاء أنور السادات بعد ذلك وكشف الغطاء عن وجه الرئيس عبد الناصر وقبله وقال : « همّ الأطباء قاموا بالواجب بتاعهم » .. وكان سؤاله هذا خارج الموضوع ..

وبعد كده قلنا نسيب الريّس للعيلة بقى ، العيلة واقفة بره الأوده فى حالة منهارة .. ونزلنا علشان نجتمع فى المكتب .. فى الصالون اللى تحت بتاع البيت ..

س : عندما دخلتم حجرة نوم الرئيس ورأيتم الأطباء من حوله والجهاز على صدره ..

قاطعنى السيد شعراوى جمعة وقال لى : لأ ، الجهاز لم يكن موجوداً على صدره .. بل كان إلى جانبه ، فقط الأسلاك كانت تمتد منه وإليه ..

وعدت إلى سؤالى :

س : هل لاحظتم شيئاً من الأدوية على الترابيزة المجاورة للفراش والتى غالباً ما يوضع عليها شىء صغير كقلم أو ورقة .. أو مفكرة .. هل لاحظتم أدوية أو بقاياها كعلب أو حقن أو ما شابه ذلك ؟

جـ : فى الوقت ده وفى الظروف دى كان تركيزنا الوحيد على الريّس شخصياً .. كل تفكيرك هو إيه اللى ح يحصل ، ولا تستطيع أن تقول حتى من كان فى الأوده .. وإيه هو اللى كان هنا واللى كان هنا .. ، وحتى الآن .. فإن الصورة الباقية فى ذهنى ، أنه فى السرير نايم بالبيجامة والأطباء حواليه ، لكن تسألنى : الأوده فيها إيه ؟ بلاك أوت بالنسبة لى Black out .. مش متذكر الأطباء هم مين .. لكن طالما إن فيه أجهزة يبقى لازم معاها الدكتور طه عبد العزيز لأنه هو اللى بيشغّل الأجهزة ومسئول عنها .. لكن جه إمتى .. ؟ ومين بالترتيب من الأطباء ومتى دخل .. ؟ لا أعرف .. بعدين رفاعى مش متذكره الحقيقة ، دخل إمتى .. ربما يكون دخل أثناء ما كنت أنا خارج الأوده أنده لأحد .. أو شىء من هذا القبيل .. إنما رفاعى موجود .. آه .. جه إمتى ؟ لا أعرف .. ، رفاعى صديقى لابد أن أكون متذكره .. جه إمتى .. ؟! لكن كان موجوداً !

س : وإذن .. فقد نزلت أنت وسامى شرف تحت فى الدور الأول ؟

جـ : نزلنا كلنا ، كل الحشد بما فينا أنور السادات نزلنا كلنا فى الصالون تحت علشان نضع ترتيب الخطوة التالية .. إيه اللى ح يحصل ؟ اللى هو اجتماع

مجلس الوزراء واللجنة التنفيذية العليا فوراً ، وتحديد ميعاد الجنازة يوم الخميس علشان إعطاء فرصة للوفود اللى ح تيجى .. نقل الجثمان إلى قصر القبة للحفظ فى الثلاجة ، أو فى العيادة اللى هى مكيّفة ..

س : وإذن ماذا بشأن الوفاة وإعلانها .. ؟

جـ : عندما اجتمع مجلس الوزراء واللجنة التنفيذية العليا إتقرا علينا تقرير ..

س : من الذى قرأه .. ؟

جـ : واحد من الأطباء .. مش عارف ، إنما فى الغالب الدكتور منصور فايز ..

س : هل جرت مناقشة فى التقرير الطبى ؟

جـ : لا أعتقد ، إنما ممكن حسن التهامى ساعتها أو بعدها سأل ..

س : سأل عن إيه .. عن سبب الوفاة أو طلب تشريح الجثمان ؟

جـ : حاجة زى كده .. مش متذكر ، إنما سأل أسئلة .. ، التقرير اللى اتقرا علينا كان مهم جداً ، ولذا كان لازم ييجى الدكتور أو كبير الأطباء اللى هو موجود علشان يقوله .. هل التقرير اللى قراه منصور .. أو الصاوى حبيب ..

س : لأ .. يبدو أن الذى قرأ التقرير هو منصور فايز لأن الدكتور الصاوى حبيب لم يكن موجوداً (٢) وتذرع بأن تحية هانم أصيبت بحالة خفقان فكان إلى جانبها ..

جـ : بالطبع اللى قرأ التقرير هو د . منصور فايز باعتباره أكبر الأعضاء سناً .. ، ولا أعتقد أن أحداً تدخل فى مناقشة تفاصيل التقرير ولا أحد اختلط بالأطباء ، لا سامى شرف ولا حدّ ، لأن عملية كتابة التقرير تمت من خلال الأطباء بينهم وبين بعض .. قعدوا فى أوده لوحدهم وكتبوا التقرير ووصلنا التقرير .. طبعاً إحنا كلنا كنا فى حالة ثانية ، كنت باطلب الوزرا علشان يحضروا وانت عارف أن الوزرا كانوا فى بورسعيد .. فى الجبهة وكان لابد من استدعائهم علشان ييجوا بسرعة لكنى لا أعتقد أن سامى شرف أخذ التقرير علشان يمضى د . رفاعى عليه ؟ لأن رفاعى كان قاعد مع الأطباء يدرسوا ، فإذا كان رفاعى موجود فإذن

---

(٢) تعلل د . الصاوى حبيب بعدم الحضور إلى قصر القبة باعتباره الطبيب المعالج بأن السيدة تحية هانم حرم الرئيس عبد الناصر أصيبت فى نفس اليوم بحالة خفقان فى القلب .. فكان الدكتور الصاوى حبيب إلى جانبها .

ليس فى حاجة إلى أن يمضّيه سامى على التقرير، يعنى مثلاً التقرير كتبوه على الماكينة ــ نفرض ــ وبعد أن تم ذلك جاء الأطباء الموجودين علشان يمضوه .. الدكاترة قاعدين مع بعض فما دخل سامى شرف .. ؟!

ملحوظة :

أ- من الواضح أن السيد شعراوى جمعة أحس بطريقة ما أننى أتهم السيد سامى شرف بالضغط على الدكتور رفاعى كامل لتوقيع شهادة الوفاة أو إعلان الوفاة والشهادة أصبحت مثار الشك والريبة . ولذا نراه يحاول إبعاد الشك عنه .

ب- كذلك ، يبدو، أن واقعة إصدار الشهادة لم تكتمل فى بيت الرئيس بمنشية البكرى إنما اكتملت فى قصر القبة ..

وعدت أسأل السيد شعراوى جمعة :

س : يجوز أن سامى شرف قام بهذه المهمة باعتباره وزيراً لشئون رياسة الجمهورية وضمن واجباته تقع هذه المسئولية .. إنها مسألة إجرائية وروتينية .. ربما قال فى نفسه أمّا أخلّص الشغلانة دى فأخذ الشهادة إلى رفاعى وقال له : إمضى ؟!

جـ : لأ ، ليه ، يعنى حضرتك بتتصور كده ؟ أنا لم أر هذا المنظر، يعنى أنا أناقش إن ممكن تقرير الوفاة يكتب بالقلم ثم يعاد كتابته على الآلة الكاتبة .. يعنى ده احتمال ، وممكن يكتبوه بخط كويس و يتمضى ، وبعدين يكتب بعد كده على الآلة الكاتبة ، ثم همّ كانوا قاعدين مع بعض بيدرسوا و يكتبوا التقرير، فإذا كان قالوا كذا أو كذا فهو حاضر قطعاً فى الوصف أو القرار الخاص بنوع الوفاة موش كده ؟ إنما كون سامى شرف جاب له التقرير يمضيه يبقى معنى كده إن رفاعى ماحضرش الوفاة وماحضرش كتابة التقرير وأنا أشك فى هذا .. ورفاعى طبعاً صديق وراجل كويس ، لكن طول الزمن والواحد بينسى ، ويمكن سامى شرف مش عارف لأنه كان موجود معانا طول الوقت فى قاعة الاجتماعات بقصر القبة ، لكن إذا كان سامى شرف قال إنه أعطى التقرير ــ تقرير

الوفاة ــ لرفاعى ليمضى عليه يبقى أعطى ولو قال ما أعطاش يبقى هو الصادق .. هو الفيْصل يعنى ، لكن أنا أقول استنتاجاتى ..

س : لأ ، سامى شرف قال لا وإنه لا يعرف شيئاً عن هذه المسألة .

جـ : يبقى كده ، هذه النقطة بالذات ماتضربش سامى شرف فى حاجة ، فلو كان أعطى التقرير كان يقول والله أنا أخذت التقرير من الأطباء وأعطيته لرفاعى كامل .. (٣)

س : على كل ، لندع هذا الأمر قليلاً ، ما رأيك فيما أثاره حسن التهامى من التشكيك فى أسباب الوفاة منذ اللحظة الأولى بينما هو آخر من يتصور المرء أن يبدأ هو بالتشكيك ، إذ ذكر لى السيد سامى شرف فى لقائى معه المتقدم ذكره أن التهامى كان يشكك فى وفاة الريّس ، وقال إنه لازم يتشرَّح ..

جـ : لم أسمع هذا الكلام فى بيت الرئيس بمنشية البكرى .

س : لكن سامى شرف أكّد لى ..

جـ : هذا الكلام تردد فى الاجتماع المشترك للجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء .

س : أعرف أنه تردد فى هذا الاجتماع الذى عقد مساء يوم الوفاة فى قصر القبة ..

جـ : فقط فى الاجتماع المشترك ، لكنه لم يتردد فى البيت وأنا فاكر هذه العملية كويس ..

س : توجد دلائل على وجود ارتباك شديد فى بيت الرئيس إثر الإحساس بخطورة حالة الرئيس ، من ذلك مثلاً ما رواه لى فؤاد عبد الحى سكرتير الرئيس ومساعد محمد أحمد فى ١٩٨٦/١١/١٢ (٤) أنه فوجئ بفؤاد زكى سفرجى الرئيس يدخل عليه

(٣) هذا لا يتفق منطقياً لا مع ترتيب الحوادث ولا مع ترتيب الأطباء الوارد فى شهادة الوفاة ، فالثابت من شهادة الوفاة أن صاحب التوقيع الأول د . رفاعى كامل .. فإذن لابد أن يكون قد وقّع أولاً ثم دارت الشهادة بعد ذلك على بقية الأطباء للتوقيع .. ونحن نعتقد أن التقرير الطبى كتبه د . الصاوى حبيب ووقع عليه وأن د . رفاعى كامل اعترض على التوقيع فى بيت الرئيس بمنشية البكرى ، وعندئذ حمل د . منصور فايز الشهادة معه إلى قصر القبة وجرى ما جرى لاستكمال بقية التوقيعات .. وقد آثر الصاوى أن يكون اسمه هو الرابع فى الترتيب على الرغم أنه الطبيب المسئول عن علاج عبد الناصر .. ، وقد ظل الصاوى حبيب فى بيت الرئيس ولم يذهب إلى قصر القبة .

(٤) لقاء مسجل مع فؤاد عبد الحى ، أمين عام وزارة الخارجية حالياً ، والسكرتير الخاص لجمال عبد الناصر من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٧٠ ، فى ١٩٨٦/١١/١٢ بمكتبه بميدان التحرير .

ملتاثاً طالباً أنبوبة أكسجين للريّس وكان ذلك حوالى الساعة الخامسة والنصف ، وأن الأكسجين كان بالصيدلية فى الدور الثانى من مبنى السكرتارية ولم يكن الدكتور الصيدلى صلاح جبر المشرف على الصيدلية موجوداً وكانت مغلقة والمفتاح معه ، أو لم يكن موجوداً ، واضطر بمساعدة بعض أفراد الحرس إلى كسر باب الصيدلية لإخراج أنبوبة الأكسجين وحُملت إلى فوق .. غرفة الرئيس ..

لقد أدرك فؤاد عبد الحى بمدى خطورة حالة الرئيس من هذا الطلب ، بالإضافة إلى أنه شاهد عدداً من الأطباء يهرولون و يدخلون من البوابة و يصعدون على الفور إلى غرفة الرئيس .. هذه المظاهر المقلقة يبدو أنها هى التى دفعته للاتصال بكما أنت والسيد سامى شرف .. هذه المظاهر من الارتباك والهرولة من الممكن أن تؤدى وحدها إلى فشل كل الجهود التى كانت تبذل لإنقاذ حياة الرئيس .

جـ : فى الواقع إحنا ، أنا وسامى شرف ، لما وصلنا البيت ، لقينا فؤاد عبد الحى فى الجنينة وقال الريّس تعبان فوق اطلعوا شوفوه ..

س : ألم تشعر سيادتك وقتئذ أن بيت الرئيس عبد الناصر لا ضابط له ولا حاكم ، فرئيس الجمهورية أصيب بتعب مفاجئ فى هذا اليوم وقبلها تردد أنه متعب .. ألم يسأل أحد طوال الأيام التى سبقت هذا اليوم .. عن الريّس و يقول .. هو الريّس عنده إيه .. ؟ كل المسئولين ورفاق عبد الناصر كتبوا واعترفوا أن الرئيس قال لهم إنه متعب ، وهم بدورهم سجلوا مظاهر هذا التعب .. هذا اليوم واليوم الذى سبقه .. ثم بعد ذلك يضطر سفرجى إلى البحث عن أنبوبة أكسجين وتحطيم باب صيدلية بيت الريّس لإخراج الأنبوبة .. هذا لا يحدث لأقل مواطن مصرى ..

جـ : نعم ، كان تعبان ، لكنه كان حاضر المؤتمر والدليل على كده إنه صمم أنه يطلع المطار و يودع أمير الكويت ..

س : على كل هذه واقعة .. أمّا الواقعة الثانية فمن حقك أن تفهمها على الوجه الذى يحلو لك ، لقد سألت د . الصاوى حبيب : بما أنك كنت طبيبه الخاص وأدركت

وشخَّصت حالته بأنها جلطة فى الشريان التاجى أو ذبحة أو شىء من هذا القبيل .. ألم يكن من الطبيعى نقله على الفور من المطار إلى غرفة العناية المركزة .. بمستشفى المعادى العسكرى ؟!

جـ : تقصد نقله من البيت ؟

س : ممكن من البيت ينقل على الفور ، وكانت جديدة وحديثة وعلى أعلى مستوى ..

جـ : أين كانت هذه الغرفة للعناية المركزة .. فى أى مستشفى .. ؟

س : قلت له فى مستشفى المعادى التابع للقوات المسلحة ، وكان يرأس قسم القلب هناك الدكتور أحمد طلعت .. ، فأجابنى الدكتور الصاوى حبيب : أنه لم تكن توجد فى مصر غرفة عناية مركزة فى ذلك الوقت .

جـ : لا توجد غرفة عناية مركزة ؟!

س : هذا ما قرره د . الصاوى حبيب ثم اتضح لى بعد ذلك أنه كانت توجد أربع غرف عناية مركزة بمستشفى المعادى للقوات المسلحة ..

جـ : **ممكن تكون ضربت « لخمة »** ..

س : استنكرت ذلك وسألت : يحدث هذا مع طبيب رئيس الجمهورية ؟ لا ..

جـ : **وأضاف السيد شعراوى جمعة :** و بعدين الصاوى أيامها (سنة ١٩٧٠) هل كان حصل على دبلومة القلب والاّ لسه .. ؟ هوه كان بيشوف الريّس وكان بالطبع أول ما يطلب و يستنجد ، يستنجد بالأطباء اللى بيشوفوا الريّس ..

— ولم أفهم بالضبط العلاقة بين سؤالى و بين ما قاله السيد شعراوى جمعة ، و يبدو أنه كان يجيب على سؤال لم أطرحه بعد ، وهو: هل كان د . الصاوى حبيب مؤهلاً هو وزملاؤه لعلاج الرئيس جمال عبد الناصر .. ؟ وعلى كل فقد قلت للسيد شعراوى جمعة بأن الدكتور الصاوى لم يحصل على دبلوم فى أمراض القلب .. ، فعلق قائلاً : إنه كان مكتوب إنه حاصل على دبلوم القلب وموش عارف إيه ، وكان مكتوب أخصائى قلب و باطنى ، وربما كان يقصد السيد شعراوى جمعة تلك اللافتات المعلقة على العيادات ، و بطاقات الأطباء المكتظة بالألقاب العلمية والشهادات من كل ملّة ودولة .. ، وأضفت موضحاً للسيد

شعراوى جمعة بأن الدكتور الصاوى حبيب رفع دعوى ضد السيد صلاح الشاهد كبير الأمناء لرئاسة الجمهورية فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر ضد ما اتهمه به من أنه كان غير متخصص وأنه طبيب أطفال وغير مؤهل لعلاج رئيس الجمهورية وكان مقدار التعويض الذى يطالب به د . الصاوى حبيب ٥٠ ألف جنيه مصرى ، واتهمه بالقذف فيما نشره بجريدة « الأهرام » المصرية ومجلة « الوطن العربى » الباريسية .. وقد ورد بصحيفة الدعوى التى رفعها الدكتور الصاوى حبيب ، حصر بالمؤهلات الحاصل عليها ، وليس من بينها دبلوم فى القلب .. وقد حُكم فى هذه الدعوى ببراءة السيد صلاح الشاهد وبراءة رؤساء تحرير الصحف التى نشرت ما ادعى بأنه قذف ضده (٥) .

— ثم أعدت سؤال السيد شعراوى جمعة مرة ثانية عن السبب الذى حدا بالدكتور الصاوى حبيب وهيئة الأطباء المعالجين للرئيس بالامتناع عن نقله إلى غرفة العناية المركزة بمستشفى المعادى للقوات المسلحة .. نعم ما السبب .. ؟

جـ : فى البداية .. لابد أن يستدعى الطبيب المعالج والأطباء المشاركون معه فى العلاج ليقولوا رأيهم أن ينقل الرئيس إلى غرفة العناية المركزة بالمعادى فهذا قرار سياسى وليس قراراً طبياً ، ودى عملية مش سهلة أن ينقل جمال عبد الناصر إلى هذا المكان .. عايز بجانب القرار الطبى قرار سياسى وهذا ما لا يجرؤ الدكتور الصاوى حبيب أن يصدره من تلقاء نفسه .

س : إذا أصيب أبى أو أخى أو ابنى بتعب مفاجئ لابد أن أسأل الدكتور فلان والدكتور علآن .. فإذا شعرت بأن التعب يتزايد فلابد أن أطلب نقله فوراً إلى المستشفى ..

جـ : لم يخطر هذا على بال أحد ، وأول شىء خطر على بال الدكتور الصاوى حبيب هو أنه يستدعيهم : د . منصور فايز وزملاءه وده عمل طبيعى جداً لأن ده رئيس الجمهورية ..

---

(٥) محكمة جنايات القاهرة ــ الدائرة العاشرة ، القضية رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٨٧ جنح بولاق ، ٨٨ لسنة ١٩٨٧ مصر جنايات ، التى نظرت فى جلسة ١٩٨٨/١/١٧ وجلسة ١٩٨٨/٢/٣ .

س : كنت أنت وزيراً للداخلية ونائباً لرئيس الوزراء وأميناً للتنظيم السياسى ومن الشخصيات البارزة فى الحركة الناصرية .. ألم يتبادر إلى ذهنك أن تكون وفاة الرئيس بهذه الطريقة وعلى هذا النحو إشارة إلى وجود شيء غير عادى .. شخص مزروع ــ مثلاً ــ فى بيت الرئيس جمال عبد الناصر .. ؟

جـ : لم يخطر ببالى هذا مطلقاً ، وبعدين الأفراد المقربين من عبد الناصر والذين يتحركون معه باستمرار مثلاً : محمد أحمد ، محمود فهيم ، فؤاد عبد الحى .. وكل الناس دى على ثقة كبيرة جداً وإخلاصهم للريّس حسب ما الواحد يعرف ، إخلاصهم كبير ، ومش ممكن حدّ منهم بالذات وبالنسبة لأمن الرياسة أنا لست مسئولاً عنه .. لكن أين أمن البيت ؟ هذه الأشياء من اختصاص أمن الرئاسة : الأفراد والتفتيش عليهم .. كل هذه المسائل مسئولية أمن الرئاسة ..

س : مسئولية محمد أحمد سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر منذ قيام الثورة ؟

جـ : لأ ، لأ سامى شرف مسئول أمن الرياسة وسامى حريص جداً فى النقطة دى ، وبقية الناس اللى فى بيت الريّس قدام جداً ..

س : لأ ، مثلاً هناك شخصيات تاريخها متلخبط مثل الدكتور العاطفى وما تردد عنه أنه كان يدلّك الريّس و . . .

جـ : الدكتور العاطفى لم يدخل بيت الريّس ، وأنا سألت محمد أحمد ومحمود فهيم عن الكلام ده فقالوا لا نعرفه ولا شفناه لأن اللى كان بيدلّك الريّس هو محمود فهيم .. ود . . . وده

س : تقصد زينهم .. ؟

جـ : زينهم آه ، يمكن زينهم والاّ زينهم كان أيام السادات ، ما أعرفش ، لكن أساساً كان الدكتور محمود فهيم والعاطفى ده مش عارف خالص جه منين وإيه الدافع إنه يحكى الحكاية دى .. ومش عارف الراجل ده لسه فى السجن والاّ خرج منه .. (٦)

---

(٦) المعروف أن هناك قصة منتشرة عن موت عبد الناصر بالسم نتيجة لتدليك بدهان مسموم قام به د . العاطفى ، وقد قبض عليه بتهمة التجسس لصالح إسرأئيل . ويقال إنه قد صدر كتاب عن هذا الموضوع مؤلفه هو د . العاطفى .

س : الدكتور العاطفى حسب أقوال أخيه المحاسب محمد خليل العاطفى (٧) مازال موجوداً فى مزرعة ليمان طرة ..

جـ : بس هذا الرجل أكيد عايز يعمل هالة حول نفسه ..

س : أصل الموت بالسم و بالتحديد بالتدليك قصة شائعة .

جـ : طبعاً من الممكن واحد بالشكل ده بما إنه عميل لإسرائيل ، ممكن تكون إسرائيل مجنداه ومن ضمن واجباته إنه إذا وصل لبيت جمال عبد الناصر يدلكه و يعمل كذا وكذا ، لكن هوه أكيد لم يصل إلى بيت الرئيس عبد الناصر حسب معلوماتى .

س : الواقع أن ما يثير الانزعاج أن حكاية السم واحتفاظ المخابرات المصرية بكمية منه ، واستخدامه بعد ذلك فى انتحار المشير عامر ، وما قرأته من مذكرات د. أحمد ثروت ــ طبيب الرئيس قبل الصاوى حبيب ــ المحفوظة لدى ابنه الدكتور محمد ثروت ، حيث ورد فى هذه المذكرات ملاحظات قوية عن السم وفيها إشارة واضحة لــ (٨) من الناس أن يبلغ الرئيس بالحذر من مصافحة صلاح نصر والا كان أحدهم يقصد تسميمه بالمصافحة وعندئذ ينفذ السم من الجلد إلى الدورة الدموية .

جـ : من الذى يبلغ الرئيس .. ومن أحدهم .. ؟

س : هذا ليس واضحاً فى المذكرات .. ثم ما نشر عن زيارة الرئيس عبد الناصر للمغرب ومحاولة تقديم طعام مسموم له . ثم المؤامرة على وضع السم فى طعام مرسل من محلات جروبى إلى بيت الرئيس فى مناسبة ما .. أو ما يعرف بمؤامرة عمال جروبى ، من كل هذا يتضح أن تسميم الرئيس عبد الناصر كان موضوعاً مطروحاً على ساحة القوى المعادية لعبد الناصر وللناصرية ..

جـ : أنا عاوز أقول لك حاجة ، الدكتور ثروت ده كان صديقى وابنه زى ابنى بالضبط (٨) ، وكان الدكتور ثروت الأب بيحب الريس جداً ، وكان بيمشى

---

(٧) فى لقاء مع المحاسب محمد خليل العاطفى ، المقيم ٦ ش جواد حسنى بالقاهرة ، قرر أن شقيقه مازال مسجوناً فى مزرعة ليمان طرة بتهمة التجسس وأنه مظلوم (!!) (المقابلة تمت فى ١٤/٢/١٩٨٨) .

(٨) الابن الوحيد للسيد شعراوى جمعة لقى مصرعه فى حادث سيارة منذ عامين .

و يقول : « أنا خايف يقتلوه » .. كان يقول هذا و يردده بعد أن أبعد عن الريّس .. ولا يوجد أحد يريد أن يقول لماذا أبعد .. ؟

س : هل أبعد بسبب زيارته للمشير عامر سنة ١٩٦٧ أثناء حصاره ؟

جـ : لأ .. هذه الزيارة لم يكن لها أى تأثير على الإطلاق ، إنما أبعد لأن حالته الصحية ما كانتش هيّه .. ! (٩)

س : طبعاً هذا ممكن ..

جـ : بس هو ظل حتى آخر لحظة ييجى لنا و يقعد مع الريّس ، وهو رجل مخلص جداً ، والريّس أدرك أن حالته الصحية تعبانة لكن لم يجرؤ أحد على مصارحته بهذا لأنه صديق وأخ ..

س : عندما اجتمع مجلس الوزراء واللجنة التنفيذية العليا .. كيف قدم تقرير الوفاة إلى المجتمعين ؟ أعرف أنك كنت مشغولاً بتجميع الوزراء ؟

جـ : فى الواقع كانت الناس قد بدأت تتوافد وجاء أنور السادات ورأس الاجتماع و بدأ يشرح العملية وترتيبات الجنازة وقد استغرق هذا الموضوع وقتاً طويلاً لأنه كان يوجد رأيان ، رأى يقول بأن تخرج الجنازة من الأزهر ، ورأى آخر يقول بأن تخرج الجنازة من مجلس قيادة الثورة بالجزيرة ، كان رأيى أن تخرج من مجلس قيادة الثورة وكان رأى حمدى عاشور(١٠) أن تخرج من الأزهر وخرجنا وأجرينا معاينة للمكانين وكان معنا اللواء حسن طلعت مدير الأمن العام ، وقد تمت هذه المعاينة بعد الاجتماع ، لكن أثناء الاجتماع يُخيّل إلىَّ أن السادات قال : هاتوا التقرير واستدعوا الأطباء وجاء الدكتور منصور فايز وقرأ التقرير .

س : هل تتذكر أن مناقشات قد جرت حول هذا الموضوع ؟

جـ : آه ، والله أتذكر أن الكلام كان من حسن التهامى .

---

(٩) يقال إن حالة الدكتور أحمد ثروت الصحية لم تكن هى السبب الرئيسى فى الإبعاد إنما لأنه فقد سيطرته على بعض تصرفاته ، و يرجع هذا ــ فيما يقال أيضاً ــ إلى الإدمان !! وهذا بالطبع يعنى أن كلامه عن السم لا قيمة له !!

(١٠) حمدى عاشور من الضباط الأحرار، كان مديراً للشئون العامة للقوات المسلحة ثم محافظاً لكل من دمياط والإسكندرية ، ووزيراً فى أربع وزارات أخرها على إثر انقلاب مايو سنة ١٩٧١ (١٩٧١/٥/١٤ برئاسة د . محمود فوزى) .

س : هنـاك واقعة حول هذا وهى أن كبير الأطباء الشرعيين رفض إصدار شهادة وفاة طبـقـاً لإعـلان الـوفاة الموقع عليه خمسة من الأطباء وبموجب هذه الشهادة يصرح بـدفن الجثمان .. هذه الشهادة ــ كما تعرف ــ ضرورية لدفن أية جثة ، وطلب كبير الأطباء الشرعيين تشريح الجثة شرطاً لإصدارها .

جـ : أنـا سمعت الكلام ده ، لكن الحقيقة أنا لم أدور فى دوامة هذا الحديث ، لكن أنا عايز أسأل سؤال : هو أى واحد يموت لازم تتشرَّح جثته .. ؟! (١١)

س : لا تُشرّح جثته إذا كانت الوفاة طبيعية ولا شبهة جنائية فيها ..

جـ : يـعنى أنا النهاردة جمال عبد الناصر مات وحوله خمسة من الأطباء كلهم قالوا إنها جـلـطـة أو غيبوبة سكر ، لكن حدث اللى حدث ، وقالوا إن هذا موت طبيعى ، مـافيـش حـد يـقـدر يـقـول غير كده ، فيه رعاية طبية ، وفيه أزمة جاءت له قبل كده ، وفيه علاج قبل كده والمرض عنده له تاريخ وليس مفاجئاً ..

س : لكن ، على الرّغم من هذا ممكن الواحد يأخذ حقنة هواء مثلاً ؟

جـ : ممـكـن ، بـس صـعـب ، مين ح يـقـتـرب من جمـال عـبـد الـنـاصر و يـعـطى له حقنة هواء .. ؟

س : عدد من الأطباء دخلوا الرياسة بطرق مختلفة ، فيه واحد دكتور دخل عن طريق الـدكـتـور أحمد ثروت عندما كان طبيباً للرئيس .. ، وعن طريق الدكتور ثروت دخل واحد ثانى ، وعن طريق الثانى دخل واحد ثالث .. وهكذا !

جـ : لأ .. ده مش ممكن .. ، و بعدين دول دخلوا يعملوا إيه .. ؟

س : استشــارات ..

جـ : لأ ، ده صـعـب ، لأن الـدكـاتـرة اللى كـانـوا بيدخلوا للريّس هم د . ثروت ثم الـصـاوى حـبيب وهما طبيبان مسئولان ، ومنصور فايز وزكى الرملى ورفاعى .. وغير كده مش ممكن طبيب صُغير يدخل عند الريّس يشوف عنده إيه و يكشف

---

(١١) كـان طـلـب كبير الأطباء الشرعيين تشريح الجثة ــ فى حد ذاته ــ دليل على الشك فى أسباب وفاته ، إذ يبدو أن كبير الأطبـاء لم يـأخذ ما جاء فى تقرير الأطباء الخمسة مأخذ الجد .. إنما رأى أن هناك أسباباً أخرى قد تكون هى السبب فى موت الرئيس .. !!

عليه .. ، ما أعرفش ، يعني هي النقطة دي بالذات علشان تبقى مدروسة كويس ومين اللى بيدخل ومين اللى بيخرج هوسامى شرف .. [١٢]

س : أعتقد هناك نقطة ضعف فى أجهزة أمن الرياسة ؟

جـ : طيب ومحمد أحمد .. ؟ [١٣]

س : محمد أحمد عليه علامات استفهام كثيرة وعلى كل حال دعنى أخبرك بأن من الأطباء الذين دخلوا بيت الرئيس جمال عبد الناصر وعالجوه ، عملوا أيضاً مع السادات وانضموا إلى جمعيات الروتارى ونوادى الليونز وسافروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

جـ : أيام جمال عبد الناصر .. ؟

س : بعد ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ولا أريد أن أذكر أسماء ، لكن منهم على سبيل المثال أحد الأطباء الذين عالجوا عبد الناصر وظلّوا معه إلى حين وفاته !

جـ : لكنك لا تستطيع اتهامه ..

س : ولذا لم أذكر اسمه .. ، وعلى كل فلنعد إلى موضوعنا ، ألم يُثر فى اجتماع مجلس الوزراء وأعضاء اللجنة التنفيذية العليا مساء ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ أسباب وفاة عبد الناصر أو الشك فى هذه الأسباب .. وأنت نفسك ألم تتساءل بينك وبين نفسك عن هذه الأسباب .. وهل هى معقولة أم لا .. ؟

جـ : لم يخطر ببالى على الإطلاق شك فى هذا الموضوع ، صحيح أن أول من تكلم فى هذا الموضوع هو حسين الشافعى وهو أول من أثاره .. هذا فى الحقيقة ، وحدث هذا بعدما مات السادات يمكن ، قال إن اللى قتله واللى سمّه هو أنور السادات لأن له مصلحة فى هذا ... إنما قبل كده ما حدش فكّر فى هذا الموضوع .

وإلى هنا تنتهى شهادة السيد شعراوى جمعة ..

---

(١٢) قرر سامى شرف فى لقاء حديث معه بتاريخ ١٩٨٨/٣/٢٦ ببيته بمصر الجديدة أن العملية الطبية كلها واختيار الأطباء مسئولية محمد أحمد سكرتير الرئيس .

(١٣) بدأت أسئلة السيد شعراوى جمعة تزيد .. لم يعد يجيب كثيراً ، أصبح يسأل أكثر مما يجيب !!

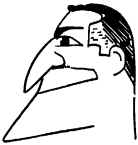

شهادة الوزير محمد أحمد

س : أين كنت يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ يوم وفاة الرئيس جمال عبد الناصر . . ؟

جـ : كنت [1] مريضاً فى هذا اليوم وقلت فى نفسى إنه عندما تنتهى المؤتمرات الواحد يرتاح ، لكن الرئيس جمال عبد الناصر الله يرحمه كان لمّاح قوى ولاحظ أننى تعبان ، من طول العشرة بيعرف إمتى أكون تعبان وإمتى مش تعبان ، كان يبصّ (ينظر) فى عينى يعرف كل حاجة ، أنا مثلاً فى البيت بنتى تقول لى : إنت بتبصّ فى عينيه فقلت لها : أنا وظيفتى أبصّ فى عنيه (عينىْ عبد الناصر) لـمّا أبصّ فى عنيه أعرف إيه حالته وأتكلم والاّ لأ ، من عنيه أعرف إيه « المود » بتاعه ، فكان ساعة ما أبصّ له كده ، يقول لى : انت عاوز تقول حاجة ؟ أقول له : لأ يا فندم ، وأشوفه مشغول يقول لى : إنت عاوز تقول حاجة ،

(١) السيد **محمد أحمد** ـ سكرتير خاص الرئيس جمال عبد الناصر فى الفترة من ١٩٥٣ إلى حين وفاته فى ١٩٧٠/٩/٢٨ ، ثم وزيراً للإدارة المحلية فى ١٩٧٠/١١/١٨ ، ثم وزيراً لشئون رئاسة الجمهورية فى ١٩٧١/٥/١٤ ، ثم وزيراً فى اتحاد الجمهوريات العربية الذى أعلن قيامه فى ١٩٧١/٤/١٧ ، بين كل من مصر وسوريا وليبيا « على أن ينضم السودان الشقيق إليهم فى أقرب فرصة تمكنه منها ظروفه الخاصة » ، وكان هذا الاتحاد تنفيذاً وامتداداً لمقررات دول ميثاق طرابلس فى ١٩٧١/١١/٢٢ ـ وقد جرت هذه الشهادة فى بيته مساء يوم ١٩٨٨/٤/٢ بالقاهرة .

• محمد أحمد •

فأرد عليه : بس سيادتك شوف أعمالك و بعدين لمّا تخلص أقول لسيادتك اللى عاوز أقوله .. كان فيه لغة مشتركة بيننا ، وقد لاحظ أننى تعبان ، والواقع أنا رحت له قبل التوديع الأول بنصف ساعة أو ثلاثة أرباع ساعة (٢)

س : يعنى إنت رحت له البيت قبل ذهابه إلى المطار فى التوديع الأول .. ؟

جـ : طبعاً .

س : هل كنت فى بيت الرئيس عبد الناصر بمنشية البكرى حوالى الساعة التاسعة صباحاً .. !

جـ : غالباً قبل الساعة التاسعة صباحاً .

س : عندما ذهبت إلى البيت هل رأيته مباشرة .. ؟

جـ : أيوه ..

س : هل كان قد ارتدى ثيابه ؟

جـ : أيوه ..

س : هل رأيته وهو ينزل السلم الداخلى ؟

جـ : أيوه ، وكان نادراً ما يستعمل المصعد فى النزول .. ، كان المصعد يستعمل فى الصعود فقط بالنسبة له .

س : إذن فقد رأيته صباح ذلك اليوم .. كيف كان يبدو . ؟

جـ : كان يبدو على ما يرام ، إلا أنه كان يبدو مرهقاً ، وكنا قبل هذا بحوالى عشرة أيام فى مرسى مطروح علشان يستريح يومين أو ثلاثة ، لكن القذافى جه ، وكانت فيه أزمة بينه و بين زملائه ، وقعد القذافى من الساعة العاشرة صباحاً حتى الساعة السابعة مساء .. لم يتركه ، حتى عندما جاءت الساعة الثالثة قال للريس : مش ح تغدينا ؟ وحتى على الغداء فإن القذافى لم يترك عبد الناصر .. وأخيراً قال لهم عبد الناصر : ده مش شغل ثوار ولا سياسيين .. وصارحهم بقسوة

---

(٢) التوديع الأول هو توديع الملك فيصل وكان حوالى الساعة ٩،٣٠ صباحاً يوم ١٩٧٠/٩/٢٨

وقال لهم : خدوا بعضكم وروّحوا .. وكانت الساعة وصلت إلى الثامنة مساء تقريباً ..

س : كان ده قبل مؤتمر الهيلتون ؟

جـ : أيوه ، يوم ١٩ سبتمبر على ما أعتقد .. ، ونهض وقال لى أنا ح أقوم أستريح دلوقتى ومش عايز أى حاجة تقلقنى .. وهو كان يحب يهزر ، وقال لى لو حدّ صحّانى ح أحطك فى السجن ، وبعد قليل فى نفس الليلة أو ثانى يوم على ما أعتقد جاءت لنا برقيات أيلول الأسود التى كان قد بدأ فى الأردن ، فأنا طرقت عليه الباب علشان أبلغه ، وبدأ يرتدى ثيابه على طول ، ونزلنا ، وأذكر تعبيره واحنا جايين فى السكة من مرسى مطروح « أنا دلوقتى بأسابق الموت » فيه شيوخ وأطفال ورجال بيموتوا هناك فى عمان .. عايزين نوقف المجزرة دى ..

س : فى العادة كنت بتركب إلى جانبه ؟

جـ : نعم ، فى أغلب الأوقات كنت أركب إلى جانبه إلا إذا كان فيه أحد من الضيوف أو أحد النواب فكان يركب معاه إلى جانبه ، أو طالب مثلاً وزير معاه وعاوز يخلص معاه شغل فى الطريق .. إنما فى العادة وفى كل وقت أنا كنت أركب إلى جانبه ..

س : هل حضرتم من مرسى مطروح إلى القاهرة مباشرة . ؟

جـ : لأ ، ركبنا العربية من مرسى مطروح ووصلنا إلى الإسكندرية واستراح فى الإسكندرية ساعة أو ساعة ونصف وبعد ذلك أكملنا الرحلة إلى القاهرة .

س : هل فى مثل هذه الرحلات يرافقكم طبيب أو سيارة طبية . ؟

جـ : فى العادة تبقى فى عربية بها طبيب مع الركب ..

س : هل كان فى هذه العربة الدكتور عبد المجيد لطفى ؟

جـ : لأ ، كان فيه الدكتور ثروت والدكتور طه عبد العزيز وكان معانا الدكتور الصاوى حبيب .. ، وكان الأول الدكتور ثروت الله يرحمه أو أى طبيب من أطباء الرئاسة والطقم الثانى زى ما تقول « Stand by » على أهبة الاستعداد .

س : ألم تكن هناك عربة إسعاف مجهزة .. ؟

جـ : كانت عربة الإسعاف المجهزة موجودة فى آخر الركب ..

س : هل عربة الإسعاف تصحب الركب فى المسافات الطويلة فقط ؟

جـ : نعم ، وهى عربة ستيشن ، وأتذكر أنه فى الفترة التى كنا فيها بالإسكندرية للراحة جاء السيد عبد اللطيف بغدادى زار الريّس وقعدوا مع بعض واتكلموا شوية (٣) ، ثم بعد ذلك واصلنا رحلتنا إلى القاهرة ، وكانت الاستعدادات قد اتخذت لعقد المؤتمر العربى فى الهيلتون لوقف مذبحة أيلول فى عمان .. ولذا فقد مررنا على بيت الرئيس عبد الناصر وأخذنا ثيابه ومتعلقاته واتجهنا إلى الهيلتون مباشرة .

س : نفهم من هذا أن الدعوة إلى عقد المؤتمر بدأت من مرسى مطروح ؟

جـ : هذا ما حدث بالضبط ، وكان الرئيس منذ وصولنا إلى الهيلتون لا يذهب إلى فراشه إلاّ فى الرابعة صباحاً ..

س : هل مكث الرئيس ناصر طوال فترة انعقاد المؤتمر فى الهيلتون .. أى لم يذهب للمبيت فى البيت بمنشية البكرى ؟

جـ : لا ، كنا سوياً فى الهيلتون فى الدور الـ ١١ وكنت إلى جانبه دائماً .

---

(٣) أرسل عبد اللطيف البغدادى رسالة إلى الصحفى مصطفى أمين نشرت فى ١٩٨٨/٥/٢٠ أن العلاقات بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر عادت فى يناير سنة ١٩٧٠ بعد أن انقطعت عندما استقال من منصب نائب رئيس الجمهورية عام ١٩٦٤ ، وبدأت العلاقات تتحسن تدريجياً ، وأن عبد الناصر قال له إنه يريد أن يتفرغ للمعركة وبناء الجيش ويريد أن يوليه منصب نائب رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء فى الوقت نفسه ، وذكر عبد اللطيف البغدادى فى رسالته أن المرحوم عبد السلام الزيات نائب رئيس الوزراء وأحد أشد المقربين للرئيس السادات ذكر فى ذلك الوقت أن الهدف الحقيقى من فتح خزانة عبد الناصر السرية بعد وفاته هو سرقة القرار الذى كتبه عبد الناصر بتعيينه ــ أى البغدادى ــ نائباً لرئيس الجمهورية ورئيساً للوزراء ، وقد أشار الزيات فى مذكراته التى نشرها فى جريدة الأهالى خلال عامى ١٩٨٨/٨٧ إلى هذه الوقائع بالتفصيل .

وفى جريدة الأخبار الصادرة فى ١٩٨٨/٥/٢٣ تساءل مصطفى أمين عن الذى سرق من خزانة عبد الناصر السرية قراره بتعيين عبد اللطيف بغدادى نائباً لرئيس الجمهورية ورئيساً لمجلس الوزراء .. وبالطبع فإن مصطفى أمين يشير بهذا إلى سامى شرف وزير الدولة لرياسة الجمهورية ومدير مكتب الرئيس للمعلومات .. وهذه هى المرة الأولى التى يثار فيها ما كانت تحتويه خزانة عبد الناصر السرية .

والمهم هنا أن شهادة السيد محمد أحمد تثبت عودة العلاقات الحميمة بين ناصر والبغدادى التى كانت مقطوعة منذ عام ١٩٦٤ وأن هذه العلاقات لم تعد إلاّ فى يناير من عام ١٩٧٠ !

س : من هم الأفراد الذين كانوا برفقتك عندئذ ؟

جـ : كان معنا الأخ محمود فهيم والأخ فؤاد عبد الحى و بعض ضباط الحراسة .

س : ألم يكن فى صحبة الرئيس أحد من الخدم أو السفرجية أو الطباخين ؟

جـ : لأ ، لكن جرت العادة ، أننا كنا و بطريقة غير محسوسة ندفع الدكتور صلاح جبر للكشف على الطعام الذى يقدم للرئيس لأننا كنا نعرف ما يمكن أن يحدث .

س : هل كان الدكتور صلاح جبر هو المسئول عن صيدلية البيت فى منشية البكرى . ؟

جـ : أيوه .. وهو فى الوقت نفسه كان مسئول عن صيدلية الرياسة فى القبة وصيدلية المخابرات ، وكانت له خبرة كبيرة فى الكشف عن الطعام وهذه الخبرة هى التى جعلتنا نعهد إليه بالكشف على الأكل ، وفى بعض الأحيان كنا نجعله يكشف على الأكل فى البيت .. صحيح الولاد اللى معانا عندنا عنهم معلومات كافية ومطمئنين لهم تماماً ولهم مدد طويلة فى الرياسة ، لأن الرئيس ناصر كان من النوع الذى لا يميل إلى تغيير المحيطين به ، كان يحب نوعاً من الاستقرار يكون سائداً فى البيت .. وكان إذا أخطأ أحد يقول لى : وجّهه ، إنما ما كانش يحب يسيبه أو يغيره ..

س : هل كان عبد الناصر يتعاطى حقن الأنسولين صباحاً ومساء ؟

جـ : لأ ، دى الدكتور الصاوى هو اللى كان بيدخل يعطيها له (٤) ، إنما أنا أعتقد أنه فى هذه الأوقات لم يكن يأخذ أنسولين ، كان يتعاطى الحبوب وأحياناً الأنسولين ، وأحياناً أخرى كان يتعاطى الحبوب مع الحقن .

س : هل حدث خلال فترة المؤتمر بالهيلتون ما يستوجب استدعاء أحد الأطباء ؟

جـ : لأ ، هو كان كويس فترة المؤتمر ومفيش شك أن مرض السكر يتطلب راحة وعدم تفكير ثم القلب .. والقلب سببه السكر .

س : ألم يكن يشكو من التهاب الساقين ؟

---

(٤) ذكر د . الصاوى حبيب أنه كان يعطى الأنسولين يومياً للرئيس عبدالناصر .

جـ : ده كان برضه بسبب السكر ، فتجد الدم لا يصل إلى الأطراف ، يعنى تجد أطرافه باردة جداً ، إنما كان يتحمل مسئولياته بالكامل بصدق وأمانة ..

س : هل كان يبدو على وجهه عندما يزداد عنده السكر .. أى هل كان لون وجهه يتغير إلى اللون البرونزى .. ؟

جـ : لا ، إنما كان يعرق ، لكن مفيش أى نوع من الأعراض الأخرى تظهر عليه ، كان بيعرق كتير ..

س : هل تعتقد أن التعب والإرهاق فى اليوم السابق ليوم الوفاة ، أى يوم ٢٧ / ٩ / ١٩٧٠ كان له تأثير ما على صحته ؟

جـ : هذا لا شك فيه . كانوا قد طلبوا منه ألاّ يعمل إلا أربع ساعات لكنه كان يعمل ١٤ ساعة .. كنا نخرج من الاجتماع فى الهيلتون الساعة واحدة ونصف صباحاً فيلتفت و يقول للفريق فوزى : يا فوزى ما تنساش التمام بتاع الساعة ٦ صباحاً (٥)

س : قلت سيادتك إنك كنت فى منشية البكرى صباح يوم ٢٨ سبتمبر حوالى الساعة التاسعة وكانت طائرة الملك فيصل سوف تطير بعد حوالى ١٥ دقيقة .. وقابلت ــ كما ذكرت ــ الرئيس عبد الناصر وهو نازل السلم وكان يبدو عليه الإرهاق .

جـ : لكنه كان بيتصرف عادى وراح المطار عادى ..

س : هل ركبت بجانبه ؟

جـ : أيوه وقام بتوديع الملك فيصل فى المطار ..

س : ألم تلاحظ عليه شيئاً غير عادى .. أو لم يقل لك شيئاً ؟

جـ : قال لى فى السيارة الواحد عايز يستريح بقى ، فأنا رديت عليه وقلت له فعلاً يا فندم لازم حضرتك تستريح يومين أو تلاتة ، سواء هنا فى مصر أو أى حتة تانية .. إنما كان عادى فى توديعه للملك فيصل ، وزى العادة استعرض حرس

---

(٥) كان عبد الناصر حريصا على أن يتلقى تقريراً صباح كل يوم الساعة السادسة صباحاً من الفريق فوزى عن العمليات اليومية خلال حرب الاستنزاف .

الشرف ووصل الضيف لسلم الطيارة ورجع ووقف مع المودعين بطريقة عادية جداً.

س : هل اتبعت نفس خطوات البروتوكول خطوة خطوة . ؟

جـ : أيوه ، إلى أن تحركت الطائرة وركب هو سيارته وعاد إلى البيت .

س : هل عدت معه إلى البيت فى منشية البكرى ؟

جـ : أيوه ، وبعدين هو قال لى لازم تروّح تستريح .

س : أين قال لك هذا الكلام .. فى البيت أم فى السيارة ؟

جـ : فى السيارة ..

س : ألم يُبد أية ملاحظات أخرى ؟

جـ : لا ، إنما كان هو مرهق وعايز يستريح ..

س : متى كان هذا بالتحديد .. ؟

جـ : قبل الساعة الحادية عشرة ، ولا يمكن القول أنه كان غير قادر على التحكم فى تصرفاته أو حركات يديه .. (٦)

س : هل صعد فوراً إلى غرفته فى البيت . ؟

جـ : أيـــــوه ..

س : هل ركب المصعد .. ؟

جـ : لا أتذكر هذا ، إنما على ما أعتقد طلع بالأسانسير لأن هو بيستخدم الأسانسير فى الصعود لكن فى النزول بيستعمل السلم ..

س : ماذا فعلت بعد ذلك .. هل ذهبت إلى بيتك لتستريح ؟

جـ : كان معانا فؤاد عبد الحى السفير بالخارجية الآن .. وكان مساعدى ، قلت له يا فؤاد خليك إنت مع الريّس وبعد ذلك أخذت سيارتى وذهبت إلى بيتى .. إلى أن تلقيت مكالمة من فؤاد عبد الحى الساعة الرابعة تقريباً .

(٦) عدم التحكم فى التصرفات أو حركات اليدين من علامات كومة السكر سواء النقص أو الزيادة ..

س : هل تتذكر بالضبط كم كانت الساعة .. ؟

جـ : الرابعة أو الخامسة بعد الظهر وقال لى إن الريّس باين عليه تعبان قوى وطلبت له الدكاترة دلوقتى فقلت له كلّم بقى منصور فايز وشوف د . الصاوى عندك وشوف الصاوى عايز مين كمان وأنا جاى على طول .. ولبست ونزلت جرى ..

س : متى وصلت بالتحديد .. ؟

جـ : خمسة تقريباً ، خمسة وشوية ، وكان طالع معايا الدكتور منصور فايز .. طلعت ورحت أودته (حجرته) دخلت عليه لقيته بيبتسم وبيقول لى شايف يا محمد الواحد تعبان إزاى ؟

س : هذا يعنى أنك رأيت الريّس قبل وفاته ؟

جـ : نعم قبل وفاته بثوان ..

س : عندما دخلت حجرة عبد الناصر .. من كان موجوداً بها . ؟

جـ : (استدرك قائلاً وبسرعة) (٧) ، كان فيه الدكتور منصور فايز والصاوى وما كانش لسه جه حسين الشافعى ولا أنور السادات ، وموش عارف كان هيكل جه والاّ لأ ..

س : هل كان على صبرى موجوداً .. ؟

جـ : على ما أعتقد كان على صبرى موجوداً وسامى شرف وشعراوى جمعة والفريق فوزى وكان منتظر د . رفاعى كامل الذى لم يكن قد وصل بعد .. (٨)

س : هل جاء الدكتور رفاعى كامل كبير أطباء الجيش وأنت فى الحجرة .. ؟

جـ : أيوه .. وبعدين فى اللحظة دى بدأ الريّس يجيب دماغه كده .. وكان جهاز تنشيط القلب متركب عليه .. وفى هذه اللحظة أدركت أنه مات ..

---

(٧) هذا يعنى أن د . منصور فايز لم يصل إلاّ بعد أكثر من ساعتين .. وأن جمال عبد الناصر كان بين يدىّ د . الصاوى حبيب من الساعة الثالثة و٣٠ دقيقة إلى الساعة الخامسة والربع تقريباً .

(٨) كان السيد سامى شرف وشعراوى جمعة هما أول من وصل من المسئولين إلى حجرة عبد الناصر حيث كانت تجرى عليه محاولات إحداث الصدمة لإعادة النبض إلى القلب وانتظامه .. وبالتالى فلا يعقل أن يصل محمد أحمد بعد ذلك ويرى الرئيس على قيد الحياة ويتحدث إليه .. !!

س : ذكر السيد فؤاد عبد الحى أنه حوالى الساعة الخامسة هرول إليه السفرجى المدعو فؤاد زكى وقال له عايز ين أنبوبة أكسجين من الصيدلية وكانت الصيدلية مغلقة وسادت حالة من الهرولة للبحث عن مفتاح الصيدلية ولـمّا لم يوجد فقد جرى كسرباب الصيدلية وبمساعدة عدد من رجال الحرس أخرجت أنبوبة الأوكسجين وصعدوا بها إلى حجرة الرئيس عبد الناصر.. و يبدو أنهم وصلوا بعد فوات الوقت .. هل تعتقد أن هذه الواقعة صحيحة ؟

جـ : أيـــوه ..

س : الذين كانوا فى حجرة نوم عبد الناصر لم يلاحظوا وجود أنبوبة أكسجين .. هل لاحظت وجودها أنت .. ؟!

جـ : أيوه ، كانت موجودة إلى يمين الفراش أو على شماله ..

س : لقد رسم السيد سامى شرف لى خريطة للحجرة يوم الوفاة وليس بها وجود لأنبوبة الأكسجين .

جـ : أنا شفتها ..

س : أين .. ؟ على يمين الفراش كان الراديو؟

جـ : تبقى كانت على شمال الفراش ..

س : فلنعد إلى ما قبل الوصول إلى منشية البكرى .. لقد تلقيت مكالمة من فؤاد عبد الحى السكرتير الخاص المساعد للرئيس جمال عبد الناصر.. إننى أرجوك أن تتذكر كل شىء بدقة .. هل حضرت على الفور ووصلت قبل الوفاة بلحظة .. ؟

جـ : نعـــم ..

س : هل طلبت منه استدعاء الدكتور منصور فايز عندما حدثك تليفونياً ؟

جـ : نعـــم ..

س : معنى هذا أنه حتى هذه اللحظة .. لحظة استدعائك إلى بيت الرئيس عبد الناصر.. ، وتوقيت هذا كما تقول حوالى الرابعة والنصف أو الخامسة .. ، حتى هذه اللحظة لم يكن أحد قد استدعى الدكتور منصور فايز.. ؟

جـ : ما أعرفش ..

س : معنى هذا أنه عند وصولك إلى بيت الرئيس عبد الناصر لم يكن موجوداً فى حجرته سوى الدكتور الصاوى حبيب ؟!

جـ : لأ ، كان أيضاً موجود الدكتور طه عبد العزيز ..

س : ألم يكن الدكتور رفاعى كامل قد وصل بعد .. ؟

جـ : لأ ..

■ **ملحوظة :**

هذا يعنى أن الدكتور الصاوى حبيب قد انفرد بالرئيس جمال عبد الناصر من الساعة ٣,٣٠ دقيقة إلى حوالى الساعة الخامسة ونصف تقريباً .. فماذا حدث خلال هاتين الساعتين .. وما العقاقير التى أعطاها الدكتور الصاوى حبيب للرئيس جمال عبد الناصر؟

س : قرر الدكتور رفاعى كامل طبيب القلب وكبير أطباء الجيش المصرى أن الرئيس جمال عبد الناصر لم يمت بجلطة فى الشريان التاجى بل بكومة سكر كان يمكن علاجها بقطعة من السكر ، لكن الرئيس عبد الناصر أعطى حقنة أنتستين وحقنتين من مشتقات المورفين (بانتوبون) وهذه الحقن عجلت بوفاته ..

جـ : إزاى يكونوا أساتذة كبار ولا يكتشفوا أنها غيبوبة سكر .. ؟

س : هذا ما دفعنى إلى هذا السؤال .. كيف حدث هذا ؟!

جـ : دول دكاترة كبار ، صحيح مش بتوع قلب ، لكن متخصصين فى الباطنية ، هل معقول ما يفهموش غيبوبة السكر .. ؟!

س : الدكتور رفاعى رأى رسم القلب وتحليل الدم للرئيس .. والرسم والتحليل لا يؤديان للإصابة بالجلطة .. ؟!

جـ : لكن من أعطى الرئيس هذه الحقن التى ذكرتها لى .. وأدت إلى التعجيل بوفاته .. ؟!

س : الأطباء الذين كانوا يعالجونه بالطبع ..

جـ : الدكتور الصاوى حبيب ؟

س : هذا ما يقال . أو ما ذكره لى الدكتور رفاعى كامل ..

جـ : هل الدكتور الصاوى جاهل لهذه الدرجة ؟ إنه عارف إن واحد عنده سكر وأعطى له حقنة أنتستين و بانتوبون .. هل هو أعطاهم للريّس بعد عودته من المطار .. ؟

س : يقال ، وطبقاً لأقوال الدكتور رفاعى فإن الريّس أخذ هذه الحقنة عندما أدرك من حوله أنه مصاب بجلطة ومن شأنها أن تؤلم .. فربما أرادوا تخفيف الألم ؟

جـ : لأ ، أنا عيان بالقلب ، فى الحالة دى أنا لا أعطى أنتستين بل هيبارين وأنا لـمّا بتيجى لى الأزمة آخذ هيبارين .. لا أعتقد أن الدكتور الصاوى بهذه الدرجة من الجهل .

س : هذه مسألة تخصص .. الدكتور الصاوى حبيب غير متخصص فى القلب (ثم سألته)ـ هل ترى أن علاج عبد الناصر كان يحتاج لنظام طبى أكفأ وأدق ، وأطباء على مستوى عظيم من العلم .

جـ : الواقع أن علاج عبد الناصر كان عملية تلعب فيها أو لعبت فيها النوازع الشخصية دوراً مؤثراً ، فمثلاً صلاح الشاهد كبير الأمناء كانت له رغبة فى أن يتولى الدكتور أحمد طلعت أخصائى القلب ـ وهو زوج ابنته ـ علاج الرئيس .. ، كذلك كان الفريق رفاعى كامل من الفريق المعادى للثورة خاصة بعد أن خرج السيد عبد اللطيف البغدادى نائب رئيس الجمهورية سنة ١٩٦٤ .

■ **ملحوظـــة :**

رأيت حسم هذه النقطة الخاصة بأن صلاح الشاهد كبير الأمناء كانت له الرغبة فى أن يتولى زوج ابنته د . أحمد طلعت علاج عبد الناصر .. فالتقيت صباح يوم الاثنين ١٩٨٨/٩/٢٦ بالسيد صلاح الشاهد فى بيته على النيل بالجيزة وسألته عن حقيقة دوره فى علاج عبد الناصر وهل كان ما ذكره ونشر فى حينه من اتهامه لأطباء عبد الناصر بأنهم ليسوا إخصائيين وأنهم أطباء أطفال وأنهم السبب فى موته بخطئهم فى التشخيص .. هل كانت نوازعه الشخصية وراء هذا الاتهام .. ؟

أجاب السيد صلاح الشاهد :

لقد طاش سهم صديقى السيد محمد أحمد باتهامى بأنه كان لى نوازع شخصية ليعالج د . أحمد طلعت زوج ابنتى جمال عبد الناصر ، لقد طاش السّهم ، وذلك لعدة أسباب :

السبب الأول :

أن الدكتور أحمد طلعت زوج ابنتى كان فى هذا الوقت فى لندن ومن بعده كان فى الولايات المتحدة الأمريكية للتخصص فى أمراض القلب ، وعندما عاد إلى مصر ، ورغم حداثة سنه وصغر رتبته فقد كان برتبة نقيب فى مستشفى المعادى العسكرى وعندما رقى إلى رتبة رائد أصبح رئيساً لقسم القلب بمستشفى المعادى العسكرى رغم وجود أطباء كبار برتب أعلى ، كرتبة العميد واللواء ، لكنه ــ أى الدكتور طلعت ــ كان بمؤهلاته ودرجاته العلمية كان يرأس كل هؤلاء ، وقد رفض فعلاً علاج جمال عبد الناصر .

س : رفض فعلاً علاج عبد الناصر . كيف . ومتى استدعاه ؟

أجاب السيد صلاح الشاهد :

جـ : أقصد أنه رفض أن يسير فى ركاب جمال عبد الناصر كما يفعل الأطباء الذين يتبعون الرياسة حيث يوضعون فى سيارة ضمن سيارات ركب عبد الناصر عندما يذهب هنا أو هناك .

س : لماذا .. ؟ أهى مسألة كرامة ؟

جـ : بل لأنه كان لديه عمله ، كانت لديه عيادته الخاصة ، وكان لديه عمله فى مستشفى المعادى ، ولديه مرضاه ، وليس من المعقول أن يترك كل هذا و يتجاهل خبرته ومؤهلاته ودرجاته العلمية ليتبع جمال عبد الناصر فى سيارة إسعاف ، خاصة وأنه كضابط فى القوات المسلحة لن يتقاضى أجراً مجزياً على عمله هذا ..

السبب الثانى :

أنه عندما أصيب حسين عبد الناصر عم جمال عبد الناصر بنزيف فى المخ وغيبوبة وكان فى مستشفى المعادى وعلم عبد الناصر وكان فى أسوان فحضر على الفور لزيارة عمه ، وكان عمه فى غيبوبة ، وكان يشرف على علاجه اثنان من الأطباء هما : د . منصور فايز ، و د . على البدرى ، وكانا يزعمان أن عمه حسين على ما يرام بينما هو غائب عن الوعى بسبب نزيف المخ ، إلاّ أن جمال عبد الناصر كانت له عينان يرى بهما فأدرك أن ما يقوله هذان الطبيبان يتناقض مع ما رآه فدخل حجرة الدكتور أحمد طلعت من تلقاء نفسه .. إنه لم يستدع الدكتور طلعت .. إنما ذهب إلى حجرته بقدميه وسأله قائلاً : د . أحمد .. قل لى حالة عمى حسين إيه .. ؟ وهل هى على ما يرام .. ؟

رد عليه د . أحمد طلعت : يا فندم عمك الحاج حسين من ساعة ما دخل المستشفى وهو فى غيبوبة ، ولن يفيق منها ، والمسألة مسألة أيام أو ساعات حسب رأيى ، وأن عمك لن يفيق وأن ما يقوله لك الدكاترة ده كلام فارغ ، و يريدون إدخاله عليك ، (يضحكون عليك كنص تعبير صلاح الشاهد) إنه لن يفيق .. وما هى إلاّ ساعات أو أيام كما قلت لك ويموت .. وقد كان .

هذه واحدة ، والأخرى هى فى عهد السادات عندما طلب منه أن يدخل ضمن فريق أطبائه — قبل ١٥ مايو سنة ١٩٧١ — وكان الذى حمل هذه الرغبة إلى الدكتور أحمد طلعت هو الفريق فوزى ، لكن الرد كان واحداً ، وهو أنه لن يسير وراء رئيس الجمهورية فى عربة إسعاف .. لأنه — أيضاً — لا يريد أن يكون على علاقة برئيس من الرؤساء .. !

و يستطرد صلاح الشاهد :

إن د . أحمد طلعت لا يذهب إلى مرضاه ، إنما هم يذهبون إليه إلاّ — بالطبع — فى الحالات التى يتعذر فيها الانتقال .. ، لقد كانوا يريدون من د . أحمد طلعت أن يجلس فى السيارة التى تشبه التابوت والتى تسير وراء الرئيس ليهب لعلاج الرئيس إذا أصيب بأزمة يستطيع أن يلحقه أحمد طلعت ، وكان رأى أحمد طلعت أن لديه « تليفوناً » فى بيته وفى عيادته وفى المستشفى ..

فمن فى حاجة إلىّ فليطلبنى فأذهب على الفور، لكنى لا أستطيع أن أكون أسير رئيس الجمهورية ، أتحرك معه ، وأقيم إلى جواره .. هكذا كان يقول د . أحمد طلعت... إن لكل منا عمله ، هو رئيس الجمهورية وأنا طبيب ولست تابعاً لأحد .

س : هل هذان هما السببان اللذان منعا د . أحمد طلعت أن يكون طبيباً لعبد الناصر.. أو كان وراء عدم اهتمامك بإدخال زوج ابنتك د . طلعت لمنشية البكرى لعلاج الرئيس ، كان وراءهما النفى للتهمة التى وجهها إليك السيد محمد أحمد بأن النوازع الشخصية لعبت دوراً مؤثراً فى علاج عبد الناصر.. إذ من الواضح وطبقاً لكلامك لم يكن لك نوازع لإلحاق د . طلعت للعمل فى القسم الطبى برئاسة الجمهورية لأنها ــ على الأقل ــ لم تكن بالشىء الذى يسعى المرء للحصول عليه ؟

جـ : الواقع أن الأطباء الذين كانوا يمسكون القسم الطبى بالرئاسة ومسئولين عن علاج رئيس الجمهورية .. منهم د . ثروت ، وكان طبيب أطفال .. أما الباقى فهم ولا حاجة .. ، وكان من الصعب على د . طلعت أن يركب عربة تلحق بركب الرئيس الذى يذهب ــ مثلاً ــ للاتحاد الاشتراكى ويمكث هناك عدة ساعات ، والدكتور طلعت ينتظر فى السيارة .

س : إذن لماذا اتهمك السيد محمد أحمد بأنه كان لك نوازع شخصية وأنك كنت تريد إلحاق زوج ابنتك بالقسم الطبى بالرئاسة ؟

جـ : اسمع .. ، فى الحكاية التى رويتها لك عن دخول عبد الناصر حجرة د . طلعت فى مستشفى المعادى أثناء وجود عمه حسين هناك مصاباً بجلطة ونزيف فى المخ .. فى اللحظة التى دخل فيها عبد الناصر حجرة د . طلعت لم يكن يعرف أن د . طلعت هوزوج ابنتى ، لكن عندما رآه ، توقف لحظة ثم سأله : الله .. هوأنا شفتك فين .. ؟ فرد السيد محمد أحمد سكرتيره الخاص وقال له : ده د . أحمد طلعت جوزبنت صلاح الشاهد .. ! فرد عبد الناصر: يابنى دا أنا شاهد على جوازك !! لقد تذكره ، وقال له بألفة : تعالى بقى قل لى الحقيقة .. فقال له د. طلعت : الحقيقة أن حالة الحاج حسين مفيش فيها فايدة وح يموت ح يموت .. وبعد يومين توفى الحاج حسين عم جمال عبد الناصر.

□ انتهت الملحوظة □

ولنعد إلى موضوعنا ، حيث كان يتكلم السيد محمد أحمد وكنت أقول له إن السيد صلاح الشاهد قد ذكر من قبل أن الأطباء الذين عالجوا الرئيس جمال عبد الناصر كانوا أطباء أطفال ، ولكن هذا شيء ، وما ذكره د . رفاعى كامل شيء آخر ، فأجاب السيد محمد أحمد :

— كان صلاح الشاهد كبير الأمناء لا يثق بالدكتور أحمد ثروت ، ولذا فقد استعنا بالدكتور منصور فايز والبدرى وصلاح الدين .. وهؤلاء يعتبرون أساتذة للدكتور أحمد طلعت زوج بنت صلاح الشاهد ..

قلت لمحمد أحمد :

س : أليس غريباً أن أسأل الدكتور الصاوى حبيب ، حبيب عبد الناصر فى لقائى معه بتاريخ ١٢/١٠/١٩٨٦ عن الأسباب التى حدت به للامتناع عن نقل جمال عبد الناصر إلى غرفة العناية المركزة .. ، أليس غريباً أن أسأله هذا السؤال فتكون إجابته بأنه لم تكن فى مصر كلها غرفة عناية مركزة .. !

أجاب السيد محمد أحمد :

جـ : لأ ، كان يوجد أكثر من غرفة عناية مركزة فى مستشفى المعادى العسكرى ، وأنا شخصياً دخلت غرفة العناية المركزة عندما أصبت بما يشبه الانفجار فى المخ ، فنقلت فوراً إلى مستشفى المعادى العسكرى وهناك أجريت لى ٣ عمليات لوقف النزيف .. وكان ذلك قبل وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ..

س : ألم يكن يعرف الدكتور الصاوى حبيب بوجود غرفة عناية مركزة فى المعادى .. ؟

جـ : إزاى وهو أصلاً طبيب جاى من الجيش و يعرف هذا جيداً .

رددت فى نفسى المثل :

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة
وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

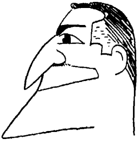

شهادة السيد حسين الشافعي

هذه شهادة السيد حسين الشافعى (١)، وهو أحد الذين حضروا إلى بيت جمال عبد الناصر بمنشية البكرى بناء على اتصال من سكرتارية الرئيس ..

س : هل كان أنور السادات صاحب مصلحة فى التخلص من حسين الشافعى ؟!

أجاب حسين الشافعى :

جـ : ربما كان أنور السادات صاحب مصلحة فى التخلص من جمال عبد الناصر أيضاً (!!)

س : نشر أخيراً أن أنور السادات كان على علاقة بالمخابرات الأمريكية وكان يتقاضى منها راتباً شهرياً منذ الستينيات ، فهل كنت تعرف ذلك .. ؟

جـ : لم أسمع به إلاّ فى سنة ١٩٧٦ عندما نشرته جريدة أمريكية .

• حسين الشافعى •

(١) **السيد حسين الشافعى**ـ نائب رئيس الجمهورية فى عهد عبد الناصر ، هذه الشهادة نشرت ضمن حوار طويل قام به الزميل الكاتب الصحفى عبد الله إمام ، ونشره فى جريدة «صوت العرب» ، العدد الصادر بتاريخ ١٩٨٦/١١/٩ ، ولم يتعرض حتى الآن «١٩٨٨» للتكذيب أو الإنكار.

س : هل تعتقد من خلال اتصالك بالسادات أن ذلك صحيح .. ؟

جـ : ما وصلنا إليه من تغيير اتجاه الثورة إلى هذا الحد يمكن أن يرد على السؤال أبلغ رد ..

. . . .

س : هل تعتقد أن وفاة عبد الناصر كانت جنائية ؟!

جـ : هذا أمر تحقيق ، أى تحقيق .

س : لا تجزم أنها كانت وفاة طبيعية .. ؟

جـ : هذا أمر لا يعلمه إلاّ الله ، لأن من دبر لا يعلن عن نفسه ، ولقد قرأنا فى كتب المخابرات عن وسائل التخلص من الذين يقفون فى وجه سياستهم .

س : هل تشك أنه تم التخلص من عبد الناصر لحساب أنور السادات ؟

جـ : أنا أحسبها بتداعى الحوادث ، لأن عدوان سنة ١٩٦٧ كان خيانة وكان مؤامرة القصد منها أن يسقط جمال عبد الناصر ، فلمّا لم يسقط لم يكن هناك بديل إلاّ أن يحضروا من ينفذ سياستهم و يتخلصوا من الذى يقف فى وجه سياستهم ، وهذا استنتاج طبيعى فى مجرى الأحداث .. ومع ذلك فإنى لا أجزم إلاّ إذا حدث تحقيق ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

النقط فوق الحروف

١

لا يمكن القول بشبهة جنائية فى وفاة عبد الناصر إلاّ إذا سلطنا الضوء على دوافع الجريمة وأدلتها ، فمن بديهيات القانون الجنائى أن السؤال الأول الذى يطرحه المحقق إثر عثوره على جثة رجل مقتول فى الطريق العام هو: لماذا قُتل هذا الرجل ولمصلحة من وما الدافع لقتله ومن المستفيد .. ؟ .. إن هذه الأسئلة هى وحدها التى تقود إلى الإجابة على السؤال الحاسم : مَن القاتل ؟!

وفى الجرائم السياسية لا يختلف الأمر كثيراً عن الجرائم العادية إلاّ فى أن بعضها لا يقوم به صاحب الشأن بنفسه و ينفذ القتل بيديه إنما يعهد بهذه المهمة ــ مهمة التخلص من خصمه ــ إلى آخرين وغالباً ما يكون هؤلاء الآخرون ضالعين مع صاحب الشأن فى المصالح والأهداف بمعنى أن الذى يقوم بالتنفيذ لا يقوم به مقابل الأجر فقط .. إنما لأن تصفية الخصم تعنيه وتهمه ومن مصلحته .. وهذا أدعى للحماس فى طبخ الجريمة ونضجها قبل تنفيذها حتى تتوافر لها صفة الكمال والدقة ولا يُكشف عن أمرها أو يشير كشفها إلى الفاعلين الأصليين أو الفرعيين ..

وهناك أساليب كثيرة ومختلفة ومتنوعة فى الجرائم السياسية فصاحب المصلحة إذا عجز عن الوصول إلى الضحية أو كانت هناك أسباب قوية تمنعه من ارتكاب الجريمة بنفسه ، فإنه يلجأ ــ بطبيعة الحال ــ إلى استئجار آخرين أو يلجأ إلى شركائه فى

المبدأ والهدف والمصلحة و يزرعهم فى بيت الضحية بحيث يتمكن منه ، أو يضعهم فى طريقه .. للانقضاض عليه .. أساليب وطرق كثيرة تؤدى جميعها إلى التخلص من الخصوم السياسيين.وتحضرنى هنا قصة اغتيال تروتسكى عندما هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعاش فى الجنوب مع فتاة كابنته تماماً وكان يحبها حب الوالد لابنته ، ولم تكن الفتاة تفارقه .. كانت أيضاً معجبة به و بآرائه .. وكان بمثابة الوالد لها إلى أن التقت بشاب أخذ يتودد لها بصبر وجلد لأكثر من ٣ سنوات إلى أن أوقعها فى حبه و بذا استطاع دخول بيت تروتسكى وعندئذ تمكن منه وقتله بالبلطة .. ومن هنا فإنه يمكن رسم خطط طويلة المدى لاغتيال الشخصيات المطلوب التخلص منها ..

وقد كان عبد الناصر هو العدو الأول لأمريكا والغرب فى المنطقة وكان ــ أيضاً ــ وبطبيعة الحال عدواً للنظم الرجعية فى المنطقة ، ولم يكن هناك شك فى مصلحة أمريكا والغرب وإسرائيل والنظم الرجعية العربية فى التخلص من عبد الناصر.. ، وكانت هذه القوى الخارجية سواء كانت أمريكية أو أوروبية أو إسرائيلية على علاقة واتصال بالأنظمة الرجعية التى كانت بدورها على اتفاق تام مع عناصر الثورة المضادة فى مصر وكان من عناصر الثورة المضادة فى مصر أشخاص قريبون من السلطة .. بل كان هناك فى صفوف الثورة نفسها عناصر تعمل على تخريبها ، ومعادية بطبيعتها وطبقتها لثورة يوليو وعبد الناصر..

وتُقدم لنا الوثائق الحديثة والمعاصرة أدلة لا تقبل الشك على أن الولايات المتحدة وإسرائيل مستعينة بعناصر من الداخل ، قامت بوضع أكثر من خطة لقتل عبد الناصر.. ومن حسن الحظ أن هذه الخطط كان مآلها جميعاً إلى الفشل .. ، و يذكر أمين هو يدى (رئيس المخابرات ووزير الدولة السابق) أن الملك سعود رصد شيكاً بمبلغ مليونى دولار لاغتيال عبد الناصر إثر الوحدة المصرية السورية ، ووقع اختيار الملك على عبد الحميد السراج رئيس المكتب الثانى السورى (المخابرات) ليقوم بهذه المهمة .. إلاّ أن عبد الحميد السراج سلم دليل المؤامرة إلى جمال عبد الناصر..

ولم تكن هذه هى المحاولة الوحيدة التى قامت بها السعودية للتخلص من عبد الناصر فقد سبقتها ولحقت بها محاولات عديدة ، وليس من المهم أن نعرف أن الملك سعود رصد هذا المبلغ وغيره ثمناً لرأس عبد الناصر.. ولكن المهم أن نعرف

لصالح من كان الملك يريد رأس عبد الناصر .. ؟ هل كان يريدها لنفسه .. أم كان يريدها لتقديمها على طبق من الذهب لسيد البيت الأبيض ؟ !

ولسنا بصدد الأسباب التى كانت تجمع بين الأمريكيين والسعوديين للتخلص من عبد الناصر، إنما نكتفى بسبب واحد من الأسباب العديدة التى كانت تجمع بين الاثنين للتخلص من عبد الناصر وأمثاله ، وهذا السبب هو أن عبد الناصر هو الحاكم الوحيد الذى أخرج مصر من منطقة النفوذ الغربى .. وكان الغرب يريد أن يسترد منطقته ونفوذه ولن يتم له ذلك وعبد الناصر ما زال موجوداً .. ، إن إعادة مصر إلى منطقة النفوذ الغربى يعنى كل شىء للغرب ولإسرائيل وللنظم الرجعية .. و يعنى أولاً وأخيراً أنه لم يعد هناك خطر على الغرب .. ولا على نفوذه ولا على مصالحه .. وأنه لم يعد هناك خطر على النظم الرجعية .. ولا على العملاء وممثلى الغرب فى المنطقة .. هذه هى المصلحة الحقيقية فى إزاحة عبد الناصر والقضاء عليه .. وقد جرت محاولات كما سبق القول .. محاولات من الداخل ومحاولات من الخارج .. وكان عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ ضمن المحاولات التى استهدفت القضاء على عبد الناصر .. لكن عبد الناصر خرج من هذه المحاولة أقوى مما كان وتمسك به الشعب أكثر واستطاع أن يكنس البقايا المتخلفة التى كانت تعوق انطلاق ثورة ٢٣ يوليو .. ومن هنا ، كان لابد من اصطياده فى بيته والقضاء عليه داخل فراشه حتى لا يفلت هذه المرة ..

فكيف يصل القاتل إلى فراش عبد الناصر .. ؟

لكى يصل القاتل إلى فراش عبد الناصر لابد أولاً أن يدخل بيت عبد الناصر فى منشية البكرى وهذا لن يتأتى إلاّ عن طريق السكرتارية الخاصة للرئيس والتى كان يتولاها السيد محمد أحمد ..

السيد محمد أحمد هو الذى يسمح لأى شخص بالدخول إلى بيت عبد الناصر ، وحتى إذا أراد سامى شرف أن يدفع بشخص ما إلى مقابلة عبد الناصر فلابد أن يعطى اسمه وميعاده إلى محمد أحمد ..

السيد محمد أحمد هو الذى يختار الأطباء للرئيس وهو الذى يتولى نفقات البيت ، وهو المسئول عن السلامة الشخصية للرئيس بما يسمى « أمن المقر » ..

وهو الذى يعرف الأقارب والأصدقاء الذين يجيئون و يذهبون ، لا يمكن أن يمد أحد قدمه إلى بيت الرئيس دون علم محمد أحمد والطاقم الذى يعمل معه فى السكرتارية الخاصة ..

كان محمد أحمد هو الوحيد الذى يستطيع أن يتحكم فى دخول أى شخص إلى بيت جمال عبد الناصر عدا أهل البيت ولا يوجد من أهل البيت ما يمكن أن يكون على اسمه علامة استفهام كبيرة سوى أشرف مروان زوج السيدة منى الابنة الصغرى للرئيس جمال عبد الناصر ..

ولم يكن محمد أحمد يسمح بدخول أى شخص لمجرد أنه أراد ذلك ، كان يسمح فقط بدخول الشخص :

١ - إذا كان من أفراد الأسرة أو الأقارب أو الأصدقاء .

٢ - إذا كان قد تلقى اسم الشخص من سامى شرف .

٣ - إذا كان قد تلقى أمراً من الرئيس بدخول الشخص .

٤ - إذا كان الشخص يقوم بعمل ما فى بيت الرئيس .. و بالطبع كان لنواب الرئيس مكانة خاصة ..

وتحت اسم البند الرابع كان يدخل الأطباء والصيادلة بيت الرئيس جمال عبد الناصر .. ، وتحت هذا البند الرابع كانت تعمل المخابرات العامة بدقة متناهية قبل عام ١٩٦٧ .. فقد كان الدكتور أحمد ثروت هو المسئول عن علاج الرئيس وعائلته .. وكان د . ثروت — أصلاً — يعمل فى المخابرات ولم يتركها إلى رئاسة الجمهورية إنما اعتبر المخابرات هى الأصل والرئاسة هى الفرع .. ولذا فقد وافق على أن يكون منتدباً من المخابرات العامة للرئاسة ، و يعزى إلى د . أحمد ثروت أنه هو الذى أنشأ القسم الطبى بالمخابرات .. وكذلك أنشأ القسم الطبى برئاسة الجمهورية .. وكان هو الذى يختار الأطباء الذين يقومون بعمل ما فى الخدمة الطبية بالرئاسة .. فيمكن مثلاً أن يرشح محمد أحمد طبيباً .. لكن عليه أولاً أن يكون مقبولاً من قبل د . ثروت .. أى مقبولاً من المخابرات .. وإذا ما كان الشخص مقبولاً من المخابرات للعمل فى بيت عبد الناصر فهذا يعنى أن يكون مقبولاً من صلاح نصر رئيس المخابرات

العامة .. ومن هنا فإن صلاح نصر كان هو الذى يستطيع أن يدفع شخصاً ما إلى جانب فراش عبد الناصر وعلى هذا الشخص أن يحمى جمال عبد الناصر و يعالجه أو يقتله ..

إن أكثر من ٧٠ ٪ من العاملين فى بيت الرئيس وفى رئاسة الجمهور ية كانوا يعملون أصلاً فى المخابرات العامة أو كانوا منتدبين منها .. و بالتالى كان الولاء موزعاً بين الرئاسة والمخابرات ، ولم تكن المخابرات ــ فى ظل صراع السلطة ــ خالصة للرئاسة إنما كانت خاضعة للقوات المسلحة وتحت النفوذ الشخصى للمشير عامر .. الذى كانت تربطه صداقة عميقة بالسيد صلاح نصر رئيس المخابرات العامة .. وليس غريباً أنه بعد انتحار المشير عامر فى سبتمبر سنة ١٩٦٧ وإخراج صلاح نصر من المخابرات ومحاكمته فيما يعرف بقضية انحراف المخابرات أن خرج معه أكثر من ١٨٠ ضابطاً .. وهم ليسوا جميعاً منحرفين .. إنما كانوا من أصحاب الولاء المزدوج ، كذلك لا يمكن تجاهل التحذيرات التى كان يطلقها د . أحمد ثروت بعد عام ١٩٦٧ للرئاسة بألا يتركوا الرئيس جمال عبد الناصر يصافح أحداً من رجال صلاح نصر لأنه كان قد عرف أن عدة زجاجات من السم قد اختفت من المخابرات وأنه يمكن استعمال هذا السم لقتل أى إنسان بمجرد المصافحة فقط .. هذا التحذير لا يمكن أن يطلق إلا نتيجة إحساس حقيقى بالخطر الذى كان محدقاً بعبد الناصر من جراء خلافه مع المشير .. واتهامه بأنه تخلى عنه فى محنته أو هزيمته .. أو الكارثة التى سببها للبلاد ..

إذن فالمخابرات العامة كانت تملك مفاتيح بيت عبد الناصر ..

وكان هناك شخص آخر يملك هذه المفاتيح وهم نواب الرئيس .. وكان السادات والشافعى نائبين لرئيس الجمهور ية وإن كان الشافعى أقدم فى هذا المنصب من السادات إلاّ أن السادات بمجرد حصوله على قرار التعيين فى هذا المنصب أراد أن يكون له مندوب فى بيت الرئيس .. وكان هذا المندوب هو: أشرف مروان !!

والواقع أن أشرف مروان كان شاباً ذكياً نشطاً يملك طاقات وإمكانيات كثيرة ولديه مواهب نادرة ساعدته على أن يشق طر يقه و يصبح الآن من المليونيرات المعدودين ورجال الأعمال فى انجلترا ..

وقصة أشرف مروان لا تنهض فقط من كونه زوجاً لابنة الرئيس جمال عبد الناصر .. بل لسلطاته الشخصية وإمكانياته ومواهبه كما سبق القول .. هذه المواهب والإمكانيات التى انفتحت أمامها الطريق بزواجه من ابنة الزعيم ، وكان أشرف مروان قد تخرج من كلية العلوم فى أوائل الستينيات والتحق بالجيش فى سلاح المهندسين وكان والده اللواء أبو الوفا مروان مديراً للإمدادات والتموين فى الجيش ، وفى نادى الضباط بمصر الجديدة استطاع أن يتعرف على منى عبد الناصر وذات يوم ــ كما يذكر صلاح الشاهد ــ جاء أبو الوفا يصحبه ابنه أشرف وقالا إن لديهما موعداً مع السيد الرئيس لأمر خاص .. وكان أبو الوفا يسير فى المسافة القصيرة بين البوابة وبيت الرئيس كإمبراطور .. وتم الاتفاق على الزواج .. وكان أشرف وقتها برتبة ملازم أول .. ، وبعد قليل طلب من الرئيس أن يلحقه بمكتب المعلومات أسوة بحاتم صادق وهدى عبد الناصر اللذين كانا يعملان فى المكتب .. ، وهنا بدأت علاقته بسامى شرف الذى رأى أنه يمكن الاستفادة منه بأن يكون حلقة الوصل بين سلاح المهندسين وما يقوم به من تطوير لبعض الأسلحة واستخدام الكيماويات .. وبين مكتب الرئيس للمعلومات ، كان سامى شرف لا يعرف شيئاً عما يحدث هناك فى سلاح المهندسين وكان يستطيع ــ بالطبع ــ أن يعرف إذا ما سأل مدير السلاح .. لكنه كان يريد أن تكون له عين داخل السلاح نفسه .. وهكذا قام أشرف بهذا الدور .. ولم يكتف بأن يكون حلقة وصل ومصدر معلومات .. بل انتهز فرصة تعيين السادات نائباً لرئيس الجمهورية والتقت إرادة الاثنين ــ السادات وأشرف مروان ــ على أن يكون أشرف مديراً لمكتب أنور السادات فى مكتب سامى شرف للمعلومات .. ، وبعد فترة من الوقت كان أشرف قد أصبح على علاقة وثيقة بعائلتى الصباح والسادات واستطاع أن يستفيد كثيراً من العقلية التجارية التى تتمتع بها السيدة چيهان السادات ، وأصابها بالانبهار من توقعاته واقتراحاته المثيرة ، ولمس وتراً حساساً عندما صرح لها بأنه من السهل عليهما ــ هو وهى ــ أن يجمعا ثروة لا بأس بها من نقل السلاح وتجارته وخاصة أن « تنويع مصادر السلاح » كان مشروعاً ضمن مشاريع الارتماء فى أحضان الغرب الذى كان السادات يرتب لها ويحلم بتحقيقها .. وكانت عملية السلاح شرائه ونقله على درجة عالية من الأهمية والسرية ولذا لم يكن هناك أحد يستطيع أن يخوض فيها سوى السادات نفسه .. وأهل بيته (!!) ومن هنا

بدأ أشرف يقترب خطوة خطوة من هذه المنطقة الحساسة .. ولكن قبل أن يمنحه السادات البركة كان عليه أن يختبره ويمتحن ولاءه فأرسله فى عدة مهام ورسائل للسعودية وليبيا والكويت .. ، وكان يدلى بتصريحات لا يدلى بها إلا الوزراء والمسئولون الكبار، و يقابل الرؤساء والملوك بسهولة و يسر.. وشيئاً فشيئاً أصبح ممثلاً شخصياً للسادات .. ثم وفى لحظة مضيئة للحظ .. أصدر السادات قراره بأن يصبح رئيساً لمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع .. وانفتحت أبواب المجد لأشرف مروان[1] ..

ولم يكن هذا حال أشرف مروان وهو واحد من عائلة عبد الناصر .. إنما ــ أيضاً ــ هذه كانت حال رجل آخر كان لصيق الصلة بعبد الناصر وهو السيد محمد أحمد .. فلم يكن عبد الناصر يُرى دون محمد أحمد سكرتيره الخاص .. ولكن .. ما كاد يشرق صباح ١٥ مايو سنة ١٩٧١ (يوم انقلاب السادات) حتى ذهب محمد أحمد إلى الرياسة وجمع موظفى الرئاسة والعاملين فى البيت ورجال الأمن والحراسة وخطب فيهم مشيداً بالسادات ومندداً بالرجال الذين أحاطوا بعبد الناصر وأطلق عليهم « مراكز القوى » ..

وفى نفس الوقت من هذا الصباح (١٥ مايو ١٩٧١) كان السادات يصدر قراراً بأن يصبح أشرف مروان مديراً لمكتب الرئيس للمعلومات أى بدلاً من سامى شرف الذى قبض عليه مع زملائه .. وهكذا أصبح كل شىء فى يد أشرف مروان .. وكان هذا هو الطريق الذى دفعه إلى ما أصبح عليه .. ، ثم كان هناك قرار آخر بأن يصبح محمد أحمد وزيراً .. ثم نائباً لرئيس الوزراء فى الاتحاد الثلاثى (!!) ..

ولا يمكن القول أن ثقة السادات بأشرف مروان قد نبعت وفاض ماؤها خلال الأيام القليلة التى انقضت منذ وفاة عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ إلى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ .. وهى فترة لا تزيد على ثمانية أشهر.. إنما بدأت ــ بلا ريب ــ هذه الثقة من قبل ومنذ أن أصبح السادات نائباً لرئيس الجمهورية فى ديسمبر سنة ١٩٦٩

---

(١) وتذكر چيهان السادات فى كتابها ص ٣١٥ أنها كانت تشاهد التليفزيون مساء ١٣ مايو ١٩٧١ حينما سمعت طرقاً على الباب « كان الطارق هو أشرف مروان وكان يعمل فى مكتب سامى شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية ورحبنا بأشرف إذ كان من أصدقائنا الشخصيين .. الخ » ..

واختـار أشرف سكرتيراً له للمعلومات فى مكتب سامى شرف .. ومنذ هذه اللحظة أصبحت للسادات عين فى منشية البكرى يرى بها ما يحدث داخل البيت وداخل مكتب سامى شرف و يعرف من يقابل الرئيس ومن لا يقابله .. وماذا عند محمد أحمد من أخبـار.. ومعلومات .. ، بل لا أغالى إذا قلت إن ما كان يعرض على الرئيس عبد الناصر من أوراق من خلال مكتب سامى شرف كان يصل إلى أنور السادات فى نفس اليوم وربما فى نفس اللحظة ..

وتكونت فى الرئاسة بمنشية البكرى جبهة قوية تضم العكسريين الذين صاروا يُحكمون بواسطة رجل أقل منهم رتبة لكنه أكثر منهم حظوة لدى عبد الناصر وهو سامى شرف .. وكانت هذه الجبهة تضم فيما تضم :

١ ــ محمد أحمد ..
٢ ــ الفريق أول سعد الدين متولى كبير الياوران ..
٣ ــ الفريق الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى .. وغيرهم

وكان الولاء الطبيعى لهذه الجبهة للسادات ، وكان السادات قد بدأ الاقتراب أكثر من عبد الناصر ، كان قد قدم صفقة العمر ــ من وجهة نظره ــ بجمع أعضاء مجلس الأمة وصباح ومساء يوم ٩ و١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ استجابة لخروج جماهير الشعب وإصرارها على بقاء عبد الناصر فى الحكم بعد أن أعلن قرار التنحى مساء ٩ يونيو سنة ١٩٦٧ .. ، و يذكر السادات فى كتابه « البحث عن الذات » ص ٢٣٨ أنه كان فى مجلس الأمة بمكتبه يوم ١٠ يونيو.. وكانت الجماهير تملأ الشوارع منذ الأمس وتحيط بمجلس الأمة وطلب الرئيس وقال له :

ــ الجموع دى بقى لها دلوقتى ١٧ ساعة فى الشوارع .. هل تحب يا جمال أن تحترق القاهرة ثانى زى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ؟ إحنا على وشك كده دلوقتى ، لازم ترجع يا جمال لأن إرادة الشعب هى الصمود ..

ملحوظة : يدعى السادات فى كتابه أنه قال لجمال عبد الناصر وهو يحدثه يوم ١٠ يونيو «مفيش هروب من هذه المسئولية النهاردة ! »

و يستطرد السادات :

اقتنع جمال ورد عليّ بالموافقة ، ولم يمض وقت طو يل حتى اتصل بى مستشاره الصحفى([1]) ليبلغنى بيان عبد الناصر الذى يقرر فيه العودة فكتبته وأمرتهم فى المجلس بدق الأجراس للاجتماع .

كنا ــ أى أعضاء مجلس الأمة ــ قبل ذلك قد قررنا عدم قبول استقالة عبد الناصر فلمّا اكتمل الاجتماع أعلنت للأعضاء أن عبد الناصر قد قرر العودة بناء على رغبة الشعب وأنه كان بوده لو يستطيع أن يقرأ عليهم القرار بنفسه .. وكان لهذا أثر رائع على النواب فتملكتهم فرحة مفاجئة صفقوا معها وهللوا وصرخوا و بكوا ..

وقد ذكر لى السيد محمود أبووافية عديل السادات « أن الخدمة التى لا تنسى التى قدمها السادات لعبد الناصر كانت هى عقد مجلس الأمة لرفض تنحية جمال عبد الناصر وعدم قبول استقالته فى ٩ و ١٠ يونيو .. هذا عمل لم يستطع أحد أن يقوم به غير السادات .. السادات هو الذى أبقى عبد الناصر على كرسيه ليحكم .. » .. ثم أضاف : « إذا قلنا إنها صفقة وإن السادات قد دفع .. فعلى عبد الناصر أن يرد الدين .. » .. و بالطبع كان هذا الكلام يعنى إسقاط إرادة الجماهير التى غيرت كل شىء يومى ٩ و ١٠ يونيو .

كانت هذه المناقشة تعليقاً على ما أثير غداة انتخابات اللجنة التنفيذية العليا ، فلم يكن للسادات نصيب فى هذه اللجنة ولم يكن ليحظى بأصوات تدفع به إلى عضو ية اللجنة لولا تدخل عبد الناصر وضغطه على الأعضاء .. ، لقد كان السادات مرفوضاً من أعضاء اللجنة المركز ية للاتحاد الاشتراكى وهى اللجنة التى كان عليها أن تختار أعضاء اللجنة التنفيذية أو أعضاء المكتب السياسى ..

نعم .. كما قال محمود أبووافية ــ رحمه الله ــ كان على عبد الناصر أن يرد الدين و يدفع بالسادات إلى مكانه فى اللجنة التنفيذية كما فعلها السادات معه غداة ٩ و ١٠ يونيو حيث أبقاه وثبته على كرسى الرئاسة !!

كان كلام أبو وافية ــ مع الفارق الشديد ــ منطقياً بلغة التجار ورجال الأعمال ، لا بلغة السياسة .. ، و بلغة السياسة فإن السيد ضياء الدين داود عضو

---

(١) « مستشاره الصحفى » يقصد محمد حسنين هيكل .

اللجنة التنفيذية يعرض فى كتابه الهام « سنوات مع عبد الناصر » الصادر سنة ١٩٨٤ ص ١٩٦ قصة انتخاب اللجنة التنفيذية العليا بحياد كامل لا يتناسب مع ما لحق به من سجن و بطش وظلم على يد السادات ورجال ١٥ مايو.. ، يقول ضياء داود :

فى جلسة اللجنة المركزية بتاريخ ١٦/١٠/١٩٦٨ قال عبد الناصر : إنّ التجديد معناه أن هناك عناصر جديدة تبرز جماهيرياً وسياسياً وهذا البروز الجماهيرى والسياسى يعطيها فى الحقيقة الفرصة لأن تصل إلى أعلى المناصب فى الاتحاد الاشتراكى العربى .. ، لقد وجدت ــ أيضاً ــ أنه من الضرورى عدم الجمع بين الوزارة وعضوية اللجنة التنفيذية العليا حتى لا يطغى عمل الوزارة ومسئولياتها على أدائه كعضو للجنة التنفيذية .. » ..

وقال الرئيس رداً على ما أثاره الأعضاء من إصرارهم على ترك الاختيار للرئيس ، إلا أن الرئيس رفض وقال لابد من إعطاء الفرصة للجنة المركزية لتظهر منها العناصر.. وتنتخب اللجنة التنفيذية العليا ..

وقال : « الحقيقة أنا بدى آخذ مثل ، كيف تتكون القيادات الجماعية التى تشابه اللجنة التنفيذية العليا للأحزاب الأخرى ؟ بتتكون بمضى الزمن وبمضى المدة و بتتكون العناصر التى تقود النضال فى الأول أى حزب أو فى أى تنظيم سياسى .. ثم العناصر اللى تظهر.. العملية بتاخد وقت علشان ده يطلع فى القيادة .. أنا فكرت عدة أفكار الأول أن أجيب الـ ١٤ اسم (اللجنة التنفيذية تتكون من ١٤ عضوا) طب ح أجيب الـ ١٤ اسم من مين ؟ من الناس اللى أنا اشتغلت معاهم ، ومعنى هذا إننى ح استبعد عدد كبير من أعضاء اللجنة المركزية لأنى أنا باشتغل معاكم بس كأعضاء لجنة مركزية من ثلاثة أسابيع فقط أو أربعة ولم نختبر بعض الاختبارات الكافية ، وإذا أخذتهم من الذين اشتغلت معهم ينتفى العنصر الذى طلبه كل من قابلتهم وهو العنصر الجديد .. »

« والحل الثانى أن نعين جزءا من اللجنة التنفيذية العليا ونعين الباقى بعد ذلك وهو نصف حل .. »

« وأخيراً وصلت إلى رأى وهو أن نؤجل انتخابات اللجنة التنفيذية العليا لبعض الوقت خاصة وأن اللجنة المركزية للظروف غير العادية فى حالة انعقاد مستمر كل

أسبوع أو كل أسبوعين تبحث كل الأمور ونعين أعضاء اللجان وأمناء اللجان تم فى الوقت المناسب تنتخب اللجنة المركزية اللجنة التنفيذية العليا بعد أن يكون قد تم التعارف والتفاهم بين جميع الأعضاء » ورغم ذلك ظل حديث الأعضاء مصراً على أن الثقة فى الرئيس بلا حدود ومن ثم عليه أن يجرى اختيار أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ..

ورد الرئيس عبد الناصر وقال إنه شاكر لهم هذه الثقة و يعتز بها ، ولكنه يرى أنه من الضرورى إذا ما كانت هناك ضرورة ملحة للتعجيل بتشكيل اللجنة التنفيذية العليا أن يتم ذلك عن طريق الانتخاب قائلاً : « لازم كل واحد فيكو ياخد مسئوليته فى هذا الموضوع » وقال : « بالنسبة للاستمرار أنا قادر أنى أعطى فيه رأى » ثم قال : « أمـّا بالنسبة للتجديد لازم نتكلم بوضوح وصراحة وأنا باعبر عن ضميرى أنا لا أستطيع ترشيح أحد لم أباشر معه عمل ولم أحتك بهم ولم أعرفهم وإلاّ أكون بهذا قد وضعت الأمور فى غير موضعها .. بالنسبة لمن أعرفهم أستطيع أن أقول فلان وفلان ممن اشتغلت معهم عشر سنين وعشرين سنة و يبقى ضميرى مستريح و بالنسبة لمن لم أشتغل معهم ولم أخبرهم سوف أسأل ولا يكون ضميرى مستريحاً .. هناك فرق كبير بين أن أقدم « لستة » و بين أن تنتخبوا .. فرق كبير من الناحية النفسية بالنسبة للجماهير ..

واستطرد الرئيس عبد الناصر قائلاً فى اللجنة المركزية : سمعت كلام كتير .. قيل أنهم أعطوه ــ أى لعبد الناصر ــ تفويضاً فى مجلس الأمة ، ويمكن إنتو سمعتوا أيضاً ، وجاءت اللجنة المركزية وأعطته أيضاً تفويض لازم الواحد يبقى حساس وأقول لكم هناك ثورة مضادة موجودة فى البلد وتود أن تتصيد لنا حتى حسن النية وبهذا لابد أن نمشى حذرين جداً ..

ورأى الرئيس فى نهاية الاجتماع استطلاع رأى الأعضاء فى التعجيل بتكوين اللجنة التنفيذية العليا أو بتأجيلها فوافقت الأغلبية على التعجيل ..

ثم طرح اقتراح بإجراء انتخاب للجنة ووافقت الأغلبية وتحدد يوم السبت للانتخاب ، وقام الرئيس باستطلاع الرأى بين أمناء المحافظات والتقى بكل منهم على

انفراد بقصر القبة ولم يحضر هذه اللقاءات سوى شعراوى جمعة بصفته أميناً للتنظيم، وقد انتهى استطلاع الرأى إلى تزكية ترشيح ٦ أعضاء هم بترتيب القائمة:

- أنور السادات
- حسين الشافعى
- على صبرى
- محمود فوزى
- رمزى ستينو
- ضياء الدين داود

وقد زكاهم التنظيم الطليعى لدى أعضائه باللجنة المركزية باستثناء الوزراء على أن يكون للأعضاء حرية اختيار باقى المرشحين..

أمّا باقى المرشحين إلى جانب هؤلاء فكانوا هم:

١ ــ عبد المحسن أبو النور
٢ ــ د. لبيب شقير
٣ ــ كمال رفعت
٤ ــ كمال الحناوى
٥ ــ على السيد
٦ ــ سيد مرعى
٧ ــ د. عزيز صدقى
٨ ــ د. مصطفى أبوزيد
٩ ــ أحمد السيد درويش
١٠ ــ خالد محيى الدين
١١ ــ أحمد فهيم
١٢ ــ د. جابر جاد عبد الرحمن
١٣ ــ حسن عباس زكى
١٤ ــ فهمى منصور

وكان أكثر أمناء المحافظات قد أبدوا تحفظات شديدة على ترشيح السادات وبدرجة أقل على حسين الشافعى .. إلاّ أن الأمناء لمسوا حرص الرئيس جمال عبد الناصر على ضرورة وجود السادات وحسين الشافعى باعتبارهما من الباقين معه من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكان لعبد الناصر عاطفة نحو أعضاء مجلس الثورة والضباط الأحرار ويحرص على أن يبقى بعضهم بجانبه حتى أنه عندما أثير فى مجلس الوزراء مناقشة حول ضباط الجيش الذين عينوا بالشركات ووزارة الخارجية أثار حديثاً عاطفياً وإنسانياً طويلاً نحوهم وفاء لدورهم وقال إنهم قلة وإنهم أبعدوا عن القوات المسلحة طالما اشتغلوا بالسياسة وكان ضرورياً الانتفاع بهم فى مواقع أخرى ..

واستنتج السادات من نتائج استطلاع الرأى أن حسين الشافعى سوف يتفوق عليه فى الأصوات وزاد من قلقه إزاء هذا الاستنتاج ما كان قد أعلنه عبد الناصر من اعادة ترتيب الأقدمية على ضوء نتائج الانتخابات وترتيب الأصوات .. وقد جاهد السادات فى البداية ليعين محمد عبدالسلام الزيات وكان وقتها أقرب مساعديه ومحل ثقته ، أن يعينه رئيساً للجنة الانتخابات وعلى حد قوله « ليتصرف » ولكن تقرر تشكيل لجنة محايدة تماماً يرأسها الدكتور عبد المجيد عثمان الذى أصبح مؤخراً رئيساً لجامعة القنال ..

ثم قام السادات من ناحيته باصطفاء مجموعة من أعضاء اللجنة المركزية وثيقى الصلة من المنوفية والبحيرة لحجب أصواتهم عن حسين الشافعى وبالتالى حسبما قدر يحتفظ لنفسه بأكبر الأصوات ..

وحين بلغ عبد الناصر هذه الواقعة علق قائلاً بأن حسابات السادات خاطئة وأن هذا الإجراء سوف يكون لصالح على صبرى لا لصالح السادات وفعلاً كانت النتيجة حصول على صبرى على ١٣٤ صوتاً ، حسين الشافعى ١٣٠ صوتاً ، محمود فوزى ١٢٩ صوتاً ، أنور السادات ١١٩ صوتاً ، كمال رمزى استينو ١١٢ صوتاً ، عبد المحسن أبوالنور ١٠٤ أصوات ، ضياء داود ١٠٤ أصوات ، لبيب شقير ٨٠ صوتاً .

وقد أعلن انتخاب هؤلاء الثمانية أعضاء باللجنة التنفيذية العليا ، وبذا فاز ثمانية أعضاء فى حين حصل بعض المرشحين على صوت واحد وصوتين كمصطفى أبوزيد أول مدعى اشتراكى بقرار من السادات بعد انقلاب ١٥ مايو ..

و يقول ضياء داود إن السادات أضمر منذ ذلك الحين الغيظ إلى أن سنحت له الفرصة بعد ١٣ مايو سنة ١٩٧١ فأطاح بهم جميعاً وأثار الغبار حول سلامة انتخابات الاتحاد الاشتراكى وانتخابات اللجنة التنفيذية العليا ..

و يرى ضياء داود أن نتيجة انتخابات اللجنة التنفيذية العليا كانت منطقية تماماً ذلك أنها جرت فى أعقاب فترة قلقة جرت فيها مظاهرات الطلبة التى اتجهت إلى مجلس الأمة تندد به و برئاسة السادات له وتصفه بأنه الذى وأد الديمقراطية وكبت البرلمان ..

و واضح من هذا العرض الوافى لانتخابات اللجنة التنفيذية التى لم يحظ فيها السادات إلا بـ ١١٩ صوتاً بينما حصل خصمه اللدود على صبرى على ١٣٠ صوتاً دون جهد يذكر على الرغم من تزكية عبد الناصر للسادات ، .. واضح أن الرئيس عبد الناصر كان يريد أن يجامل السادات و يقدم له شيئاً كان يشعر فى قرارة نفسه أنه فى حاجة إليه وهو التأييد الشعبى من التنظيم السياسى الوحيد فى مصر .. لكن هذا التنظيم قد خذله تماماً .. ومن هنا لم يعد أمام عبد الناصر — فيما بعد — إلاّ أن يلتمس وسيلة أخرى لإرضاء السادات .. وسنحت له هذه الفرصة أخيراً عندما أصدر قراراً بتعيينه نائباً له فى ديسمبر سنة ١٩٦٩ ..

هل كان السادات يسعى فعلاً ليكون هذا الرجل .. ؟
هل كان يريد أن يكون نائباً للرئيس .. ؟!

الواقع أن أنور السادات كان يريد هذا .. ولم يكن ليتسنى له أن يصبح هذا الرجل فى وجود على صبرى ، ولذا فقد رسم خطة ذكية للاقتراب أكثر من عبد الناصر الذى كان بدوره يعانى من الوحدة والتوتر والعمل الشاق المتواصل لاستكمال بناء القوات المسلحة وإعدادها للمعركة ، و يذكر هيكل — فى « خريف الغضب » ص ٩١ الطبعة العربية — أن السادات فى هذه الأوقات الصعبة ازداد قرباً من جمال عبد الناصر ، وكان بيت السادات فى الجيزة على النيل المكان الوحيد الذى يستطيع فيه جمال عبد الناصر أن يذهب لكى يقضى — بين حين وآخر — ساعات مع صديق لم يكن يضغط على أعصابه بإثارة مناقشات سياسية أو عسكرية ملحة ..

بينما يرى آخرون أن خطة السادات كانت جذب عبد الناصر إلى بيته بعيداً عن العمل وأحاديث السياسة والتليفونات وأوامر الأطباء .. وفى البيت كانت السيدة جيهان السادات تقدم له ما هو ممنوع من تناوله من أطعمة شهية ... وأنواعاً من الطعام تعتبر قاتلة بالنسبة له تعجيلاً بالضغط على أعصابه وشرايينه وقلبه .. ، وكانت تفيض عليه من أحاديثها الشيقة وحكاياتها المسلية ما تجعله ينسى و يستمتع ..

و يرى هؤلاء أيضاً أن السيدة جيهان السادات هى التى كانت تتعجل عبد الناصر لإصدار قراره بتعيين السادات نائباً .. كانت خائفة أن يخطفه الموت و يضيع السادات بين ما كان يسميهم « العصابة التى تحكم مصر » .. وكانت السيدة جيهان ترى أن قرار التعيين سلاح فى يد زوجها يشهره باسم الشرعية عندما يختار الله عبد الناصر إلى جواره .. ، إما بالقدر أو بالتآمر ..

إذن .. فالسباق كان يجرى بجدة للحصول على قرار الشرعية حتى لا يحدث نزاع أو خلاف على التركة عندما يغيب صاحبها الأصلى ..

لقد كان مطلوباً من السادات أن يكون هو الخليفة الذى لا يتنازع الآخرون على مقعده .. ولم يكن السادات والسيدة جيهان وحدهما اللذان يعنيهما وجود السادات فى السلطة بعد عبد الناصر .. بل كان هناك آخرون ينتظرون و يترقبون نهاية السينار يو المحكم .. وكان هؤلاء فى واشنطن و بعضهم فى تل أبيب .. و بعضهم فى طهران .. و بعضهم فى الر ياض .. و .. و .. الخ ..

كانت هناك عواصم تترقب وتنتظر وعينها على مؤتمر القمة العر بى المعقود فى فندق هيلتون بالقاهرة فى الفترة من ٢١ سبتمبر إلى ٢٧ سبتمبر لإيقاف مذبحة المقاومة الفلسطينية فى الأردن .. وكان هناك آخرون يتساءلون لماذا يمنعهم عبد الناصر من تصفية الفلسطينيين .. لماذا يقف فى طر يقهم .. ولماذا لا يطاح به .. ليخلو لهم الجو ويمرحوا فى الشرق الأوسط كما ير يدون .. ؟

أين رجالنا الذين يعملون هنا وهناك .. ؟ وأين هؤلاء الذين زرعناهم إلى جانب الزعيم المصرى .. لماذا لا يتحركون و يضعون حداً لحياة هذا الرجل .. ؟

■ □ ■ □ ■ □ ■

٢

قبل أن يصل أنور السادات إلى رئاسة الجمهورية كان يعمل فى الظل ، ولم يكن أحد يرى فيه خطراً ولا كان يمكن لأى شخص أن يرى غير ضابط من الضباط الأحرار قانع بمنصبه .. ينقل من هنا أو هناك فيقبل راضياً ، لا يدخل معارك ، ولا يختلف ، يعمل من وراء ستار فإذا نجح كان بها .. وإذا فشل لم يثر أو يحتج .. ، وكان الجميع يظنون به الطيبة والخير.. كان طموحه محدوداً كما يبدو وأحلامه لا تتعدى الاستقرار فى موقع من المواقع تسلط عليه الأضواء فيه بعض الوقت ..

لم يكن أحد يظن أنه يجند معارفه وأصدقاءه ليوم قادم يخوض فيه معركة ..

ولم يكن يتصور أحد أنه يعمل ليكسب إلى جانبه أحد أفراد أسرة عبد الناصر وهو الذى انقلب عليه فور انقلاب ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ..

ولم يكن يدور بخلد أى متآمر أن يتمكن السادات من تجنيد عدد كبير من ضباط الجيش والشرطة و يصبحوا فى يده سلاحاً يضرب به الناصريين بمجرد أن تسنح له الفرصة ، فيقبض عليهم ويحاكمهم و يسجنهم دون أن تتحرك جماعة واحدة من الجماعات الناصرية لتحتج أو تتظاهر ..

إن القاتل قد يسير فى جنازة الضحية ولا يبدو عليه ما ارتكبه .. وعند المقبرة وفى لحظة قد ينكشف .. و ينفضح أمره .. وهذا ما حدث بالضبط بالنسبة للسادات ..

فجأة نشرت الواشنطن بوست أن السادات كان عميلاً للمخابرات المركزية الـ C.I.A وكان يتقاضى مرتباً ثابتاً من كمال أدهم المسئول عن الـ C.I.A فى منطقة الشرق الأوسط .. وإذن فإن السادات عندما استولى على السلطة إثر وفاة عبد الناصر لم يكن يستولى عليها لحسابه .. وعندما رفض تشريح جثة عبد الناصر لمعرفة أسباب الوفاة لم يقم بذلك دفاعاً عن قدسية الجسد .. إنما دفاعاً عن نفسه .. وعن المتورطين معه ..

وعندما انحاز للغرب وفتح البلاد للرأسمال الغربى باسم الانفتاح الاقتصادى لم يفعل ذلك لأن هذه قناعاته فقط .. إنما لأن هذا هو ما اتفق عليه وكان أقل ما اتفق عليه : « أن تعود مصر إلى منطقة النفوذ الغربى » ..

و يعترف السادات صراحة بأنه كان صديقاً لهؤلاء الذين عادوا مصر فى عهد عبد الناصر ، بل إنه لم يمض شهر على تولى السادات رئاسة الجمهورية حتى ظهر على مسرح السياسة المصرية كمال أدهم .. فمن هو كمال أدهم هذا .. ؟

إن كمال أدهم كان يعمل مديراً للمخابرات السعودية وبهذه الصفة فقد كان وكيلاً للـ C.I.A فى المنطقة العربية ، وكان صهراً للملك فيصل ، بمعنى أن الملك فيصل كان متزوجاً من شقيقة كمال أدهم ، وكان طوال فترة حكم الملك فيصل يقوم بالمهام الخاصة التى يكلفه بها الملك فيصل ، ورغم أنه لم يكن رئيساً للمخابرات السعودية رسمياً فقد كان الرئيس الرسمى هو عمر شمس إلاّ أنه كان الرئيس الفعلى للمخابرات ، وكان هو المحرك لصفقات السلاح فى حالتى الشراء والبيع وكذلك النقل .. وكانت السرية تحيط بهذه الصفقات نظراً لطبيعتها ..

و بعد مقتل الملك فيصل تولى المخابرات تركى الفيصل ابن فيصل بن عبد العزيز شقيق سعود الفيصل وزير الخارجية ، .. أما صفقات السلاح فقد تولاها عدنان خاشقجى فى عهد الملك خالد ..

وعندما جاء خادم الحرمين الملك فهد قرر أن تتولى الدولة بنفسها عقد صفقات السلاح وترك مسألة نقله للظروف ..

لـكـن كـمـال أدهم لم يترك السياسة بعد الملك فيصل على الرغم من أنه يمتلك فى كـيـنيا أكبر مزرعة لتربية وإنتاج الخيول فى العالم .. إنما أصبح يقبل على السياسة كلما كان هناك تكليف له أو كانت المملكة فى حاجة إلى خدماته ..

و يعترف السادات بأن كمال أدهم صديقه « الروح بالروح » وكان شاهد عقد زواجه و يقول محمد عبد السلام الزيات فى مذكراته التى نشرها بالأهالى الحلقة الثامنة وما بعدها بعنوان : « السادات : القناع والحقيقة » يقول : « إنه فى أقل من شهر من تولى السادات رياسة الجمهورية ظهر على المسرح المصرى كمال أدهم وأخذ يتردد على القاهرة بتحفظ فى بداية الأمر ثم أخذ تردده صفة الانتظام .

و بعد أن تخلص السادات ممن أسماهم بمراكز القوى وتمركزت كل السلطات فى يده أصبحت الاجتماعات يومية فى حالة وجود كمال أدهم فى القاهرة أو مع السفير السعودى فى ذلك الحين (هشام الناظر على ما أذكر) فى حالة غيبة كمال أدهم عن القاهرة أو عن طريق قنوات الاتصال التى أنشئت بين مصر والسعودية ثم بين مصر وأمريكا بعد ذلك ، واستطاعت السعودية من خلال كمال أدهم أن تعيد ترتيب الأوضاع فى مصر بما يساير الاستراتيجية الأمريكية التى تعتبر السعودية امتداداً عضوياً لها فى المنطقة العربية ..

وعندما تعددت لقاءات السادات مع كمال أدهم أذكر أنه فى حديث لى مع هيكل أبدى غضبه الشديد وطلب منى أن أوجه نظر السادات إلى أن كمال أدهم كبير عملاء المخابرات الأمريكية C.I.A فى المنطقة العربية .. طلبت منه أن يوجه هو شخصياً السادات إلى هذا الأمر لأنه أقدر منى على إقناعه فى هذه الناحية ، ولكن على ما أذكر لم يفعل ولو كان فعل ، لما كان فى مقدوره أن يبعد كمال أدهم فالعلاقة بين الاثنين علاقة عضوية وكل منهما يمثل امتداداً للآخر. كان كمال أدهم يمثل خطورة مزدوجة بثقله السعودى وثقله الأمريكى ، بالضغط الذى يمكن أن يحدثه فى اتجاه إجراء تغييرات اجتماعية واقتصادية فى مصر تخل بالخط الاشتراكى الذى أرسته ثورة ٢٣ يوليو ، وكان تحالفه مع الرجعية المصرية التى تحارب فى نفس الاتجاه تحالفاً طبيعياً يهدد بمزيد من الضغط للتراجع عن هذا الخط من قبل السادات .. » .

و يكشف كتاب « البحث عن الذات » عن أسرار هذه العلاقة بين السادات

وكمال أدهم (ص ٢٥١ وما بعدها) حيث يقول :

وفى السعودية كان الملك فيصل صديقاً شخصياً لى منذ ٢١ عاماً ، بالذات منذ المؤتمر الإسلامى فى عام ١٩٥٥ وكان وقتها ولياً للعهد ، و برغم حرب اليمن ظللنا أصدقاء (وقد يلقى هذا القول الضوء على الدور المزدوج للسادات فى حرب اليمن !)

و يسترسل السادات :

وفى المغرب ترجع صلاتى بالملك الحسن الثانى إلى عام ١٩٦٩ حين ذهبت بدلاً من عبد الناصر لأحضر أول مؤتمر يعقد من أجل حرق المسجد الأقصى ، وهناك توطدت علاقة أخوية وصداقة بينى و بين الحسن ، و بلغنى أن الملك فيصل قال للملك الحسن : « **إذا أراد الله لمصر خيراً يحكمها السادات** » .

و يلقى جيم هوجلاند محرر الشئون الخارجية فى صحيفة الواشنطن بوست الأمر يكية فى عدد الصحيفة الصادر فى ١٩٧٧/٢/٢٥ الضوء على العلاقة بين السادات وكمال أدهم مستقياً معلوماته من وثائق لجنة المخابرات الأمر يكية برئاسة واحد من أبرز أعضاء الكونجرس الأمر يكى وهو السناتور « تشرس » حيث يشير إلى إحدى هذه الوثائق التى تؤكد أن أنور السادات قد عمل فى أوائل الستينيات تحت رئاسة كمال أدهم الذى كان رئيساً للمخابرات الأمر يكية فى المنطقة .. وقام السادات بدور جوهرى يعتبر خدمة كبرى للمصالح الأمر يكية وذلك بأن حفظ العرش السعودى مما أطلقت عليه الوثيقة : « مؤامرات عبد الناصر » لأن السادات كان يبلغهم بها ، وكان السادات فى هذه الفترة يتولى مسئولية الجانب السياسى فى حرب اليمن إلى جانب علاقته الوثيقة مع عبد الناصر ، و يذكر الز يات أنه عندما كان السادات رئيساً لمجلس الأمة فى ذلك الحين ، كانت مقابلا ته مع السفير الأمر يكى منتظمة فى مكتبه بمجلس الأمة ، وذات مرة سأله الز يات عن أسباب هذه المقابلات فكان رده أن السفير الأمر يكى يبدى تعاطفه لأننا بمساعدة اليمن إنما ننقل الشعب اليمنى من غياهب القرون الوسطى إلى القرن العشر ين !!

وإذن فقد كانت هناك علاقة ثابتة بين السادات و بين الـ C.I.A وكان همزة الوصل أو المقاول هو كمال أدهم .. ومن الثابت أيضاً أن الموساد تقوم بعمل المخابرات الأمر يكية فى بعض مناطق الشرق الأوسط .. فالعلاقة العضو ية بين

المخابرات الأمريكية والإسرائيلية حقيقة .. وعندما تختار المخابرات شخصاً ليصبح عميلاً فإنها تختاره لسبب واضح ولمهمة محددة فإذا قام بها ونفذها كما ينبغى فتحت له المخابرات أبواب المجد .. وكانت وفاة جمال عبد الناصر تعنى لأنور السادات فتح أبواب المجد ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

٣

كانت تقارير السفارة المصرية فى عمان فى صيف عام ١٩٧٠ تشير إلى قرب الصدام بين الجيش الأردنى والمقاومة الفلسطينية مما قد يؤدى إلى تصفية المقاومة .. والواقع أنه كانت هناك خلافات بين المقاومة الفلسطينية التى كانت قد بدأت تنظم نفسها للعمل ضد العدو الصهيونى الذى يحتل الأراضى العربية فى فلسطين ــ وبين السلطة فى كل من لبنان والأردن .. كانت الأردن ولبنان يريان أن هذه الأعمال تعرض أمن البلدين للخطر..

وكان جمال عبد الناصر يرى أن على مصر أن تحافظ وتؤمن حركة المقاومة الفلسطينية مع تفادى الصدام مع السلطة الشرعية فى كل من لبنان والأردن ..

والواقع أن مصر كانت وسيطاً جيداً عندما اصطدمت المقاومة مع السلطة اللبنانية سنة ١٩٦٩ ، عندئذ دعا جمال عبد الناصر كلا من ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والعماد البستانى قائد الجيش اللبنانى إلى القاهرة .. وكان الرئيس شارل الحلو قد بعث للرئيس عبد الناصر يشكو من عدم وجود تنسيق بين المقاومة والجيش اللبنانى مما يؤدى إلى وضع القيود على الحركة الفلسطينية ..

وبالفعل عقدت عدة اجتماعات بين الرئيس عبد الناصر وبين ياسر عرفات والعماد البستانى .. ثم تكررت الاجتماعات مع السيد محمود رياض وزير الخارجية

الذى يقول فى مذكراته « أنه رأى لتأمين الاجتماعات وسر يتها أن تتم فى مبنى وزارة الحر بية » وشارك فيها بالطبع الفر يق فوزى .. و بعد عدة جلسات أمكن عقد « اتفاقية القاهرة » .. وهو الاتفاق الذى جرى العمل به طوال الأربع السنوات التالية (٦٩ ـــ ١٩٧٣) ..

وما كاد الموقف يستقر فى لبنان حتى بدأ يضطرب فى الأردن كأنما كان المقصود اختلاق أسباب لتصفية المقاومة سواء كانت فى لبنان أو الأردن .. وكان تصفية المقاومة يعنى دق إسفين فى الجبهة الشرقية ، و يعترف محمود ر ياض بأن عبد الناصر كان يشعر بالقلق الشديد خوفاً على مصير المقاومة وكان يغذى هذا القلق ما كان يصلنا من معلومات تشير إلى أن واشنطن وراء هذه المحاولات للصدام بين المقاومة والسلطة فى كل من الأردن ولبنان ..

« كنت أرى بأن أى صدام أردنى فلسطينى سوف يؤثر بشكل خطير على الجبهة الشرقية وكانت خطتنا لتحر ير الأرض ترتكز على قيام جبهة شرقية فعالة تضم سور يا والأردن والعراق والمقاومة الفلسطينية .. » (١)

وجاء الملك حسين إلى القاهرة فى الأسبوع الثالث من أغسطس سنة ١٩٧٠ وكان ضيق الصدر بتصرفات المقاومة التى كانت ترى أن رد إسرائيل على الأعمال الفدائية والذى قد يأخذ شكل احتلالها لمز يد من الأراضى العر بية سوف يدفع الدول العر بية إلى تعبئة مواردها وإمكانياتها للتصدى للعدوان الإسرائيلى وتحر ير فلسطين فى النهاية .. كان الملك حسين ـــ بالطبع ـــ يرفض هذا الرأى و يرى أن استفزاز إسرائيل سيؤدى إلى احتلال إسرائيل لمز يد من الأراضى العر بية بينما يجب العمل بكل الوسائل للمحافظة على ما لدينا من أراض ننطلق منها من أجل استرجاع ما فقدناه فى حرب ١٩٦٧ .

وعندما اجتمع الملك حسين بعبد الناصر فى الإسكندر ية أثار الملك حسين موضوع تفاقم الخلاف بين السلطة الأردنية والمقاومة الفلسطينية ، وأشار الملك إلى قيامهم بعمليات داخل إسرائيل عبر الحدود الأردنية دون تنسيق مع سلطات الجيش مما يؤدى إلى قيام إسرائيل بغارات مفاجئة على القرى الأردنية .

---

(١) مذكرات محمود ر ياض ١٩٤٨ ـــ ١٩٧٨ ، ص ٢٩٤ وما بعدها .

وكان رد عبد الناصر هو أنه لا يجب مهاجمة المنظمة ولا العمل ضد الفلسطينيين لأن المستفيد فى هذه الحالة هو العدو..

وقد أورد السيد محمود رياض فى مذكراته نص كلام الرئيس ناصر حيث قال للملك حسين :

أرجو أن تأخذهم بالصبر حتى ولو أخطأوا، وذلك من أجل شعبك ومن أجل الشعب الفلسطينى ولا تنسى أن سيدنا أيوب كان من سكان نهر الأردن.. إننى أكرر أن تتعاملوا فى هذا الموضوع بالعمل السياسى وليس بالعمل البوليسى.

رد الملك حسين :

سيادة الرئيس، أما عن صبر أيوب فهذا هو شعار سياستنا منذ أمد طويل، ولكن هناك ولا شك حدود للصبر، إن وجود جميع منظمات المقاومة على أرضنا نقل إلينا كل التناقضات الموجودة فى العالم العربى..

ولم يمر أسبوعان على هذا اللقاء حتى تفجر الموقف بين المقاومة والسلطات الأردنية، وعقد مجلس الجامعة العربية اجتماعاً طارئاً وشكل لجنة سافرت إلى عمان لهذا الغرض يوم ٧ سبتمبر ١٩٧٠..

وفى نفس الوقت وقع تطور آخر أدى إلى تصعيد الموقف على المستوى الخارجى، فقد قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باختطاف ٣ طائرات يوم ٧ سبتمبر وحوّل المختطفون اثنتين من تلك الطائرات: الأولى بوينج ٧٠٧ تابعة لشركة الخطوط الجوية العالمية، والثانية دى سى ٨ تابعة لشركة الخطوط الجوية السويسرية إلى مطار المفرق بالأردن، أما الطائرة الثالثة فكانت بوينج ٧٤٧ وجاء بها المختطفون إلى مطار القاهرة وأخرجوا الركاب منها ونسفوها..

وبعد يومين أى فى يوم ٩ سبتمبر قامت عناصر من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باختطاف طائرة رابعة تابعة لشركة الخطوط الجوية البريطانية عبر البحار وانضمت إلى الطائرتين فى مطار المفرق وتجاوز عدد الرهائن ٥٠٠ شخص وبعد أن نسفت الجبهة الشعبية الطائرات فى مطار المفرق أطلقت سراح معظم الرهائن فى يوم ١٣ سبتمبر

واحتفظت بأربعين راكباً كرهائن مقابل الإفراج عن فدائيين فلسطينيين محتجزين فى سجون إسرائيل وسويسرا وألمانيا الغربية .

وقد أدى هذا إلى رد فعل دولى خطير مما اضطر منظمة التحرير الفلسطينية إلى إصدار بيان بتجميد عضوية جبهة التحرير الشعبية ..

كانت هذه فرصة سانحة لضرب المقاومة .

- السخط الدولى على المقاومة بسبب اختطاف الطائرات .
- الاستفزازات المتصاعدة بين السلطة الأردنية والمقاومة .
- الانشقاق داخل صفوف المنظمة بسبب الموقف من قضية اختطاف الطائرات ..

وقرر الملك حسين تشكيل حكومة عسكرية فى الأردن يوم ١٥/٩/١٩٧٠ التى أصدرت أمراً إلى أفراد المقاومة الفلسطينية بتسليم أسلحتهم .. وبدأت الحكومة الأمريكية تسرّب أنباءً عن ضرورة الاستعانة بإسرائيل لتأديب المقاومة ، وبعد أن انتشرت هذه الأنباء وصلت ٢٥ طائرة فانتوم أمريكية إلى قاعدة « انسرليك » بجنوب تركيا .. وبدأ الأسطول السادس يتحرك فى البحر الأبيض للقيام بمظاهرة عسكرية لإيقاف عبد الناصر عند حده إذا أراد أن يتحرك لمساعدة المقاومة ..

فى هذا الوقت كانت القوات المسلحة المصرية قد تمكنت من الوقوف على قدميها بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، واستطاعت أن تغير الموقف فى منطقة القناة لصالحها ، هذا بالإضافة إلى التواجد السوفيتى القتالى فى مصر(٢) وكان الرئيس عبد الناصر قد ناشد فى أول مايو سنة ١٩٧٠ ، ناشد الرئيس الأمريكى نيكسون بوقف دعمه لإسرائيل بالطائرات الفانتوم مقابل عدم تعريض المصالح الأمريكية فى المنطقة للخطر ..

كان هذا فى أول مايو سنة ١٩٧٠ ، وبعد شهر واحد أى فى يونيو سنة ١٩٧٠ أيقنت الولايات المتحدة الأمريكية أن دعمها المستمر لإسرائيل سوف يعرض

---

(٢) الفريق محمد فوزى — إستراتيجية المصالحة — جزء ٢ ، مذكرات الفريق فوزى ، ص ٥٨ وما بعدها .

مصالحها مع العالم العربى للخطر، وأن التواجد السوفيتى القتالى سوف يزداد كلما تصاعدت العمليات العسكرية، وأن خسائر الطائرات الأمريكية الفانتوم والاسكاى هوك آخذة فى الزيادة، وكانت خسائر إسرائيل من هذه الطائرات قد وصلت فى شهرى يونيو ويوليو إلى ١٨ طائرة تدمير وإصابة أكثر من ٥٠ طائرة.. وتحركت واشنطن وقدمت مشروعاً للتسوية الشاملة على الجبهات الثلاث يتضمن وقف إطلاق نيران مؤقت تمهيداً لمفاوضات غير مباشرة تحت رعاية الأمم المتحدة فى نيويورك.. وهو المشروع الذى سمى بمبادرة روجرز والذى على أساسه توقف إطلاق النار اعتباراً من أول أغسطس سنة ١٩٧٠..

لم يكن هناك شك فى أن التحرك السريع للولايات المتحدة الآمريكية لإيقاف حرب الاستنزاف بصفة مؤقتة مثيراً للريبة والشك.. فما أن قبلت مصر المبادرة وتوقف إطلاق النار فى أول أغسطس سنة ١٩٧٠ حتى بدأت المناوشات بين المقاومة والجيش الأردنى وتصاعدت إلى أن أصدر الملك حسين قراره بتشكيل الحكومة العسكرية فى ١٥/٩/١٩٧٠ التى أصدرت أول أوامرها للمقاومة بتسليم أسلحتها.. ثم كانت المظاهرة العسكرية الأمريكية فى شرق البحر الأبيض المتوسط التى كانت تتم تحت اسم «**مناورة**» ويذكر هيكل فى ١٦/١٠/١٩٧٠ استناداً إلى تقارير وكالات الأنباء أنه كان مقرراً أن يشهد الرئيس نيكسون هذه المناورة من جسر حاملة الطائرات «**ساراتوجا**» فى البحر الأبيض، وكان المقصود من هذه العملية كلها، على حد قول «ماكس فرانكل» الصحفى بالنيويورك تايمز الذى كان يرافق الرئيس نيكسون على ظهر حاملة الطائرات «**ساراتوجا**»، كان المقصود شيئاً واحداً:

أن يسمع جمال عبد الناصر فى القاهرة دوى مدافع الأسطول الأمريكى السادس..

وكان الموعد المقرر لبدء المناورة هو الساعة العاشرة من مساء يوم ٢٨/٩/١٩٧٠..

وليس من قبيل الصدف ــ بالطبع ــ أن يكون أنور السادات فى استديو الأخبار بالتليفزيون المصرى الساعة العاشرة مساء يوم ٢٨/٩/١٩٧٠.. ليعلن على العالم وفاة جمال عبد الناصر..! إنه نفس الوقت الذى اختاره نيكسون لبدء المناورة فى شرق البحر الأبيض..!

قبل هذا بيوم واحد، فى ١٩٧٠/٩/٢٧ كان مؤتمر القاهرة (هيلتون) قد توصل إلى اتفاق جماعى ينص على :

أولاً : إيقاف إطلاق النار فوراً بين المقاومة الفلسطينية والجيش الأردنى فى جميع المواقع بالأردن .

ثانياً : انسحاب الجيش الأردنى وأفراد المقاومة من كافة المدن قبل مغرب نفس اليوم .

ثالثاً : تكليف لجنة برئاسة الباهى الأدغم ممثل الرئيس التونسى بالسفر إلى الأردن فى اليوم التالى مباشرة (١٩٧٠/٩/٢٨) لمتابعة تنفيذ الاتفاق .

لقد كان الموقف فى الأردن بين المقاومة والجيش الأردنى على وشك الانفجار الذى يشعل حرباً جديدة فى المنطقة قد تمتد نيرانها إلى القوتين الأعظم ..

واستجابت سوريا لنداء المقاومة لمساعدتها وأنفذت لواء مدرعاً إلى الأردن .. وكان دخول المدرعات السورية حدود الأردن هو العامل الذى استندت إليه واشنطن لتغيير طبيعة المشكلة من مشكلة محلية إلى مشكلة دولية خاصة وأنها زعمت أن تحرك اللواء السورى المدرع يستند إلى قوة الأسطول السوفيتى الذى كان يتمركز ـــ وقتها ـــ فى البحر الأبيض ..

وكان الخطر الآخر الذى كان يجرى حسابه هو أن تنتهز إسرائيل الفرصة لتوجيه ضربة عسكرية إلى سوريا، وبرغم أن مصر لم تكن تملك القوات التى تساعد بها سوريا، إلاّ أن مصر ـــ كما يقول محمود رياض وزير الخارجية ـــ كانت ستستأنف القتال فى جبهة سيناء .. وهذا ما كان يؤدى إلى حرب جديدة ..

لقد جرى تصوير الأزمة ـــ بين المقاومة وحكومة الأردن التى كانت مصممة على تصفيتها ـــ على أنها مواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وكان كيسنجر ـــ كما يذكر فى مذكراته ـــ يدفع رئيسه ريتشارد نيكسون إلى سحق المقاومة باعتبارها ضربة للاتحاد السوفيتى متجاهلاً أنه لم يكن للاتحاد السوفيتى أية مصالح ليدافع عنها فى الأردن .. وكان كيسنجر يكتب :

« إننى أعتبر أنه من الضرورى أن نحافظ على حكم الملك حسين ، فمن المهم أن ندلل على أن الصداقة مع الغرب واتباع سياسة خارجية معتدلة سوف تتم مكافأتها بالمساندة الأمريكية الفعالة » . .

وتكشف مذكرات كيسنجر فى هذا الوقت ــ سبتمبر ١٩٧٠ ــ عن كراهيته وحقده على جمال عبد الناصر فيقول :

« إننى شعرت بميل وانحياز نحو مساندة الملك حسين حينما كان ذلك ممكناً ، تماماً مثلما سعيت إلى إحباط ناصر طالما أنه يعتمد بهذا العمق على علاقته بالسوفييت و يساند كل الحركات الراديكالية ، ومن ثم فقد بدا لى الآن أن من المهم أن ندلل على أن الصداقة مع الولايات المتحدة لها منافعها ، لقد كان حسين يناصر الاعتدال دائماً ، و يقاوم المد الراديكالى ، و يتفادى الشعارات المعادية للغرب ، وهكذا فإن الأردن ، فى رأيى ، كانت اختباراً لقدرتنا على التحكم فى أحداث المنطقة . . »

و بالطبع فقد تجاهل السيد كسينجر أن قضية الملك حسين لم تكن هى فقط سحق الفدائيين الفلسطينيين ــ وقتئذ ــ وإنما كانت قضيته أيضاً منذ ١٩٦٧ هى استعادة الضفة الغربية من إسرائيل وهى قضية اجتمع من أجلها كسينجر أكثر من مرة مع الملك حسين بغير أن يحاول كسينجر أن يدلل عملياً على أن « **الصداقة مع أمريكا لها منافعها** » (٣) .

و بقدر ما يعترف كيسنجر بأنه كان يسعى إلى إحباط عبد الناصر مدعياً أن السبب فى ذلك هو اعتماده على السوفييت بقدر ما يتجاهل حقيقة أن الذى سعى إلى وقف القتال فى الأردن هو عبد الناصر ، وأن مساندة كيسنجر لسحق الفدائيين الفلسطينيين هى فى الواقع مساندة لهدف إسرائيلى وليس لهدف أردنى . .

وكان كيسنجر يرى أن دخول المدرعات السورية إلى الحدود الأردنية يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ كان بدافع من السوفييت ، ومن ثم ففى تهديد سوريا وانسحابها هزيمة للسوفييت ، وهذا مخالف للحقيقة لأن الاتحاد السوفييتى نصح سوريا بسحب مدرعاتها . .

---

(٣) مذكرات محمود رياض ، ص ٣٠٤ .

لقد كانت بصمات الولايات المتحدة على الأزمة واضحة ، وكان الكثيرون من الساسة يدركون أن للولايات المتحدة وإسرائيل مصلحة مؤكدة فى انهيار الجبهة الشرقية وازدياد الخلافات العربية ..

كانت إسرائيل تريد ترسيخ التوسع فى الأراضى المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ وهذا لن يتم إلاّ بالهدوء على الجبهة الجنوبية وقد تم ذلك بموجب مبادرة روجرز و بقى أن يتحقق ذلك بانهيار الجبهة الشرقية وهذا ما كانوا يريدونه .. ولكن عبد الناصر كان يقف فى طريقهم .. وكان عليهم لكى يصلوا إلى أغراضهم أن يزيحوه من طريقهم .. وكان هناك رجل جرى إعداده بدقة وحاصل على كل المؤهلات التى تكفل له الشرعية ، وفى يده ورقة رسمية تقول بأنه نائب رئيس الجمهورية .. ولم يكن هناك صعوبة فى عملية الاستبدال إلا فى الكيفية التى يختفى بها جمال عبد الناصر من على المسرح .. كيف .. ؟ ! هل يكفى أن ينزل الستار ثم يقوم الممثلون بخنق البطل .. ؟

وكانت هناك مفاوضات ولقاءات واجتماعات كثيرة قد تمت للإعداد لهذا اليوم .. اليوم المحدد لإنزال الستار على البطل ..

كان الملك فيصل قد حضر مؤتمر القاهرة (هيلتون) وكان الوفد السعودى من أكبر وفود المؤتمر وكان أنور السادات هو الزائر المفضل للوفد ورئيسه الملك فيصل .. وكانت هناك علاقات سابقة للسادات مع الأسرة المالكة السعودية .. ومع رجل السعودية القوى كمال أدهم رئيس المخابرات السعودية وممثل الـ C.I.A فى المنطقة والذى أصبح فيما بعد الزائر شبه الدائم للسادات بعد عام ١٩٧٠ !!

وإذا كان جمال عبد الناصر قد ذهب إلى الهيلتون يوم ٢٣ سبتمبر وكانت إقامته فى الدور ١١ ، واستمر هناك لمدة خمسة أيام ، حتى مساء ١٩٧٠/٩/٢٧ .. وخلال الخمسة الأيام هذه كانت الرتوش النهائية قد تمت للتخلص منه قبل أن يتوصل إلى قرار إجماعى بإيقاف مذبحة الفلسطينيين فى الأردن ..

وكان لدى المخططين محوران :

المحور الأول : يتم فيه التمهيد للقضاء على عبد الناصر من خلال فندق هيلتون الذى يصل فيه رأس المال الصهيونى إلى ٥٤ ٪ .. وحيث يقدم الفندق من خلال مطبخه وجبات الطعام للملوك والرؤساء والوفود المختلفة ..

وصحيح أن هناك إشرافاً على وجبات الطعام التى تقدم للرئيس عبد الناصر .. ولكنه إشراف غير دقيق وغير محكم لأن المشرفين على هذه العملية كانوا يفتقرون إلى المعرفة الضرورية بإجراءات حماية رئيس الجمهورية عن عمد وسوء قصد أو عن حسن نية و بلاهة ..

ومنذ اليوم الأول لوجود الرئيس فى الهيلتون فإنه بدأ يشعر بالتعب والإرهاق وعلى الرغم من وجود عدد من رفاقه معه ضمن الوفد المصرى مثل : أنور السادات ، حسين الشافعى ، على صبرى .. وهيكل فإن كل من كتب عن هذه الأيام يسجل بأمانة تامة أن التعب والإرهاق كانا يحاصران عبد الناصر .. وكانا يعلنان عن وجودهما فى طريقة السير وفى التنقل وفى الجلوس والنهوض وفى لون الوجه وفى حركات اليدين ، وفى الحيوية الضائعة .. وفى ضيق الصدر البادى للعيان ، وفى فترات الراحة الطويلة التى يطلبها الرئيس ..

و يقدم لنا هيكل فى مقالته الشهيرة «**٢٨ سبتمبر.. الأربع والعشرون ساعة الأخيرة**» المنشورة فى ١٩٧٠/١٠/١٦ ، يقدم لنا صورة تكاد تنطق بالمرض والألم .. **يقـــول :**

« وعندما انتهت الجلسة فى الثالثة والنصف (١٩٧٠/٩/٢٧) كنت فى انتظاره بجناحه فى الدور الحادى عشر ، وعرفت منه بعض التفاصيل عما حدث ، وتركته ليستريح بعض الوقت ، ودخل إلى غرفة نومه وكانت الساعة الرابعة ، وتوجهت أنا إلى بيتى ، وكان الموعد المحدد للجلسة الختامية هو السادسة مساء ..

وفى الساعة الخامسة كنت أدخل على أطراف أصابعى مرة أخرى إلى جناحه ، وكان محمد داود [٤] الذى يقوم بخدمته الخاصة واقفاً على باب حجرة النوم ، واقترب منى يقول :

ــ إن الرئيس نائم ، وقد طلب إيقاظه فى الساعة الخامسة والنصف .

(٤) محمد داود ظل فى الرئاسة ، وعمل مع أنور السادات ، ثم سافر إلى السعودية واستطاع تكوين ثروة .

ودخلت غرفة الصالون ، المواجهة لغرفة النوم ، واتجهت إلى الشرفة ، أطل منها على النيل .. وأنتظر.

و بعد دقائق جاءنى محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس يقول لى :

ــ إن الرئيس نميرى والسيد الأدغم فى طر يقهما الآن إلى جناح الرئيس فهل نوقظه ؟

ونظرت فى ساعتى ــ كما أتذكر جيداً ــ وكانت الخامسة وسبع دقائق ، وقلت :

ــ ننتظر بعض الوقت .. نعطيه دقائق إضافية من النوم لو كنا نستطيع !

ويمضى هيكل فى سرد بعض الوقائع إلى أن يذكر أن محمد داود الذى يقوم على خدمة الرئيس جاء إليه يطلبه إلى غرفة نوم الرئيس :

وذهبت ، وكان واقفاً بجوار الفراش ، واستمع إلىّ فى ثوان قليلة ثم قال :
« اجلس معهما ــ أى مع نميرى والباهى الأدغم ــ وسوف آخذ حماماً سر يعاً وألحق بكم .. »

واستطرد وهو يتنهد :

لقد كنت فى نوم عميق من شدة التعب (١) .

• د . فوزى بباوى •

١٠) فى بحث هام قام به **الدكتور فوزى بباوى** ، مدير المكتب العلمى لشركة الصناعات الكيمائية المتطورة (A.B.I) عن عقار جديد لمرضى السكر، تقوم الشركة بتصنيعه و يعتمد فيه على دراسات نشرت بالمجلة العلمية لمرضى السكر (Diabetes Care) عدد سبتمبر سنة ١٩٨٧ ، وما نشر بالمجلد الخامس العدد رقم ١٠ من مجلة الطب الحديث ، صـ ٦٠ ، الصادر فى أكتوبر سنة ١٩٨٨ ، والملخص عن دراسة قيمة أجراها البروفيسور مكديلاند ، بجامعة (Wiscousin) وسكرنس ، عن تأثير الإجهاد الطبيعى والصناعى على مرضى السكر.. وكان البحث على عينة من المرضى عددها ٣٠٠ مريض ، واستمر البحث لمدة عامين ، وذلك للإجابة على السؤال التالى :

□ **ما مدى تأثير الإجهاد على مريض السكر.. ؟** =

هذه الصورة التى يقدمها هيكل و يستعيدها و يكررها فى كل ما كتب تكشف عن متاعب حقيقية ظهرت لدى الرئيس منذ وجوده فى الهيلتون .. فماذا حدث له هناك .. ؟

لقد أعدت مشاهدة جزء من فيلم وثائقى عن عبد الناصر وفيه يظهر عبد الناصر فى مؤتمر هيلتون .. والفيلم صُوِّر يوم ٢٥/٩/١٩٧٠ أى قبل الوفاة بثلاثة أيام .. وكان التعب بادياً عليه بصورة واضحة .. ألم يسترع هذا التعب نظر المحيطين بعبد الناصر و يسألوا عن السبب وعما إذا كان قد تناول شيئاً ضاراً من عدمه .. ؟ وهل فكّر أحد من السادة الأطباء الذين يزعمون أنهم كانوا يحيطون به إحاطة السوار بالمعصم — وليتهم ما فعلوا — هل فكر أحد منهم فى أن يعمل للرئيس Chek Up .. ؟

و يبدو أنه كان مقرراً أن يموت عبد الناصر فى الهيلتون وليس بعد ذلك .. لكنه تحامل على نفسه أكثر .. ولم يمت إلاّ بعد المؤتمر وفى يوم ٢٨/٩/١٩٧٠ ..

= و يلاحظ أن الإجهاد قد يكون طبيعياً أو مصنوعاً ، حيث قد ثبت فى مجال الجريمة أن « س » كان على علاقة بزوجة « ع » المصاب بخفقان فى القلب الذى يفرض على صاحبه الراحة وعدم الإجهاد .. وكان « ع » هذا يملك ثروة طائلة تؤول بطبيعة الحال فى حالة وفاته إلى زوجته ، فما كان من « س » إلاّ أن ترصد لـ « ع » وأخذ يطلق الرصاص أمامه ومن حوله ، بحيث دفع « ع » للفرار هنا وهناك والقفز لتفادى الرصاص إلى أن سقط ميتاً لا بالرصاص بل بالإجهاد ..

وهناك أنواع من العقاقير — أيضاً — تسبب لمريض السكر إجهاداً شديداً يؤدى إلى الوفاة .. كما أن جرعات الأنسولين التى يتناولها مريض السكر قد تسبب إجهاداً شديداً بالنسبة للكمية والنوع ..

و يصف البحث الإجهاد الذى يظهر على مريض السكر إذا ما قام بمجهود عضلى غير عادى ، حيث يظهر على المريض بعد فترة تتراوح بين ٦ و١٥ ساعة بعد تعاطيه حقنة الأنسولين (**و يلاحظ أن الإجهاد بدأ يظهر على الرئيس عبد الناصر بعد تعاطيه حقنة الأنسولين بـ ٣ ساعات**) .

و يفسر البحث المجهود بأنه كل عمل عضلى يخالف المألوف أو النظام المتبع العادى لدى المريض ، كالمريض الذى اعتاد قطع مسافة ٣ كيلومترات يومياً أو المريض الذى يتريض لمدة ٣٠ دقيقة ، فإذا زاد المريض من ٣ كيلومترات إلى ٦ كيلومترات ومن ٢٠ دقيقة إلى ٦٠ دقيقة يصبح هذا مجهوداً فوق المجهود العادى .

وقد ظهرت أعراض التعب على ٤٨ مريضاً من الـ ٣٠٠ بعد ٤ ساعات فقط من الرياضة غير المعتادة ، وكان ظهور الإجهاد عند قدوم المساء وفى وقت متأخر من الليل .

وذكر البحث أن ٣٢ حالة كانت فى حاجة شديدة إلى جلوكوز فى الوريد ..

المحور الثانى : كان المحور الثانى للقضاء على عبد الناصر يتم من خلال أطبائه بحيث يبدو فيه الأمر — على أسوأ الفروض إذا ما انكشف — وكأنه خطأ طبى أو خطأ فى التشخيص و يعالج بالتالى على هذا الأساس الخاطىء وعندئذ يفقد حياته ..

كانت عملية القضاء على عبد الناصر تبدأ فى الهيلتون فإذا فشلت تستكمل فى منشية البكرى .. وهذا ما حدث بالضبط ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

= ويحدد البحث مظاهر الإجهاد بأنها خمسة :

١ — فقد الوعى (كومة السكر) .

٢ — الضعف الشديد ..

٣ — عدم الانتباه إلى الحركات الارادية الصادرة عن المريض .

٤ — انعدام التركيز (اللخبطة) .

٥ — الصـــداع .

وكانت هذه المظاهر واضحة تماماً عند ١٦ حالة .

و ينصح البحث الأطباء المعالجين لمرض السكر بتخفيف جرعة الأنسولين لمرضاهم فى الأيام التى يتوقع فيها المريض أن يقوم بجهد مضاعف أو غير مألوف ، كما ينصح بإعادة النظر فى حالة المريض بعد تناوله جرعة الأنسولين بعدة ساعات لأنه من المحتمل أن يكون معدل الجلوكوز فى الدم قد انخفض بصورة ملحوظة ..

والأمر الذى لا شك فيه أن المجهود الذى قام به عبد الناصر فى الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٠ وخاصة فى اليوم الأخير ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ كان له تأثير مباشر عليه لم يدركه عباقرة الطب المحيطون به .. هذا إذا ما استبعدنا وجود خطة للتخلص منه فى هذا الوقت الذى حاول فيه وقف تصفية المقاومة الفلسطينية .

[المؤلف]

٤

● نهض الرئيس جمال عبد الناصر صباح ذلك اليوم (الاثنين ١٩٧٠/٩/٢٨) كعادته دائماً حوالى الثامنة ، ألقى نظرة على الصحف ، ووصل طبيبه الخاص د. الصاوى حبيب وأعطاه حقنة الأنسولين اليومية ، وتختلف الأقوال بعد ذلك عما إذا كان قد أجرى له د. الصاوى رسماً للقلب من عدمه ، فطبقاً لرواية هيكل المنشورة فى ١٩٧٠/١٠/١٦ أنه تحدث بالتليفون مع الرئيس جمال عبد الناصر الذى قال له : « أجد نفسى غير قادر على الوقوف » .. كان ذلك ــ طبقاً لرواية هيكل الساعة الواحدة ظهراً إثر عودته من توديع الملك فيصل يوم الاثنين ١٩٧٠/٩/٢٨ ، وعندئذ سأله هيكل ــ تليفونياً ــ

ــ هل رأيت الطبيب ؟

وأجاب :

ــ كان عندى الدكتور الصاوى ، وأجرى رسماً جديداً للقلب ، وقال إن كل شىء كما هو..

فهل كان يعنى أن الدكتور الصاوى قد أجرى رسماً للقلب صباحاً وقت تعاطيه للأنسولين أم فى وقت معاصر للمحادثة التليفونية مع هيكل .. ؟

الثابت لدينا أن د. الصاوي حبيب زاره في صباح يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ وأعطى له حقنة الأنسولين «ولم أمكث معه سوى ١٥ دقيقة هو الوقت الذي استغرقه الكشف الطبي عليه، ولم ألاحظ عليه شيئاً غير عادي، وبالطبع كشفت عليه كويس يعني قياس الضغط والقلب .. وعلى كل حال الريس راح مشواره، وأنا مش عارف أنا كان برنامجي إيه يومها، وعلى كل حال فأنا خلصت وجايز أكون قعدت في المكتب شوية وبعدين ذهبت إلى بيتي وعندئذ استُدعيت حوالي الساعة الثالثة والنصف أو الثالثة و٤٥ دقيقة» ..

هذا يعني أن د. الصاوي حبيب لم ير الرئيس عبد الناصر إلاّ في صباح ذلك اليوم، فإذا كان قد أجرى رسماً للقلب فإنه يكون قد أجراه في الصباح .. لكنه لم يذكر أنه أجرى رسماً للقلب .. إنما كشف على القلب بالسماعة ..

فمن أين إذن استقى هيكل معلوماته عن رسم القلب، لأنه من الثابت ــ والحال كذلك ــ أنه لم يجر للرئيس رسماً للقلب، ولا يمكن أن يذكر جمال عبد الناصر شيئاً لم يحدث .. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الجملة التي أوردها هيكل على لسان الرئيس وهي: «**كان عندي الدكتور الصاوي وقد أجرى رسماً جديداً للقلب وقال إن كل شيء كما هو**» ..

فهذه الجملة تعني أن هناك رسماً للقلب جديداً غير الرسم القديم، .. ثم تسقط الجملة في بلاهة منقطعة النظير..، إذ ماذا يعني بأن كل شيء كما هو؟ .. ماذا يقصد بها .. ؟ إنها جملة فاقدة المعنى، ونظراً لأنها غير صحيحة فإنها أخذت هذا الوضع غير المفهوم ..

ولذا فنحن نستبعد أنه قد أُجري رسم للقلب للرئيس جمال عبد الناصر لا صباح يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ لأن الطبيب الذي زاره لا يقر بأنه أجرى رسماً له .. ، ولا ظهر يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ لأنه لم ير أحداً من الأطباء في فترة الظهيرة ..

لكن لماذا أورد هيكل هذه القصة .. ؟ ثم ما الذي تعنيه هذه القصة بهذه الطريقة .. ؟!

هذه القصة أوردها هيكل لصالح د. الصاوي حبيب الذي يزعم بأن موت عبد الناصر قد تم بجلطة في الشريان التاجي، جلطة مفاجئة لا يمكن أن تنبيء عن نفسها أو تعلن عن قدومها في رسم للقلب أو كشف بالسماعة .. وتعني هذه القصة

أن الرئيس جمال عبد الناصر كان تحت رعاية مكثفة من أطبائه وهذا غير صحيح بالمرة ..

والواقع أن منظومة الموت بجلطة فى الشريان التاجى للقلب لا تخدم د . الصاوى حبيب فقط بل تخدم ـــ أيضاً ـــ د . منصور فايز المقول بأنه كان المشرف على علاج عبد الناصر وتظهرهم بأنهم قاموا بكل الاحتياطات اللازمة إلاّ أن الجلطة أو السكتة القلبية فاجأتهم وهذا لا يد لهم فيه ..

و يذكر لى د . الصاوى حبيب أنه كان ير يد أن يتكلم مع أحد ، ولم يجد عندئذ إلاّ أن يذهب إلى هيكل فى مكتبه و يقول له إنه ير يد أن يقول له كل شىء .. وما قاله له كان هو المادة الرئيسية التى اعتمد عليها هيكل فى مقاله المنشور فى ١٦/٩/١٩٧٠ بعنوان « ٢٨ سبتمبر .. الأربع والعشرون ساعة الأخيرة » ..

فهل ما ذكره د. الصاوى حبيب للأستاذ هيكل هو الحقيقة ؟ أم كان سينار يو جديداً متفق عليه للوفاة .. ؟!

وعلى كل حال فقد أفلتت الحقيقة من قلم هيكل عندما ذكر له عبد الناصر ظهر يوم الوفاة : « **أجد نفسى غير قادر على الوقوف** » فمتاعب الرئيس بدأت إذن منذ الصباح ..

يذكر محمود الجيار مدير مكتب عبد الناصر فى ذكر ياته أنه كان فى المطار أثناء وداع الرئيس عبد الناصر للملك فيصل الذى تم قبل الظهر وأنه بعد تحرك الطائرة وأثناء دوران الرئيس للوراء اختل توازنه ومال إلى السقوط فاقترب منه بحيث لو سقط « **لسقط فوقى ووقتها يمكننى أن أسنده** » .

فالمتاعب الصحية الواضحة ـــ كما سبق القول ـــ بدأ يعانيها الرئيس عبد الناصر منذ الصباح ..

فلنرى ماذا تناول فى هذا الصباح الحز ين .. ؟

فى البداية لابد أن نسلم بأنه تناول حقنة أنسولين من الدكتور الصاوى حبيب .. فما الذى كانت تحتوى عليه هذه الحقنة .. ؟ هل كانت تحتوى على الأنسولين فعلاً ؟ وهل كان الأنسولين بالكمية المضبوطة ؟ و يذكر د . الصاوى حبيب : « **أن الرئيس عبد الناصر كانت احتياجاته من السكر قليلة جداً ، واحنا كنا نتفادى أن يحدث له : هيبوجلاسيا (أى غيبوبة ز يادة السكر فى الدم) » وقد سبق أن حدثت له هذه الحالة وفيها يفقد المريض وعيه وتعرف ـــ أيضاً ـــ هذه الحالة بـ** Asidosis **وتظهر رائحة**

الأسيتون فى زفير المريض مع حدوث قيء والتهاب حاد بالبطن و يصبح جلد المريض جافاً و يظهر فى تحليل البول (سكر+ أسيتون) .

يتحدث د . أحمد الغريب وهو من أكبر أساتذة الغدد الصماء ومرض السكر فى كتاب له صدر عن دار المعارف بعنوان (مرض السكر للمواطن والممارس العام) يتحدث عن مرض السكر وعن أنواع العلاج لهذا المرض و يطرح فى ص ٢٧ سؤالاً **هاماً : هل هناك مضاعفات من استعمال الأنسولين ؟**

ويجيب د . الغريب على السؤال بقوله :

لكل عقار مضاعفاته حتى الأسبيرين لا يخلو من مضاعفات ، ولكن الأنسولين إذا فهم المريض كيف يعمل اتقى شر مضاعفاته فإذا زادت كمية الأنسولين عن المعدل اللازم لاحتراق ما أكله من طعام ، انتهى به إلى نقص فى كمية السكر ، وإذا حدث وأخذ الأنسولين مثلاً ولم يأكل فقد يذهب به ذلك إلى غيبوبة قاتلة ، وأعراض نقص الأنسولين هى نفس أعراض حقنة الأدرينالين لمريض الربو مثلاً ، فيشعر بصداع وعرق مع هزال شديد ويمكن إسعاف المريض فى الحال إذا كان واعياً بإعطائه قدراً من السكر مذاباً فى الماء أو حلوى ، أما إذا فقد الوعى فلابد من أخذ الجلوكوز حقناً فى الوريد ، وإذا ترك المريض مدة طويلة فاقد الوعى دون تشخيص فإن الأمل فى شفائه ضعيف فقد تحدث أثناء هذه الغيبوبة جلطة بالقلب أو المخ ..

و يؤكد د . الغريب على ضرورة نقل المريض فوراً إلى المستشفى فى حالة الغيبوبة مع إعطائه سكراً فى الحال ..

إذن فكمية الأنسولين هامة جداً وعلى هذه الكمية تتوقف ــ أحياناً ــ حياة مريض السكر ، وكمية الأنسولين سلاح ذوحدين ، إن الأنسولين كالقنبلة الذرية يمكن استعماله للأغراض السلمية وللأغراض التدميرية .. و يتوقف هذا على الكمية ليس إلاّ ..

كمية الأنسولين هامة جداً ، وسوف يؤكد لنا د . الصاوى حبيب أنه أعطى الرئيس الكمية المناسبة والمعتادة .. ولكن من يدرى .. ؟ أن الدكتور الصاوى حبيب يصر ــ دائماً ــ على اعتبار كل ما يتصل بنوع العلاج والعقاقير الخاصة بعبد الناصر ..

يعتبرها سراً من الأسرار العسكرية لكنه لا يعتبر أمراض الرئيس بنفس الأهمية أو يغلفها بنفس القدسية ، لأن العلاج والعقاقير تتصل بذات الطبيب التى لا يجب أن تمس .. بينما مرض الرئيس من الشئون العامة لا قيد ولا حرج من الإعلان عنها والتحدث فيها خاصة وأنه غائب عنا !

غير حقنة الأنسولين التى تناولها الرئيس عبد الناصر فى الصباح ، جلس على المائدة وتناول نصف تفاحة طبقاً لأقوال تحية هانم (حرم الرئيس) للدكتور رفاعى كامل(١) ، وطبقاً لأقوال هيكل(٢) أنه **«تناول تفاحة واحدة من صندوق تفاح جاء به الوفد اللبنانى إلى مؤتمر القاهرة ثم فنجان قهوة مع السيدة حرمه»** .

بعد ساعتين أى فى الساعة الحادية عشرة تقريباً بدأت المتاعب تظهر على الرئيس عبد الناصر ، وكل الذين تحدثوا إليه تليفونياً أو مواجهة .. وكل الذين شاهدوه شعروا بأن الرئيس يعانى من متاعب حقيقية .. والرئيس نفسه لم يستطع أن يخفى تعبه ! ألا يدفعنا هذا إلى الشك فى سلامة التفاحة التى تناولها الرئيس ؟

فمن أين حصل مطبخ الرئيس عبد الناصر على هذه التفاحة .. ؟

ذكر لى السيد محمد أحمد سكرتير الرئيس والذى كان مرافقاً له طوال مدة عقد مؤتمر القاهرة بفندق الهيلتون أن الوفد اللبنانى لم يحمل معه إلى الرئيس صندوق تفاح .. بل لم يحمل له أية هدية على الإطلاق .. ونحن نتفق مع نفى السيد محمد لأنه نفى منطقى .. فليس من المعقول أن يحضر الوفد اللبنانى على عجل لمؤتمر يناقش مذبحة الفلسطينيين فى الأردن .. ويحمل معه صندوقاً مليئاً بالتفاح .. بالإضافة إلى هذا فإن لدى السيد محمد أحمد تعليمات واضحة وصريحة بعدم قبول أى هدايا من أى وفد وخاصة الهدايا اللبنانية .. وبالتالى فلا يمكن أن تكون هذه التفاحة التى تناولها الرئيس مصدرها الوفد اللبنانى فى مؤتمر القمة .. لكن السيد هيكل يكرر هذه الرواية أكثر من مرة ويصر على أن الوفد اللبنانى جاء بصندوق تفاح .. وأن هذه التفاحة من هذا الصندوق .. ولما كان من الثابت أن الوفد اللبنانى لم يحمل معه تفاحاً .. فليقل لنا السيد

---

(١) د. رفاعى كامل فى شهادته المسجلة فى ١٩٨٦/١٠/٥

(٢) هيكل ــ ٢٨ سبتمبر الــ ٢٤ ساعة الأخيرة ــ جريدة الأهرام ، ١٩٧٠/١٠/١٦ .

هيكل مصدر هذه التفاحة فهو بلا شك يعرف مصدرها .. وإلى أن يصرح لنا بذلك .. فإننا نسأل عن هذا المصدر فربما عثرنا عليه ..

قرر لى السيد المهندس جمال الحسينى والذى كان مشرفاً على عملية شراء الخضروات والفواكه وتخزينها فى بيت الرئيس أنه لم يتلق صندوقاً من التفاح اللبنانى خلال فترة عقد المؤتمر أى فى الفترة من ٢٣ سبتمبر إلى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ..

لا نريد أن نأخذ ما تردد بين خاصة من الناس أنه عن طريق عميل مزروع ــ بصرف النظر عن جنسيته وعن الجهة التى يعمل لحسابها ــ عميل مزروع فى بيت عبد الناصر وصلت هذه التفاحة إلى مائدة الرئيس بعد حقنها بالسم طويل المفعول .. ، لا نريد أن نأخذ هذا الكلام على محمل الصدق .. لكن أيضاً لا ينبغى تجاهله كلية لوجود ارتباط بين تناول التفاحة وبين المتاعب التى بدأ يعانيها الرئيس ذلك الصباح من يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ ..

كان ــ بالطبع ــ من الضرورى سؤال كل من يعمل فى بيت الرئيس .. لكن الصعوبة فى ذلك أن عدداً غير قليل من الذين كانوا يعملون بالخدمة فى بيت الرئيس كانوا يتبعون جهات معينة وبعضهم كان منتدباً من المخابرات وبعضهم كان منتدباً من وزارات ، والبعض الأخير كان يعمل بين رئاسة الجمهورية فى قصر القبة ــ حيث كان حسن التهامى وزيراً لشئون الرئاسة ومكتبه ونفوذه وسلطاته هناك ــ وبين بيت الرئيس فى منشية البكرى ..

كذلك كان بعض العاملين فى بيت الرئيس مرؤوساً لرئاسات خارج منشية البكرى وهؤلاء ــ بالطبع ــ لا يمكن السيطرة عليهم ..

والواقع أن هناك شخصين كانا مسئولين مسئولية مباشرة عن حماية بيت عبد الناصر وتأمينه ، هما : السيد سامى شرف وزير الدولة ومدير مكتب الرئيس للمعلومات وكان مكتبه لا يبعد عن بيت الرئيس بأكثر من ١٥ خطوة ، وأما الشخص الثانى فهو السيد محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس .. هذان الشخصان هما المسئولان عن دخول أى شخص إلى بيت الرئيس عبد الناصر ولا يمكن لأحد ــ غير أهل البيت ــ أن يخطو خطوة إلى داخل منشية البكرى إلاّ بتصريح وموافقة من سامى شرف أو محمد أحمد .. فليقل لنا أحدهما من الذى وضع التفاحة على مائدة الرئيس جمال عبد الناصر صباح يوم الاثنين ٢٨

سبتمبر سنة ١٩٧٠ .. ؟ وإلى أن يتكرم أحدهما بالإجابة على هذا السؤال .. فلنعد خطوة إلى الوراء .. مجرد دقائق قبل تناول الرئيس التفاحة أو نصفها .

ففي هذا الوقت كان الدكتور الصاوى حبيب يعطى حقنة الأنسولين للرئيس ومع افتراض حسن النية الكامل فإن الطبيب يعرف بالضبط المسافة التى يقطعها الأنسولين فى الجسم ليصبح بعدها المريض فى حاجة إلى كمية أخرى من الأنسولين ووجبة أخرى من الطعام ، وطبقاً لأقوال د . الصاوى حبيب فإن الرئيس كان يتناول كمية قليلة من الأنسولين ، وأنه أعطاه الأنسولين فيما بين الساعة الثامنة والتاسعة صباحاً بعدها تناول الرئيس نصف تفاحة أو تفاحة كاملة ..

التفاحة تحتوى على (٦٠ ــ ٨٠) سعراً حرارياً بينما كان الرئيس فى حاجة إلى حوالى ١٠٠٠ سعر حرارى فى فترة الصباح ، فلنفترض جدلاً أنه تناول فنجاناً من القهوة به قطعة من السكر تزن ٨ جرامات وعلى هذا فإنها تمنح صاحبها ٣٢ سعراً حرارياً ..

كذلك فإن الأنسولين يستمر فى الجسم من ٦ إلى ٨ ساعات هذا إذا لم يبذل الشخص مجهوداً مميزاً أو غير معتاد .. لكننا نلاحظ أن الرئيس قد بذل جهداً مميزاً فى الانتقال من البيت إلى المطار لتوديع الملك فيصل بما فى ذلك القيام بمراسيم التوديع التى تستغرق أكثر من ٣٠ دقيقة .. ومن هنا وبعد هذا المجهود العضلى تبخر السكر واحترق وأصبح فى حاجة إلى سكر جديد وإلى أنسولين جديد .. وقد عاد إلى البيت منهكاً وما كاد يصل حتى ذهب إلى فراشه ليمنح نفسه بعض الراحة استعداداً لحضور الوداع الأخير الذى كان مقرراً أن يتم حوالى الثانية عشرة ظهراً لكن أمير الكويت التقى بالجالية الكويتية وعلى هذا فقد تأخرت طائرته إلى الثالثة بعد الظهر..

وكان تعب الرئيس وإرهاقه فى هذه الفترة ــ فترة ما بعد الظهر ــ أقوى وأظهر من أن تخفى على أحد حتى إن اللواء فؤاد عبد الحى السكرتير الخاص المساعد للرئيس اتصل تليفونياً بكبير الياوران الفريق أول سعد الدين متولى الذى كان ينتظر حضور الرئيس بالمطار وطلب منه أن يطلب من السيد النائب أنور السادات بأن يستقبل أمير الكويت ويجلس معه فى استراحة المطار إلى أن يصل الرئيس لأنه متعب قليلاً ..

ويقدم هيكل صورة محزنة عن متاعبه وآلامه، وكيف شكا إليه الرئيس، وكيف طلب منه هيكل بأن يستريح، وكيف قال له الرئيس إنه متعب جداً.. ومظاهر كثيرة وقوية وشديدة كانت تتطلب من رفاق الرئيس أن يسألوا ويستفسروا: ماذا ألمّ بالرئيس..؟ لماذا لا يذهب إلى المستشفى؟.. لماذا لا ينقله أطباؤه بالقوة إلى غرفة العناية المركزة ويسلطون الأضواء الكاشفة على جسمه ليعرفوا سر تعبه وانهياره..؟! لماذا وقف السادات والشافعي وعلى صبرى والفريق فوزى يتفرجون على الرئيس عبد الناصر وهو يكاد يسقط بينهم ولا يتحرك واحد منهم ويصر على نقله إلى المستشفى أو يطلب له طبيباً مخلصاً من غير هيئة الأطباء الذين احتكروا المتاجرة بعلاجه وأوصلوه إلى باب القبر بعبقريتهم ونبوغهم وإخلاصهم؟!!

وعلى كل حال فلنسترجع معاً بعض ما قرره شهود العيان عن رؤيتهم لجمال عبد الناصر يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠.

- فى الصفحة ٢٦٣ من كتاب «البحث عن الذات» قرر السادات أن الرئيس عبد الناصر «**عانى من مظاهر كومة السكر منذ الصباح، فعند توديع الملك فيصل فى الصباح نبهنى كبير الياوران الفريق أول سعد متولى إلى أن قدمىْ الرئيس جمال قد (لفّت على بعضها) وهو يسير فطلبت من عبد الناصر أن يذهب ليستريح فى بيته وأقوم أنا نيابة عنه بتوديع أمير الكويت ولكنه رفض**».

ويستطرد السادات:

«كان من الواضح أنه يتحامل على نفسه، فعندما ركب أمير الكويت ــ بعد الظهر ــ طائرته، لم يتحرك عبد الناصر من أمام الطائرة بل وقف مكانه والعرق يتصبب من وجهه وقد امتقع وجهه بصفرة رهيبة.. فطلب أن تأتى السيارة إلى حيث كان..»

- وذكر السيد أمين هويدى وكان وزيراً للدولة ومشرفاً على المخابرات: فى أثناء توديع أمير الكويت **شعر الرئيس بأنه غير قادر على الوقوف وطلب سيارته لتقله من حيث يقف لأنه أصبح عاجزاً عن السير إليها وركب السيارة وهو يجر رجليه.. الخ..**

وذكر الفريق أول سعد الدين متولى كبير الياوران أن الرئيس عبد الناصر كان متعباً منذ الصباح وأن مظاهر التعب بدت أشد بعد الظهر عند توديعه لأمير الكويت ، فقد اختصر مراسم التوديع ، وعندما استراح فى الصالون وذهب إليه ليخبره بأن كل شىء جاهز وطاقم الطائرة مستعد ليهيىء نفسه لتوديع الضيف طلب منه الرئيس هامساً « **خلينى .. أريّح شوية** » .. كما قرر كبير الياوران أن الرئيس عندما حضر إلى المطار كان يتحامل على نفسه لينهض من صالون السيارة ، وقد تعلق بالمقبض الكائن بطرف الباب ليتمكن من الخروج ..

وقرر الفريق أول محمد فوزى أن مظاهر التعب والإرهاق كانت بادية تماماً على الرئيس عبد الناصر .

وقرر اللواء فؤاد عبد الحى أن الرئيس عبد الناصر كان فى السيارة أثناء العودة من المطار بعد توديع أمير الكويت يسند رأسه بيد و باليد الأخرى يمسك بمقبض السيارة وكان التعب بادياً عليه ..

وذكر د . رفاعى كامل أنه كان بالبيت يشاهد مراسم توديع أمير الكويت بالتليفزيون ولاحظ أن الرئيس كان يسير إلى جانب ضيفه وهو يتصبب عرقاً ، ورجليه تلف على بعضهما ، ولم يستطع التوجه إلى السيارة لأن صلاح الشاهد كان ينادى له على السيارة .. وهذه أعراض كومة نقص السكر ..

اللواء عز الدين عثمان وكيل وزارة الداخلية والمسئول عن الأمن الخارجى للرئيس (أى الأمن خارج بيت الرئيس) قال لى فى لقاء معه بتاريخ ١٢/١١/١٩٦٦ أنه لاحظ أن وداع أمير الكويت استغرق وقتاً أكثر من اللازم ، وأثناء التوديع كان يبدو كمن يضع رأسه على كتف أمير الكويت ، وقال إنه حيا الرئيس ولكنه لم يرد التحية كما كان يفعل دائماً ، واكتفى بإيماءة من رأسه ..

* اللواء فاضل عثمان رئيس مكتب أمن الدولة بالمطار قرر أنه رأى الرئيس عبد الناصر بعد ظهر يوم ٢٨ سبتمبر وأن التعب كان يبدو واضحاً عليه ..

... و بعد ألم يكن هناك سبب لنقل جمال عبد الناصر إلى غرفة العناية بمستشفى المعادى العسكرى .. ؟!

٥

كانت الساعة الثالثة و٢٠ دقيقة من بعد ظهر يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ عندما انفتحت بوابة بيت الرئيس فى منشية البكرى وهبط منها حارسه الخاص من جانب السائق وفتح له باب السيارة وهبط الرئيس جمال عبد الناصر بصعوبة شديدة ، ومن الجانب الآخر هبط اللواء فؤاد عبد الحى وأسرع يسبقه إلى داخل البيت ، وفتح له باب المصعد ، وكانت تحية هانم فى أعلى السلم الصغير الموصل بين الدور الأول وبين الصالة التى كان يسير فيها الرئيس متجهاً نحو المصعد ، ولاحظت حرمه أن « رجليه تلف على بعضها » .. ولذا فقد استقبلته عندما وصل المصعد .. وبادرها بقوله : إنه لا يستطيع أن يضع فى فمه شيئاً الآن ..

واتجه إلى حجرته وخلع ثيابه وارتدى بيجامته ثم ارتمى على فراشه فى انتظار طبيبه الدكتور الصاوى حبيب الذى وصل الساعة الرابعة إلا ثلثاً .. وربما كانت الساعة قد وصلت إلى الرابعة ..

وطلب د . الصاوى على الفور : « أى عصير » حسب تعبيره لمحمد حسنين هيكل ، وجاءته السيدة قرينته بكوب من عصير البرتقال ، وخرجت بعد أن أغلقت الباب وراءها .. وقد ذكر محمود الجيار أنه رأى كوب العصير لم يمس .. (!!)

وبعد ١٥ دقيقة طلب د. الصاوى من اللواء فؤاد عبد الحى من خلال توصيلة التليفون أن يستدعى الدكتور منصور فايز.. ثم وبعد دقيقتين طلب استدعاء د. زكى الرملى..

فى الساعة الرابعة و٤٠ دقيقة كان الرئيس قد فشل تماماً فى مقاومة التدهور الذى يعتريه منذ الصباح فى غيبوبة كانت متوقعة تماماً..

بعد خمس دقائق، أى فى الساعة الرابعة و٤٥ دقيقة كان الرئيس عبد الناصر فى غيبوبة كاملة.. وبعد ٥ دقائق أخرى وصل د. منصور فايز وعلى أثره وصل د. زكى الرملى.. ولم يعد هناك ما يمكن عمله إلا الاتفاق على سينار يو مقبول لمواجهة هذا الموقف..

ويبدو أن د. الصاوى عندما اتصل بالدكتور منصور فايز ليسرع بالمجىء لخص له الحالة فنصحه بإعطائه حقنة إنتستين وهى حقنة مثبطة.. ولمّا لم تُجد هذه الحقنة نفعاً فإنه ــ كما يذكر د. رفاعى كامل ــ قد أعطى له حقنتين من عقار الـ Pantopon (بانتوبون) وهو من مشتقات المورفين ويعطى لإيقاف الألم وتهدئة الحالات الصعبة.. لكنه فى حالة عبد الناصر فقد كانت هذه الحقن الثلاث هى التى عجلت بوفاته ــ كما يؤكد ذلك د. رفاعى كامل ــ

مات عبد الناصر إذن فى الساعة الرابعة و٥٠ دقيقة تقريباً يؤكد ذلك أنه فى الساعة السادسة و١٥ دقيقة أعلن د. منصور فايز لرفاق عبد الناصر وأصدقائه الذين كانوا قد تجمعوا فى حجرته أنه مات.. فلما سألوا بدهشة مشوبة بالعجب: ومتى حدث هذا ونحن هنا منذ أكثر من نصف ساعة..

قال د. منصور فايز: لقد مات منذ ساعة ونصف!! هل سبقنا الأحداث..؟

نعم، وعلى كل حال فقد كان السينار يو يحتم على الأطباء أن يثبتوا أنهم بذلوا كل المحاولات الممكنة للإبقاء على حياة الزعيم لكن الموت كان أسبق إليه منهم..

كان السينار يو الذى أُعد على الفور هو:

ــ طلب أنبوبة أوكسجين

— استدعاء د. طه عبد العزيز للقيام بعمل صدمات كهربية لتنبيه القلب وتنظيم ضرباته وإلى أن يصل يعمل تدليك للقلب

— يعطى حقن من الأدرينالين فوراً فى عضلة القلب لتكون شاهداً على صحة المحاولات التى بذلت

وبدأ التنفيذ على الفور فاستُدعى على عجل «سفرجى» كان يقف بالباب يدعى فؤاد زكى وطُلب إليه أن يسرع بإحضار أنبوبة أوكسجين من صيدلية البيت الواقعة بالدور الثانى بمبنى السكرتارية الخاصة ..

وهُرع فؤاد زكى إلى الصيدلية فوجدها مغلقة وكان المشرف عليها د. صلاح جبر يحمل المفتاح معه كالعادة فى مثل هذه المواقف فذهب فؤاد زكى والفزع يسيطر عليه إلى اللواء فؤاد عبد الحى وقال له: **«عايزين أوكسجين الريس تعبان والصيدلية مقفولة ..»**

تحرك فؤاد عبد الحى سريعاً مع اثنين من أفراد الحرس وحطموا باب الصيدلية وحملوا الأنبوبة إلى غرفة الرئيس ..، ولم تفت هذه الواقعة على فؤاد عبد الحى الذى أدرك على الفور أن هناك شيئاً غير عادى فى حجرة الرئيس عبد الناصر، فقد لاحظ منذ وصول د. الصاوى حبيب أنه لم يخرج من حجرة الرئيس، بل وعلى العكس استدعى عدداً من زملائه الأطباء عن طريقه وبنفسه .. وقد مضى عليه داخل الحجرة أكثر من ساعة والدكتور منصور فايز والدكتور زكى الرملى وصل أيضاً .. ولكن أحداً منهم لم يخرج، لابد أن الأمر خطير وأن ما يحدث فى الداخل أخطر..

وتوصل فؤاد عبد الحى إلى قرار بدأ تنفيذه على الفور وهو أن يخطر رؤساءه ومن هم أكبر منه .. فرفع سماعة التليفون وأخطر رئيسه المباشر السيد محمد أحمد .. فقال له: هل طلبت د. منصور قال له: نعم ..

وفيما بعد ذكر د. منصور فايز أنه «بعد ظهر يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ اتصل بى السيد فؤاد عبد الحى من السكرتارية الخاصة للرئيس وقال لى إن الدكتور الصاوى موجود عند الرئيس ويطلب حضورك فوراً لأن الرئيس متعب .. وتوجهت فى الحال إلى منزل الرئيس ووصلت فى الرابعة وخمسين دقيقة .. وبعدى بدقائق وصل الدكتور زكى الرملى الذى كان الدكتور الصاوى قد استدعاه أيضاً».

وبعد قليل تلقى فؤاد عبد الحى أمراً من د. الصاوى أو من د. منصور باستدعاء د. طه عبد العزيز أستاذ القلب والأخصائى فى استخدام أجهزة الصدمة وتنظيم ضربات القلب .. ، ولا يذكر فؤاد عبد الحى متى تلقى هذا الأمر بالضبط .. لكنه على أية حال فقد طلب د. طه عبد العزيز ببيته بالعجوزة ، قال له بالتحديد :

سيادة الرئيس تعبان قوى ، تعالى بعربيتك فوراً ..

بعد عشر دقائق كان د. طه عبد العزيز يدخل من بوابة بيت الرئيس و يتجه فوراً إلى فؤاد عبد الحى الذى طلبه ليسأله عن الخبر وإلى أين يتوجه ..

قال له فؤاد عبد الحى : « **اطلع فوق للدكتور صلاح جبر** » ..

كان قد تم استدعاء د. صلاح جبر المشرف على الصيدلية ، وكان يعمل نائباً لرئيس القسم الطبى ..

وعصفت الدهشة بالدكتور طه عبد العزيز ، كيف يستدعونه من بيته على عجل ثم يلقون به فى الصيدلية .. ؟ ولهذا فقد ظن د. طه أن الاستدعاء كان من قبيل الأعمال الروتينية ، إلاّ أنه عاد واسترجع ما قاله له فؤاد عبد الحى فى التليفون : « **سيادة الرئيس تعبان قوى ، تعالى بعربيتك فوراً** » ..

تلفت د. طه عبد العزيز ورأى د. صلاح جبر وهو ينظر إلى نقطة ما فى سقف الصيدلية ، وكأنما يحدث نفسه قال : تصور يا طه طلبوا اسطوانات أوكسجين .. ح يعملوا بيها إيه ..

فى الجانب الآخر من الصيدلية كان الدكتور محمود فراج يرقد على كنبة ، كان نصف نائم ، فتح عينيه ثم نهض قائلاً : أنا ح أتوضا علشان المغرب ..

كان الدكتور طه عبدالعزيز جاهزاً للصلاة ولذا فقد أديا الصلاة سوياً ، وكان التوقيت الصيفى هو المتبع فكانت صلاة المغرب تحين فى السادسة تقريباً .. ، لقد ظل الأطباء فى الحجرة المغلقة حتى هذا الوقت دون أن يخرج منهم أحد ليقول شيئاً ..

وفى الوقت نفسه كان اللواء فؤاد عبد الحى يُجرى اتصالاً بالمسئولين واحداً بعد الآخر.. وكان هذا يبلغ بدوره ذاك .. وهكذا ..

بعد الانتهاء من الصلاة بدأ القلق يساور د. طه عبد العزيز.. لم يسأل ، ولم يستفسر.. إن ما يحدث فى الداخل سر لا يبوح به إلا أصحاب الشأن لأصحاب الشأن..

ولم يكن د. طه عبد العزيز من أصحاب الشأن ، كان يؤدى واجبه فى صمت وإخلاص.. ، وهو الوحيد من بين الذين دخلوا بيت الرئيس للاشتراك فى علاجه بطلب منه شخصياً ، كل الذين دخلوا بيت الرئيس لعلاج الرئيس دخلوا عن طريق محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس أو عن طريق الدكتور أحمد ثروت الطبيب الخاص للرئيس والمسئول عنه منذ قيام الثورة حتى ١٩٦٧..

لكن د. طه عبد العزيز دخل منشية البكرى دون تصريح أو إذن لا من محمد أحمد ولا من د. ثروت.. فكيف استطاع د. طه أن يتعدى هذين الحاجزين و يقفز عليهما و يدق باب الرئيس.. ؟

إن د. طه عبد العزيز يتولى الآن منصب كبير أطباء رئاسة الجمهورية ، وهو أحد سبعة أطباء كبار يديرون أكبر مركز للقلب فى ضاحية مصر الجديدة والمركز يضم د. حمدى السيد أستاذ القلب الشهير والذى كان نقيباً للأطباء لعدة دورات ، ود. فايز فايق رئيس معهد القلب بإمبابة ود. إسماعيل سلام أستاذ جراحة القلب بجامعة عين شمس.. وقد كان د. طه عبد العزيز الطبيب المصرى الوحيد الذى اختير للإشراف على علاج شاه إيران وقد طلبتْ منه ــ أخيراً ــ إحدى دور النشر الأمريكية كتابة صفحتين عن الحالة المرضية التى كان يعانى منها الشاه وعلاقتها بالقلب ورغم الإغراء المادى فقد اعتذر الرجل لحساسية المنصب الحالى الذى يتولاه فى رئاسة الجمهورية..

كيف أصبح د. طه عبد العزيز ضمن أطباء عبد الناصر؟ إن الدكتور طه عبد العزيز من مواليد ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٠ وحصل على بكالوريوس الطب من جامعة الاسكندرية سنة ١٩٥٥ وكان د. محمود صلاح الدين ضمن أساتذته ، وهو الذى كُلف فيما بعد بالإشراف على علاج الرئيس عبد الناصر إثر إصابته بالجلطة القلبية فى سبتمبر سنة ١٩٦٩ ، وحصل د. طه على دبلوم طب الأطفال ودبلوم الأمراض الباطنية ودبلوم أمراض القلب ثم الدكتوراه فى الأمراض الباطنية و يتمتع بزمالة كلية الأطباء

بلندن وقد عمل فترة بمستشفى Hammer smith Hospital التابع لجامعة لندن وعند عودته اختير للعمل بمستشفى القوات المسلحة بالمعادى فى يوليو سنة ١٩٦٥ وعندما افتتحت رسمياً فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٦٥ كان برتبة رائد طبيب وكان ضمن فريق الأطباء العاملين بأقسام العناية المركزة Intensive Care **(وهى الأقسام التى أنكر وجودها الدكتور الصاوى حبيب الطبيب الخاص بالرئيس عبد الناصر والذى رفض أن ينقله إليها وتذرع بأن هذه الأقسام لا وجود لها) ..**

لقد استطردت فى الكلام عن د. طه عبد العزيز لأنه الطبيب الخامس الذى جاء توقيعه على شهادة وفاة عبد الناصر ولأنه الطبيب الذى أوكل إليه القيام بإعطاء الرئيس صدمة لإيقاظ قلبه والعمل على انتظام ضرباته فى اللحظات الأخيرة .. ولأنه الطبيب الوحيد من الأطباء الخمسة الموقعين على شهادة الوفاة الذى ظل صامتاً منذ ليلة ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ حتى الآن (سبتمبر سنة ١٩٨٨) أى ثمانية عشر عاماً كاملة ..

كيف وصل د. طه عبد العزيز إلى بيت عبد الناصر إذن ؟

وصل إلى هناك وأصبح من طاقم أطبائه بطريق الصدفة البحتة ..

ففى الثانى من شهر يناير سنة ١٩٦٩ أصيب الليثى شقيق عبد الناصر بحادث فى طريق الإسكندرية ونقل على الفور إلى مستشفى المواساة حيث تلقفه على الفور الدكتور محمود صلاح الدين أستاذ القلب بجامعة الإسكندرية وتولى بحكم مركزه وخبرته وتخصصه رئاسة الفريق المعالج ، وكان الليثى ـــ بالإضافة إلى الإصابة ـــ مريضاً بجلطة فى القلب وبسكر فى الدم ..

وفى هذا اليوم كان د. طه عبد العزيز بالصدفة نوبتجى بمستشفى المعادى العسكرى بأقسام العناية المركزة Intenisve Care

وفوجىء باللواء طبيب حسن توفيق قائد المستشفى يناديه و يطلب منه الإقلاع فوراً إلى الإسكندرية ومعه جهاز الصدمات القلبية والإفاقة ..

وهكذا ألقى بنفسه فى سيارة عسكرية حملته مع أجهزته إلى مطار ألماظة الحربى حيث طارت به طائرة عسكرية إلى الإسكندرية ووصل إلى مستشفى المواساة وطلبوا

منه أن يقدم نفسه على الفور إلى الدكتور محمود صلاح الدين الذى طلب منه أن يقوم بعمله على الفور..

وهكذا استقر د. طه مع الليثى فى حجرة واحدة بالمستشفى ، وكان الليثى قد تعرض لعدة أزمات متتالية وأجريت له عدة عمليات ووقع له نزف بالبطن واستؤصل الطحال ، واستدعى طبيب أمريكى متخصص وصل فى نفس الليلة .. ومن هنا كان عبد الناصر يراه دائماً إلى جانب الليثى .. وكانا ــ أحياناً ــ يتبادلان حديثاً قصيراً موضوعه حالة المريض .. وعندما شفى الليثى وعاد د. طه إلى مستشفى المعادى تلقى أمراً بأن يذهب إلى منشية البكرى و يصبح طبيباً من أطباء عبد الناصر..

وكان د. طه عبدالعزيز من القلائل فى مصر الذين يجيدون استخدام أجهزة تنظيم ضربات القلب أو ما يسمى : Cardimertor, Defirilat

كان من الطبيعى إذن أن يستدعى د. طه عبد العزيز منذ اللحظة الأولى بل وقبل الدكتور الصاوى حبيب والدكتور منصور فايز.. لكنه لم يُستدع إلاّ بعد كتابة السينار يو الذى أشرنا إليه فى الصفحات السابقة ..

وعلى كل حال ، و بعد أن أوشك د. طه أن يصاب بالملل فقد دق جرس التليفون بشدة وكان المتكلم هو فؤاد عبد الحى وهو الممثل ــ فى هذه اللحظات ــ لكل قوى السلطة والأمن والضبط والربط فى منشية البكرى ..

قال فؤاد عبد الحى بحسم :

الدكتور طه عبد العزيز يدخل حجرة الرئيس ومعه الجهاز..

قفز د. طه من مقعده ، لقد ظن أن الجهاز فى حجرة الرئيس ، وإذن فعليه أن يحضره من عربة الإسعاف القابعة فى جراج البيت وعلى الفور أسرع اللواء مصطفى عزيز مسئول أمن بيت الرئيس إلى الجراج بينما كان د. طه قد سبقه عند باب غرفة الرئيس ..

بعد دقائق جاء اللواء عزيز حاملاً الجهاز وهو يلهث وهو جهاز تنتجه شركة Tranevol بتصريح من شركة Zenith ويحمل رقم وموديل

Monopulse 8678 و يعمل الجهاز بقوة ٢٠٠ حول (الجول وحدة كهربية).

قال من بالداخل: ادخل ..

كان المنظر داخل الغرفة مثيراً للدهشة والفزع، فقد كان الدكتور الصاوى حبيب يقوم بتدليك القلب وهوعمل لا يمكن أن يقدم عليه طالب بكلية الطب .. لأن تدليك القلب لابد أن يتم على أرض صلبة ليكون مؤثراً بينما كان السرير الراقد عليه عبد الناصر بـ «سوستة» .. وإذا ما كان هناك أمل .. فإنه لن يتحقق ما دام الضغط والتدليك على سرير بـ «سوستة» لأن «السوستة» سوف تمتص الصدمة ..

توقف د. طه عبد العزيز لحظة ليستوعب الموقف بينما أنزل اللواء مصطفى عزيز الجهاز إلى جانب سرير الرئيس ..

كان الرئيس عبد الناصر ممدداً على الفراش، يرتدى بيجامة بيضاء ذات خطوط زرقاء عريضة، والبيجامة مفتوحة من الصدر.. بينما يمتد خرطوم من أنبوبة أوكسجين إلى الفتحة اليمنى من أنف الرئيس .. كان الجزء المكشوف من جسم الرئيس أزرق اللون، والوجه أزرق، والعينان مفتوحتان .. كان المنظر يعلن فى صمت أن الوفاة حدثت منذ فترة لا تقل عن ساعة كاملة ..

تراجع د. الصاوى إلى الخلف وترك الدكتور طه يقوم بتركيب التوصيلات الكهربائية للجهاز بالجسم .. ، وأعطى للرئيس حقنة أدرينالين ولاحظ وهو يعطى الحقنة ثقبين آخرين فى الصدر و يشى ظهور الثقبين بأن الحقنتين أعطيتا للرئيس بعد الوفاة لأن الثقب فى الجسد الميت لا يلتئم بلا يظل فاغراً فاه ليكشف ما حدث به بعد الوفاة ..

فى هذه اللحظات كان يتسلل إلى الحجرة على أطراف أصابعهم رفاق الرئيس ومساعدوه ورجال الدولة وكان السيدان سامى شرف وشعراوى جمعة هما أول من وصل من رجال الدولة .. ثم جاء على صبرى .. وحسين الشافعى والفريق فوزى .. وهيكل .. الخ ..

الكل صامت لا يعرف شيئاً إلاّ أن الدكتور طه عبد العزيز يستعد لإعطاء صدمة، والأطباء الآخرين حوله ينتظرون أيضاً ..

وقد ذكر الجميع وخاصة السادة سامى شرف وشعراوى جمعة والفريق فوزى أنهم عندما حضروا كان الدكتور طه عبد العزيز يقوم بالتوصيلات اللازمة لعمل صدمة ، ولاحظ ــ بالطبع ــ د. طه عبد العزيز أنه لم يظهر على شاشة الجهاز أى أثر لرسم القلب ، لقد كان مظهر الرئيس أنه ميت منذ فترة لا تقل عن ساعة ، ولكن أحياناً يبزغ خاطر كالشهب أن أحاسيس الإنسان تخدعه وأن الآلة قد تكون أصدق وتطبع قبلة الحياة على الجسد الميت .. وهذا ما دعاه ــ كما سبق القول ــ إلى إعطائه حقنة إدرينالين لتحريك عضلة القلب .. وعندئذ بدأ الصدمة الأولى .. وانتفض الجسم وظن الذين حبسوا أنفاسهم أن المعجزة قد وقعت وأن الحياة قد دبت فى الجسد الميت ، لكن لم تكن هناك ثمة معجزة ، فمن المألوف أن ينتفض الجسم الميت إذا ما انعقدت الدائرة الكهربائية حول القلب ومست الأعصاب ..

فى صوت واحد هب الجميع مطالبين بإعادة الصدمة ، لكن كان من الواضح عبث المحاولة ..

وهز د. طه رأسه وهو يركز بصره فى عينى الطبيبين منصور فايز والصاوى حبيب .. فهمس له د. منصور هل نقول لهم الريس مات .. ومين يقول .. ؟

أشار د. طه بأنه سيفك أسلاك الجهاز و يسحب خرطوم الأوكسجين من أنف الرئيس و يغلق الأنبوبة .. و يتراجع الجميع مبتعدين قليلاً عن الفراش وفى هذا الكفاية .. أو هذا إعلان صامت بأنه لم يعد هناك ما يمكن عمله ..

و بالفعل سحب الخرطوم من الأنف وأغلق الأنبوبة ثم فك أسلاك جهاز الصدمة من على صدر الرئيس ثم أغمض عينيه ، وجذب ملاءة السرير وغطى بها الجسد المسجى ثم تباعد عن الفراش وتبعه الآخرون .. وعندئذ اقترب الفريق فوزى صائحاً فى وجه د. منصور: قولوا لنا .. إيه اللى حصل .. ؟

أخرج د. منصور فايز صوتاً كأنه صادر من وراء الزمن وقال : الريس مات ..

أمسك به الفريق فوزى وهو يجأر: مات من إمتى .. ؟!

رد الدكتور طه عبد العزيز: مات من ساعة ..

وعـاد الـفـريـق فـوزى يجأر مـذعـوراً : مـات مـن سـاعـة وسـايـبـيـنـا واقـفين نتفرج عليكم .. ؟

وانفجر الجميع فى بكاء حار وعندئذ وصل د. رفاعى كامل الذى اتجه مباشرة إلى الـرئـيـس وأمـسك بيده وقال : ونادهين لى ليه دلوقتى .. ؟ ثم أعاد الغطاء إلى وجهه وسار نحو مكتبه الصغير وجلس عليه يبكى هو الآخر..

وانتهـى بـذلـك الـسـينار يو الذى وضعه الدكتور الصاوى حبيب والدكتور منصور فـايـز.. وجـرى الـتنفيذ طبقاً للقواعد المعمول بها .. و بقى بعد ذلك أن تُكتب بعض الأوراق و يوقع عليها عدد من الناس بأن هذا السينار يو جرى طبقاً للواقع .. وأن كل كلمة فيه صحيحة وصادقة ودقيقة .. وكان هذا أصعب ما فى الموضوع كله ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

٦

بقرار سريع من السادات انتقل جثمان الرئيس جمال عبد الناصر إلى قصر القبة ، وكان ذلك فى الساعة التاسعة والنصف من نفس الليلة .. ، وبالطبع اجتمع رفاق عبد الناصر والمسئولون فى الدولة الذين تمكنوا من الحضور إثر الوفاة مباشرة ، وهم بالترتيب التالى لوصولهم : شعراوى جمعة ، سامى شرف ، الفريق فوزى ، على صبرى ، حسين الشافعى ، محمد أحمد ، محمود الجيار ، هيكل ، حسن التهامى ، الفريق الليثى ناصف .. ثم أنور السادات ، الذى حضر حوالى السابعة والنصف ، وكشف الغطاء عن وجه عبد الناصر ، والتفت إلى الحاضرين وألقى بجملة غريبة : « همّ الدكاترة شافوا شغلهم .. ؟! » ، ثم أعاد الغطاء كما كان ..

وهبط الجميع إلى الصالون فى الدور الأول حيث جرى اجتماع تقرر فيه ما يلى :

١ - نقل الجثمان فوراً من منشية البكرى إلى قصر القبة .

٢ - تشييع الجنازة يوم الخميس الأول من أكتوبر ١٩٧٠ .

٣ - إذاعة بيان على الشعب .

٤ - تكوين لجنة برئاسة محمد أحمد لتنظيم مراسيم وإجراءات الدفن .

٥- يتم اجتماع عاجل لأعضاء اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء بقصر القبة فى الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم .

لم تتسع الثلاجة العادية لجثمان الراحل العظيم وكان من الضرورى أن يحفظ فى درجة برودة ١٦ تحت الصفر إلى أن يحين موعد الدفن وكانت ثلاجة الحفظ الكبيرة الموجودة أسفل المطبخ بالبدروم هى الوحيدة التى يتوافر فيها أهم شروط الحفظ : أى البرودة الشديدة والاتساع الذى يمكن أن يستوعب الجثمان الذى يصل طوله إلى حوالى ١٩٣ سنتيمتراً ، وهكذا وضع الجثمان على نقالة وأدخلت فى أرضية الثلاجة ..

وبدأ الاجتماع الذى حضره أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء ، وتولى الرئاسة أنور السادات الذى شرح للحاضرين ما حدث وعندئذ أثار حسن التهامى وزير الدولة لشئون رياسة الجمهورية ضرورة معرفة السبب الرئيسى لوفاة عبد الناصر وانتقل إلى اتهام الأطباء المشرفين على علاج الرئيس بالتقصير والإهمال .. وهنا لم يجد أنور السادات بداً من دعوة د. منصور فايز باعتباره أكبر الأطباء سناً ليدلى ببيان تفصيلى بما حدث ، وجاء د. منصور وألقى بياناً استغرق ١٥ دقيقة أنهاه بقوله : « **لقد نفذت إرادة الله ولم تكن هناك قوة تحول دون ذلك ، لقد عُمل المستحيل من أجل الرئيس ولكن علينا أن نؤمن بأنه لا رادَّ لقضائه** » ..

ولا نعرف ــ بالطبع ــ إذا ما كان هذا الجزء كان ضمن سينار يو الوفاة أم ملحقاً جديداً له ، وعلى أية حال فإن تقرير الأطباء الموقع عليه منهم وهم خمسة (د. رفاعى كامل ، د. منصور فايز ، د. زكى الرملى ، د. الصاوى حبيب ، د. طه عبد العزيز) .. أودع بمضابط مجلس الوزراء بعد الموافقة عليه .. ، وانتقل الحاضرون إلى الموضوعات الأخرى فى جدول الأعمال وكان على رأسها : اختيار رئيس الجمهورية المؤقت إلى حين ترشيحه بواسطة مجلس الأمة ثم الاستفتاء عليه ..

لكن تقرير الأطباء حول وفاة عبد الناصر لم يكن آخر شىء فى قصة الوفاة .. ، لأنه على غير توقع حضر الدكتور كمال مصطفى كبير الأطباء الشرعيين ووكيل وزارة العدل للطب الشرعى .. ، وكانت قد أثيرت بعض الأقوال حول أسباب الوفاة بما يناقض ما جاء فى تقرير الأطباء ، وطلب التقرير واطلع عليه إلا أنه رأى أن ما جاء

فيه غير كاف لإصدار شهادة وفاة أو ما يسمى بتصريح الدفن ، وعلى هذا فإن القانون يقضى بتشريح الجثة لإصدار هذه الشهادة . . ، ورفض أنور السادات تشريح الجثة وقال ساخراً : « **هو الحانوتي ح يقول لنا لأ إلا بالشهادة ؟** »

والواقع أن غموضاً شديداً يحيط بوصول كبير الأطباء الشرعيين إلى قصر القبة . . إذ أن وجوده فى حد ذاته يثير الشك فى أن الوفاة جنائية لأن الطبيب الشرعى لا ينتقل إلا بتكليف من النيابة العامة التى قد تصدر التكليف بناء على قناعات لديها أو أسباب تراها . . أو بناء على شكوى من أهل القتيل . .

* إن التعليمات الصادرة من النيابة العامة فى المسائل الجنائية ، والصادر بها كتاب وزارة العدل المصرية والمطابقة لتعليمات وزارة العدل للنيابات الصادرة عام ١٩٥٨ والذى استمر العمل بها من عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٨٠ ومن عام ١٩٨٠ حتى الآن دون تغيير جوهرى . . هذه التعليمات تنص فى المادة ٤٢٩ على ندب الأطباء الشرعيين فى الأعمال الآتية :

١ - توقيع الكشف الطبى على المصابين فى القضايا الجنائية ، وبيان وصف الإصابة وسببها وتاريخ حدوثها . . الخ .

٢ - تشريح جثث المتوفين فى القضايا الجنائية **وفى حالات الاشتباه فى الوفاة لمعرفة سبب الوفاة** وكيفية حدوثها ومدى علاقة الوفاة بالإصابات التى توجد بالجثة .

٣ - **استخراج جثث المتوفين المشتبه فى وفاتهم وتشريحها .**

٤ - **إبداء الآراء فيما يتعلق بتكييف الحوادث الجنائية أو تقدير مسئولية الأطباء المعالجين .**

* **وتنص الفقرة الثانية من المادة ٤٣٣ على ما يلى :**

« ويجوز للنيابة العامة عند الاقتضاء استدعاء الأطباء الشرعيين والكيمائيين والخبراء فى مختلف أقسام الطب الشرعى لمناقشتهم فيما يقدمونه من تقارير عن الأعمال التى نُدبوا لها ، على أن يكون ذلك الاستدعاء فى حالة

الضرورة القصوى ، وبعد استطلاع رأى المحامى العام أو رئيس النيابة الكلية .. »

* كما تنص الفقرة الثانية من المادة ٤٣٥ :

وعلى الطبيب الشرعى فحص الحالة بحضور الطبيب أو الأطباء الذين سبق وأبدوا الرأى الأول إن تيسر ذلك وموافاة النيابة العامة بذلك ..

* وتنص المادة ٤٤١ :

إذا نُدب الطبيب الشرعى لتوقيع الكشف الطبى على شخص توفى فى ظروف غامضة أو لتشريح جثته فيجب على النيابة العامة أن تطلب إلى الطبيب الشرعى إخطارها فوراً بنتيجة الكشف أو التشريح لتبادر بالتحقيق إذا تبين أن فى الأمر جريمة ..

ومقتضى هذا أن الطبيب الشرعى لا يتحرك إلاّ بناء على تكليف من النيابة العامة ، والنيابة العامة لا تكلف إلاّ بناء على شبهة جنائية ، وقد أعطى القانون للطبيب الشرعى أو كبير الأطباء الشرعيين سلطات واسعة لممارسة واجبات وظيفته فللطبيب الشرعى تشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة وكيفية حدوثها ، وله استخراج جثث المتوفين وتشريحها .. وله إبداء الآراء الفنية فيما يتعلق بتكييف الحوادث الجنائية **أو تقدير مسئولية الأطباء المعالجين !!**

وعلى كبير الأطباء الشرعيين أو الطبيب الشرعى المنتدب لتوقيع الكشف الطبى على شخص توفى فى ظروف غامضة أن يخطر النيابة العامة فوراً بنتيجة الكشف أو التشريح لتبادر بالتحقيق إذا تبين أن فى الأمر جريمة ..

فكبير الأطباء الشرعيين لم يكن يقوم بنزهة فى قصر القبة إنما جاء بناء على تكليف من النائب العام .. فمن الذى طلب من النائب العام أن يتحرك .. ؟!

فى رأينا أن أحداً من بيت الرئيس عبد الناصر هو الذى أبلغ النائب العام بشكه فى أسباب الوفاة فكان على النائب العام أن يكلف كبير الأطباء الشرعيين بإعادة فحص الجثة ولن يتأتى هذا الفحص إلاّ بتشريح الجثة ..

واصطدم تشريح الجثة ــ كما أسلفنا ــ بالرفض القاطع من أنور السادات ..

ولدينا احتمال ضعيف بأن حسن التهامى وزير الدولة لرئاسة الجمهورية بصفته تلك طلب من النائب العام أن يأمر بتشريح الجثة فما كان منه إلاّ أن أرسل كبير الأطباء الشرعيين لهذا الغرض .. واصطدم هذا برفض السادات لعملية التشريح .. لماذا ؟

هل كان السادات يرى فى جسد عبد الناصر ما يسمى بقدسية الجسد فى الديانة المسيحية ، فجسد الميت لا يمس لأن له حرمة وقدسية .. ؟! أم أنه كان يرفض التشريح على اعتبار أن جمال عبد الناصر قد مات وانتهى أمره ولا داعى لـ « بهدلة » الجثة لأن هذا يسبب ألماً للأسرة .. ؟ أو كان يرى أن الأسباب التى قدمها الأطباء لوفاة عبد الناصر لا تثير شكاً ولا ريبة وبالتالى فما الداعى لتشريح الجثة .. ؟!

كان السادات يصر فعلاً وباستماتة على رفض تشريح الجثة ، لكننا سنرى ــ فيما بعد ــ أن السادات قد صرح للعبث بالجثة وأخذ عينات منها .. فكيف يتفق هذا مع رغبته فى رفض التشريح .. ؟

يذكر محمود الجيار مدير مكتب الرئيس أنه كان فى قصر القبة أثناء وجود الجثة فى الثلاجة الكبيرة ببدروم القصر، ويحدد ذلك باليوم التالى للوفاة وهو يوم الثلاثاء ٢٩ سبتمبر حيث حضر إليه فى مكتبه الفريق أول سعد الدين متولى كبير الياوران ونائبه اللواء صلاح العيدروسى وقالا لمحمود الجيار: إنهما مرسلان من قبل السادات وحسن التهامى لأخذ مفتاح الثلاجة الموضوع فيها جثة الرئيس لأن لديها ــ أى لدى السادات والتهامى ــ اثنين من الأجانب ويريدان أخذ الصفة التشريحية ، ويستطرد محمود الجيار: « أعطيتها المفتاح وأنا أسألها عن السبب لأخذ الصفة التشريحية (أى عمل قناع للوجه والذراع والكف والأصابع) فقالا إنهما يريدان عمل تمثال ولابد لعمل التمثال من قناع للوجه ليصب عليه التمثال فيكون طبق الأصل .. ولا أعلم إن كان هذا هو السبب أم حجة لأخذ المفتاح وتصوير ما يريدون .. وأنا أرى الآن أن المكلف بالعملية كان حسن التهامى وزير الدولة لشئون الرئاسة وقتها وأنه كان مكلفاً بها من قبل المخابرات الأمريكية الـ C.I.A لأننى بعدها رأيت هذا الأجنبى واستنتجت مما قاله رجل الـ C.I.A هذا أن هذا كان مطلبها .. وكنت وقتها أثق تماماً بحسن التهامى ولو كان عندى شك فيه لكنت أثرت هذا الموضوع .. »

و يستطرد محمود الجيار مدير مكتب الرئيس والذى رافقه طوال رحلة الثورة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى وفاته وكان أحد ثلاثة يرافقون عبد الناصر كظله (محمد أحمد ، محمود الجيار ، محمود فهيم) .. يستطرد :

«أعطيت المفتاح للفريق سعد متولى وصلاح العيدروسى وبعد أن انتهيا أعادا لى المفتاح ، ووقتها قال لى سعد متولى إن كبير الأطباء الشرعيين كان معهما – أى كان مع الأجنبيين – ولا أعلم لماذا استدعوه رغم أنه لم يقم بالكشف الطبى على الجثمان وأنه يقول – أى الفريق سعد متولى – يقول بأنه يوجد آثار سم بالجثة وقد قال كلامه هذا أمام الحاضرين بعد أن وجد زرقة فى منطقة الكتف وهذه الزرقة لا تحدث إلاّ من تسمم معين وحدد نوعه .. قلت لها – أى للفريق سعد متولى ونائبه اللواء العيدروسي – لو قلنا هذا ستنقلب الدنيا ، فقال لى سعد متولى إننا لا نستطيع لأننى سألته مرة ثانية فخاف أن يعيد لى ما سبق ذكره بعد أن هب فيه الحاضرون فخاف ..

ولم أهتم بهذا الأمر لأننى كنت وقتها ولمدة سنوات أخرى بعدها أثق فى حسن التهامى ولم أعلم أن أنور السادات كان معهم أيضاً .. »

و بصرف النظر عن مدى صدق هذه الرواية من عدمه ، فإن وجود كبير الأطباء الشرعيين كان له ما يبرره ، وكان عليه – على الأقل – أن يقطع الشك باليقين ..

و يؤخذ من أقوال السيد محمد أحمد أن كبير الأطباء الشرعيين الدكتور كمال مصطفى لم يمكث فى قصر القبة طويلاً ، فما أن حصل على التقرير المودع بمضبطة الاجتماع المشترك لاعتماده حتى ذهب إلى بيت الرئيس فى منشية البكرى وفُتحت له حجرة الرئيس ورأى العقاقير والأجهزة التى استعملت – كما يقال – لإسعافه .. ولمّا لم يجد أحداً من الأطباء فإنه عاد إلى قصر القبة حيث التقى بالدكتور رفاعى كامل ، ثم عاد مرة أخرى إلى منشية البكرى ، ولا يتذكر السيد محمد أحمد السبب الذى دعاه للعودة إلى منشية البكرى للمرة الثانية كما لا يذكر بمن التقى .. وهل التقى بأحد من عائلة الرئيس ..

هل كان يعتوره الشك أيضاً ولم يشأ أن يصر على طلبه تشريح الجثة إلاّ بعد أن يضع يده على أدلة تخول له التمسك بهذا المطلب فلمّا لم يجد اضطر إلى الاستسلام واعتماد تقرير الأطباء .. ؟!

فى لقاء مع الدكتور كمال مصطفى كبير الأطباء الشرعيين فى أبريل من هذا العام (١٩٨٨) .. وكان قد ترك خدمة الحكومة وأحيل إلى التقاعد بعد وفاة عبد الناصر بعام واحد أى فى عام ١٩٧١ ذكر لى أن على الطبيب الشرعى أن يصل إلى مكان الحادث قبل الجميع .. لأن الطبيب الشرعى قاضٍ وعمله من صميم القضاء .. ومن حقه ــ مثلاً ــ أن يقرر ما إذا كان يجب إعدام هذا الشخص المحكوم عليه بالإعدام أم لا .. وبالتالى فهو يبرىء قاتلاً .. وأيضاً يستطيع أن يدفع شخصاً إلى السجن وإلى حبل المشنقة بناء على تقرير طبى منه ، فالطب الشرعى يجب أن يسمى طب العدل .. !

بالطبع لم يكن تعنينى هذه الفلسفة ، فليكن الطبيب الشرعى قاضياً أو طبيباً .. ما نريده منه أن يقرر الحقيقة بناء على معرفته .. ومن هنا سألته : كيف استطعت أن توافق أطباء عبد الناصر على موته للأسباب التى حددوها فى تقريرهم دون أن تفحص الجثة أو تقوم بتشريحها .. ؟ !

قال إنه فحص الجثة فحصاً ظاهرياً وفى الفحص الظاهرى يوجد ما يمكّن الطبيب الشرعى من التعرف على ما بداخل جسم المريض أو جسم الميت ، الطبيب المدقق يضع يده على بطن الشخص فيعرف العديد من الأشياء ، إن جلد الانسان مثلاً يكشف عما هو داخل الجسم .. وفى القرآن : « **... شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم** » ! و ينتقد د. كمال مصطفى التشريع الجنائى الحالى و يقول إنه مناقض للشريعة لأنه يستبيح جسم الإنسان بحجة معرفة سر مرضه أو سر موته .. إن الوسائل العلمية الحديثة أصبحت تفى بغرض الطبيب الشرعى فتجعله يستطيع أن يرى ما بداخل جسم الانسان دون تشريحه .. إلا أن كثيراً من الأطباء الشرعيين ــ كما يقول د. كمال مصطفى ــ يمثلون حفنة من الذين يرتزقون بالكذب وتنطبق عليهم الآية الكريمة : « **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** » .

وقال إنه غير نادم على ما كتبه وذيل به تقرير وفاة عبد الناصر : « لقد طبقت الشيء الواجب وفى الوقت المناسب » ..

و بالطبع كان وراء هذا الكلام الذى لا يقدم ولا يؤخر شيء هام عمد كبير الأطباء الشرعيين إلى كتمانه وعدم الخوض فيه وهو ما إذا كان عبد الناصر قد مات

موتة طبيعية سببها جلطة فى الشريان التاجى للقلب أم مات بفعل فاعل و بالتالى تكون هناك على الجثة بصمات وأسماء الجناة .. ؟

و يبدو أن ما أراد كبير الأطباء الشرعيين أن يخفيه يتعلق أساساً بشبهة الجناية الموجودة دلائلها فى الجثة وفى التشخيص والعلاج الخطأ الذى كان عبد الناصر ضحية له .. ، و يبدو أن هذا الموضوع ــ وليس إصدار شهادة وفاة ــ قد أثار حفيظة عدد من رفاق عبد الناصر وهددوا باستدعاء أطباء من الاتحاد السوفيتى لفحص جثة عبد الناصر ..

وقال لى د. كمال مصطفى : لقد اعترضت على استدعاء أطباء من موسكو وقلت لهم : « وأنا هنا .. لا .. » ..

وهذا يعنى أنه قد جرت مناقشة حول سبب الوفاة والشك فى هل الوفاة جنائية من عدمه ، وكان لدى الفريق الآخر حل وحيد لحسم القضية وهو استدعاء طبيب شرعى من موسكو ليقرر إذا ما كانت الوفاة جنائية من عدمه .. لكن كبير الأطباء الشرعيين استنكر دعوة أخصائى أجنبى وسوفيتى على وجه التحديد وهو موجود ..

إذن .. فسبب الوفاة كان مثار مناقشة وحوار بل ومشادة أيضاً .. وربما هذا ما أدى إلى أن تتأخر مهمة كبير الأطباء الشرعيين حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالى (الثلاثاء ١٩٧٠/٩/٢٩) ..

والواقع أن الدكتور كمال مصطفى كبير الأطباء الشرعيين لم يكن متعاطفاً مع جثمان عبد الناصر لأنه كان يكره عبد الناصر .. وكان يرى أن الاشتراكية التى ينادى بها عبد الناصر ليست سوى طعن فى إرادة الله الذى قسم الأرزاق بين الناس بدلاً من ماركس الذى يريد تقسيم الثروة بين الناس كل على قدر عمله وحاجته .. ، وقد استاء هذا الطبيب السلفى من اهتمامى المتزايد بعبد الناصر حياً وميتاً واعتبر بعدالة الأقدار لأنها خلصت البشرية .. منه .. و..

إذن .. فقد مات عبد الناصر وهو الآن وابتداء من الساعة التاسعة والنصف من مساء الاثنين ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ سيظل ممدوداً على نقالة فى ثلاجة الحفظ ببدروم قصر القبة إلى أن يحين موعد دفنه فى الحادية عشرة من يوم الخميس الموافق أول أكتوبر سنة ١٩٧٠ ..

■ □ ■ □ ■ □ ■

٧

هبطت الطائرة القادمة من ڤيينا أرض المطار، وبمجرد أن توقفت محركاتها وانفتحت أبوابها حتى صعد على سلمها قفزاً ضابط صغير من مكتب المطار، وأسرع الضابط الشاب إلى مقاعد الدرجة الأولى، حيث كان الوزير صلاح هدايت ــ المستشار العلمى للرئيس جمال عبد الناصر، يتهيأ للنزول، تقدم منه الضابط الشاب وقال له :

ــ سيدى الوزير لدى رسالة من السيد حسن التهامى وزير شئون رياسة الجمهورية بأن تتفضل بالمرور عليه فى مكتبه بقصر القبة وأنت فى الطريق إلى بيتك ..

كان اليوم هو الثلاثاء ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٧٠ وكانت الساعة تقارب السادسة مساءً .. وهبط صلاح هدايت مسرعاً وكان يحمل حقيبة صغيرة فى يده .. ووجد سيارة من الرياسة تنتظره على الباب فألقى نفسه فيها ، وانطلقت السيارة إلى قصر القبة ..

وفى الطريق كان يسمع الأغنية الحزينة من شباب يسير فى جماعات ، رجال ، نساء ، أطفال ..

الـــوداع يـــا جمـــال يـــا حـــبـــيـــب المـــلايين .. الـــوداع
ثـــورتـــك ثـــورة كـــفـــاح عـــشـتهـــا طـــول الـــسنين .. الـــوداع
إنــت عـــايـــش فى قـــلـــوبـــنـــا يـــا جمـــال المـــلايين .. الـــوداع
إنــت ثـــورة إنـــت جمـــرة نـــذكـــرك طـــول الـــسنين .. الـــوداع
إنـــت نـــوارة بـــلـــدنـــا واحـــنـــا عـــذبـــنـــا الحـــنين .. الـــوداع
إنـــت ريحـــانـــةو زكـــيـــة لاجـــل كـــل الـــشـــقـــيـــانين .. الـــوداع
الـــوداع يـــا جمـــال يـــا حـــبـــيـــب المـــلايين .. الـــوداع

كان صلاح هدايت قد ألصق وجهه بنافذة السيارة يرى وجوه الناس الذين ينشدون هذه الأغنية الحزينة .. لم ير دموعاً : « ربما كانت جفت » ..

وبعد قليل وصلت السيارة إلى قصر القبة ، وصعد على الفور إلى مكتب حسن التهامى فى الدور الثانى ، لم ينس أن يلق نظرة على البدروم حيث يرقد عبد الناصر فى ثلاجة ، قال فى نفسه : « كنت مستشاراً لهذا الرجل الذى أصبح جثة .. لم يكن كمثله أحد » ..

نهض حسن التهامى وصافحه واحتضنه ، وجلسا ، وبكيا سوياً ، وما كادت القهوة تصل ويرشف كل منهما نصيبه منها حتى انفرجت أسارير حسن التهامى وقال له :

ــ تعرف أنا جبتك ليه هنا ؟

أجاب صلاح هدايت :

ــ لا ..

ــ رد التهامى :

ــ عايز أستغل مواهبك ..

ــ فى إيه إنشاء الله ..

ــ عايزك تشوف حد من الفنانين بتوعك ييجى هنا ويعمل قناع للرئيس .. بصراحة عايز ين الصفة التشريحية للريس ..

ـــ إذا كـان كـده يبقى ده حاجة كو يسة ، أنا فى الواقع فكرت نعمل متحف نلم فيـه حـاجـاتـه اللى كان بيستعملها فى حياته ، أوراقه ، أقلامه ، ثيابه ، أدواته الخـاصـة ، مـسدسه الخاص الذى خرج به يوم ٢٣ يوليو . . ، لباسه العسكرى ، نياشينه ، صوره ، رسائله . . طبعاً بالإضافة إلى أخذ الصفة التشريحية كاملة أى صـورة الـوجـه والجـمـجمة والذراع والبصمة . . إن المشاهير وكبار رجال الدولة والـرؤساء فى الـدول الأخـرى لهـم متاحف تضم كل شىء عنهم . . ومن هذه المحتو يات والأشياء يمكن التعرف عليهم أكثر . . هذا ما أر يده . .

قال له حسن التهامى :

ـــ مضبوط . . ده اللى احنا عايز ينه ولا تنسى أن تجىء لى بخصلة من شعره . .

ـــ ليه . . ؟

ـــ أنا عايز أحللها . .

ـــ إذن ح نـبـدأ اللـيلة ، أنا أعرف واحد مثّال كو يس ح أجيبه على طول يعمل له القناع والذراع و بصمة الأصابع . .

ـــ حالاً ولا تضيع وقتاً لأنه ليس أمامنا إلا الغد الأر بعاء لأنه سيدفن يوم الخميس كما تعرف . .

فى نـفـس اللـيـلـة فـوجـىء الـفـنـان المثال مصطفى متولى بطرق عنيف على باب مـسـكـنـه بـشارع البراز يل بالزمالك ، كان المثال وقتها أستاذ النحت بكلية الفنون ، وفـتـح أحـد أولاده الـبـاب وانـدفع إلى الداخل عدد من الرجال يسألون عن مصطفى مـتـولى . . . كـان هـؤلاء الرجال هم : الوز ير صلاح هدايت والدكتور أحمد الحسينى عـمـيـد كـلـيـة الـفـنون وصديقى الفنان حسن الشجيع وكان يعمل صبّاباً أى يصب البرونز فى قوالب للفنانين . .

ورحّـب الـفـنـان مـصـطـفـى متولى بالجميع خاصة وأنه كان يعرفهم عدا صلاح هدايـت الـذى قدم نفسه على الفور و يذكر لى مصطفى متولى : الوز ير هدايت دخل فى المـوضـوع على طـول وقال لى إحنا عايز ينك تعمل قناع للر يس جمال قبل ما يندفن وتاخد له البصمة . .

والقناع والذراع والبصمة تمثل الصفة التشريحية للإنسان ، إذ عن طريق دراسة الرأس والوجه .. والذراع وبصمة اليد والأصابع ، يمكن عن طريق هذه الصفة التشريحية معرفة الأصول والأنساب .. ، فإذا كان الشعر خشناً ــ مثلاً ــ فهذا يعني أن صاحب الشخصية له أصول زنجية وهكذا ..

وقال العميد الدكتور أحمد الحسيني : **« أنا قلت لصلاح بيه إن مفيش حد يقدر يعمل الصفة الشخصية للريس إلاّ مصطفى متولى .. » ..**

يستطرد الفنان مصطفى متولى قائلاً :

نهضت على الفور وارتديت ثيابي وسحبت معي ابني محمد عبد النبي وكان بارعاً في أعمال النحت ويحبها ، وهبطنا السلم ومعنا الوزير صلاح هدايت والدكتور الحسيني وحسن الشجيع وركبنا السيارة التي قادها الوزير هدايت .. وفي الطريق توقفنا لشراء مصيص بعد أن وجدت دكاناً لبيع الأسمنت والجبس يغلق أبوابه فأوقفته واشتريت شوال مصيص وضعناه في حقيبة السيارة ثم توقفنا للمرة الثانية ليهبط الدكتور الحسيني بعد أن أدى مهمته في تعريف الوزير بي ..

كانت الشوارع قاتمة ، مجللة بالسواد ، والناس يسيرون في صمت وأسى كأن على رؤوسهم الطير .. ، والبيوت قد مال لونها فأصبحت بلا لون ولا هوية .. وما كدنا نقترب من بوابة قصر القبة حتى هبت مجموعة من الجنود الشاكي السلاح في وجه السيارة .. وعرّفهم الوزير هدايت بنفسه فأفسحوا له الطريق .. ومن ثم أصبحنا في ثلاجة قصر القبة .. والرئيس على نقالة بأربع أرجل حديدية ..

بدأنا العمل على الفور .. بعد أن أشار الوزير هدايت إلى اثنين من الحراس خارج باب الثلاجة وفي الحجرة التي بها الثلاجة بأنه يمكننا أن نطلب منها أي شيء .. وأخرج الوزير مقصاً من جيبه وقص به خصلة من شعر الرئيس وضعها في مظروف أبيض ثم أغلقه بكل عناية ... وكنت قد طلبت برميلاً لإذابة المصيص فيه .. كما طلبت « فزلين » فجاءوا به من الصيدلية .

نظرت إلى الوزير هدايت وفهم ما تعنيه نظرتي فقال لي : **« أنا عايز أحتفظ بخصلة الشعر للذكرى » ..**

لم أحفل بما قاله ، يبدو أنه كان يحبه ، .. وتوارى عنا قليلاً ثم أخذ يجهش بالبكاء .. و بعد قليل لم أجده .. وقيل لى : إنه صعد إلى حسن التهامى فى مكتبه ..

وضعت الفزلين على وجه الرئيس حتى لا تلتصق مادة المصيص بالوجه ثم بدأنا نصُبُّ المصيص على وجه الزعيم ..

قال الفنان مصطفى متولى :

ما طلبه منى الوزير هدايت كان محدداً وهو:

١- صورة للوجه وجزء من العنق أى الوجه والجمجمة ..
٢- الذراع اليمنى ..
٣- بصمة اليد اليمنى ..

و بدأت العمل بالترتيب السابق يساعدنى ابنى محمد عبد النبى وحسن الشجيع ، وعندما وصلت إلى كف اليد اليمنى فوجئت بأن أظافره مقصوصة .. بالطبع لا يمكن القول بأن عبد الناصر كان عصبياً وأنه كان يقضم أظافره .. لم أر كفاً ضائعة من أصابعه الأظافر مثل كف عبد الناصر .. أين ذهبت أظافره ..

نظر إلىّ الفنان مصطفى متولى الذى كان يحكى لى وهو راقد على فراش المرض لا يتحرك وحوله أولاده ، وقد ذكر لى فى معرض كلامه أنه مريض بالسكر ، وأشار إلى تمثال صغير للرئيس جمال على دولاب ثيابه بالحجرة وقال : «**هو برضه كان عنده سكر .. بس السكر بتاعه كان برونزى .. يخلى وش الواحد زى البرونز**» ..

وكان الفنان مصطفى يضع قدمه اليمنى على ترابيزة أمامنا والقدم مربوطة بالشاش ، وكنت بالطبع أعرف أن التهاب القدم من مضاعفات مرض السكر وخاصة عند كبار السن منهم عندما يقومون بقص أظافرهم بأنفسهم و يبدأ الالتهاب بسرعة وقد لا يشعر به المريض لفقدان إحساسه بالقدم حيث يكون هناك انسداد بالشريان الذى يغذى القدم و يصحب ذلك غرغرينا وفى هذه الحالة لابد من بتر قدم المريض إما من تحت الركبة أو فوقها حسب مكان انسداد الشريان و يبدو أن الغرغرينا قد وصلت إلى القدم ولكن أمكن تداركها وهذا ما قاله لى الفنان مصطفى حيث أضاف « **كانوا ح يقطعوا لى رجلى .. ياللا يشيلوها معدش لها لازمة ..** »

كنت أسمع كلام الفنان مصطفى متولى وأفكر فى خصلة الشعر التى حصل عليها الوزير صلاح هدايت .. ثم فى الأظافر المقصوصة من اليد اليمنى للرئيس .. ، ومن قراءاتى القليلة كنت أعرف أن أكثر أعضاء الإنسان التى يتركز فيها السم هى : العظام والأظافر والشعر.. وها هم قد حصلوا على الشعر والأظافر فهل حصلوا أيضاً على قطعة من عظامه .. ؟! وأجبت على نفسى : طبعاً ، من الممكن نشر أصبع أو جزء من القدم أو من الكتف .. لكن لماذا .. ؟ من الذى كان يريد أن يحلل هذه الأعضاء ؟ وماذا كان يريد أن يثبت .. ؟ .. هل مات عبد الناصر مسموماً وأراد القائمون بأمر هذه الجريمة إثبات أنهم ــ فعلاً ــ نفذوا العملية ١٠٠ ٪ .. والإثبات لمن .. ؟ بالطبع لأصحاب المصلحة فى إزاحة عبد الناصر.. للمستفيدين من اختفاء عبد الناصر.. !!

لم أقتنع أبداً بأن الصفة التشريحية تتطلب أخذ خصلة من شعر عبد الناصر ولا الحصول على أظافره .. وما قاله الوزير صلاح هدايت يفتقر إلى المصداقية .. خصلة الشعر والأظافر عملية أخرى غير الصفة التشريحية تماماً ..

على كل فلنعد إلى الفنان مصطفى متولى الذى كان يستطرد قائلاً :

ظللنا نعمل طوال الليل وبالطبع لم أكتف بعمل قناع واحد للرئيس جمال عبد الناصر بل عملت قناعاً آخر لى لأستفيد منه إذا ما أردت أن أصنع تمثالاً له ..

فى الصباح جاء الوزير صلاح هدايت ورأى القناع والذراع والكتف وأعجب بالعمل ، وقلت له : لم أعد فى حاجة إلى الجثة ، أريد الآن حجرة واسعة لأقوم فيها بعمل التشطيبات النهائية للقناع والذراع والكف .. واذا احتجت إلى رؤية وجه عبد الناصر ثانية فهذا لن يستغرق سوى لحظات أعيد فيها النظر للأصل والقناع ..

وهكذا حملنا أشياءنا وصعدنا إلى الدور الثانى وقابلنا حسن التهامى الذى رأى القناع والذراع والكف وأعجب بالعمل .. وأمر بإخلاء حجرة أمام مكتبه لنقوم فيها باتمام العمل ..

سألت الفنان مصطفى :

— هل قمت بعمل القناع والذراع والكف بتصريح من كبير الأطباء الشرعيين .. أو هل حضر ليرى ما تقوم به من عمل فى الجثة .. ؟ ..

أجاب الفنان مصطفى :

ــ لا لم أر كبير الأطباء الشرعيين هذا .. الذى كنت أراه و يتردد دائماً أثناء العمل هو حسن التهامى .. هذا بالطبع غير الوزير صلاح هدايت الذى كان يعتبر نفسه مسئولاً عنا ..

يستطرد الفنان مصطفى :

تم العمل مساء يوم الأربعاء (٣٠ سبتمبر سنة ١٩٧٠) وسلمت القناع والذراع والكف للوزير حسن التهامى فى مكتبه وشكرنى بشدة .. وشكر ابنى وحسن الشجيع .. ، وخرجت من قصر القبة على أمل العودة لأخذ « العدة » ومعطف العمل .. لكننى خرجت ولم أستطع العودة بعد ذلك على الإطلاق .. أما القناع الذى عملته لنفسى فقد كان يحمل شعيرات من رأس عبد الناصر ــ أيضاً ــ وقد التصقت بالمصيص وخرجت مع القناع وأنا أجذبه من على وجهه بعد أن جف ..

قلت فى نفسى : « هذه فرصة العمر لأحصل على هذه الشعيرات وأقوم بتحليلها لأقطع الشك باليقين فى سبب وفاة عبد الناصر .. ولهذا سألت الفنان مصطفى عن القناع الآخر .. فأجاب :

ــ سلمت القناع للفنان جمال السجينى قبل وفاته بثلاث سنوات ليصنع منه تمثالاً لعبد الناصر .. ومات السجينى ولم يعد لى القناع بعد ذلك ..

حاولت بالطبع الحصول على القناع من السيدة هدى حرم الفنان السجينى إلاّ أن محاولاتى ضاعت سدى فقد أصيبت حرم الفنان بعد وفاته بحالة نفسية عزلتها عن الناس تماماً وفرضت عليها الوحدة .. وقال لى بواب العمارة التى تسكن فى شقة منها بالزمالك أنها لا تكلم أحداً ولا ترد على التليفون ولا تفتح الباب لأحد ..

□ لم أترك الأمر ، وكان من الضرورى أن أعرف مصير القناع والذراع والكف وخصلة الشعر والأظافر الخاصة بالرئيس جمال عبد الناصر ، وكانت نقطة البداية عندى هو العثور على الوزير صلاح هدايت .. وكان آخر منصب تولاه هو منصب وزير دولة فى حكومة الدكتور محمود فوزى التى تشكلت بعد

انقلاب السادات فى ١٩٧١/٩/١٩ وكان هدايت من قبل وزيراً فى عهد عبد الناصر وخاصة فى مرحلة التحول الاشتراكى وكان يتولى — دائماً — وزارات البحث العلمى فقد كان ضمن الضباط خريجى كليات العلوم الذين عملوا فى سلاح المهندسين وقد عهد إليه عبد الناصر فى عام ١٩٦٢ بزراعة منطقة شاسعة فى وادى النطرون تطبيقاً لنظرية قال بها لعبد الناصر وهى إمكانية زراعة أشجار للزيتون ذات مناعة خاصة تقاوم البكتيريا والفطريات وقد نجحت هذه النظرية فى التطبيق وما زالت هذه المنطقة ترتفع فيها أشجار الزيتون قوية تكتسب على مر الأيام والسنين مناعة ضد أمراض النبات .. لكن طبيعة صلاح هدايت اصطدمت بطبيعة على صبرى مدير مكتب الرئيس ثم رئيس الوزراء فيما بعد .. ، وتقلب — بعد ذلك — صلاح هدايت فى مناصب علمية عدة .. فكان يمثل مصر فى لجنة الطاقة الذرية الدولية .. ، واختير فى الجامعة العربية ليرأس شعبة الطاقة النووية ، واختاره عبد الناصر عدة مرات مستشاراً علمياً له وظل فى هذا المنصب إلى أن توفى عبد الناصر فى ١٩٧٠/٩/٢٨ .. وكان صلاح هدايت يتمتع بحب وتقدير واحترام كل من عرفه أو عمل معه .. ولصلاح هدايت عدة أبحاث هامة ودولية فى مجال الاستثمار الزراعى والتربة .. ، وربما كان صلاح هدايت من الوزراء والرفاق القلائل الذين عملوا مع عبد الناصر ولم يستثمروا هذه العلاقة فى الحصول على مكاسب أو منافع خاصة أو الإثراء السريع .. فما زال صلاح هدايت فى الفيلا التى كانت تسكنها عائلته فى مصر الجديدة .. ومظهر الفيلا وأثاث البيت المتواضع فيها لا يوحى على الإطلاق بأن الذى يعيش فيها كان وزيراً لعدة مرات فى يوم من الأيام ..

والشىء الوحيد الذى لم أستطع الاقتراب منه أو تفسيره هو قبوله لمنصب الوزارة فى عهد السادات بعد انقلابه فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، كذلك لم أستطع الربط بين الحصول على هذا المنصب الوزارى و بين المهمة التى قام بها صلاح هدايت بالاشتراك مع حسن التهامى ليلتى ٢٩ و ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٧٠ بقصر القبة مع جثمان الزعيم جمال عبد الناصر ..

وعلى أية حال فإنه أعاد ترتيب المعلومات على النحو التالى :

أنه علم بوفاة الرئيس جمال عبد الناصر وكان بمهمة فى ڤيينا خاصة باللجنة الدولية للطاقة الذرية بڤيينا ممثلاً للجامعة العربية ولمصر ، وبالطبع كان علىَّ أن أعود على الفور لألقى النظرة الأخيرة على جثمان الراحل العظيم الذى كنت أحمل له فى نفسى معزة خاصة ومحبة كبيرة ، واستطعت الحصول على مقعد بالطائرة التى أقلعت إلى القاهرة فى اليوم التالى للوفاة أى يوم الثلاثاء ١٩٧٠/٩/٢٩ وراودتنى فكرة تخليد جمال عبد الناصر وأنا جالس بالطائرة ، تخليد الزعيم بشكل علمى ومتحضر وذلك بأخذ الصفة التشريحية له قبل أن يُوَارى التراب وتضم هذه الصفة التشريحية (أى عمل صبات وأقنعة للوجه والجمجمة والذراع واليد وبصمة اليد .. وربما القدم) كما تضم متعلقات الرئيس فى حياته بما فى ذلك ثيابه المدنية والعسكرية ونياشينه وصفحات بخطه ، وأشكال توقيعه على الأوراق ، والقرارات المصيرية التى أصدرها .. الخ .. وتوضع هذه الوثائق كلها تحت نظر لجنة من أساتذة الجامعات والخبراء فى شئون الوراثة والأجناس والأحياء ..

والذى يقصده الوزير صلاح هدايت هو ما يصطلح على تسميته بالأنثروبولوچيا Anthropology أى أن الوزير صلاح هدايت كان يستهدف وضع الصفة التشريحية أمام علماء الأنثروبولوچيا ومهمة هؤلاء العلماء والباحثين هى وصف الخصائص الإنسانية ، البيولوچية ، والثقافية المحلية ، كأنساق مترابطة ومتغيرة عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة ، وكذلك وصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوچيا وبحث الإدراك العقلى للإنسان ، وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته . وبصفة عامة ، فإن الأنثروبولوچيين يهتمون عامة بالفروق القائمة بين شعوب الجنس البشرى ، ومعرفة الطبيعة الإنسانية ، وتفسير الاختلافات فى الملامح الجسمية ، ولون البشرة ، والعادات والتقاليد والديانات والفنون وغير ذلك من مظاهر الحياة ..

فالصفة التشريحية ودراستها ونتائج هذه الدراسة جزء من متحف يسمى : **« متحف عبدالناصر »** كالمتاحف العالمية فى بلدان العالم المختلفة مثل متحف لينين ومتحف روزفلت ومتحف تشرشل ومتحف بتهوفن وشوبرت .. الخ .. فالذى يزور المتحف يمكنه أن يعرف كل شىء عن هذه الشخصية ..

تبلورت هذه الفكرة لدى الوزير صلاح هدايت وهو فى الطائرة وما أن هبطت الطائرة مطار القاهرة حتى سارع إلى قصر القبة وقابل حسن التهامى باعتباره وزيراً لرياسة الجمهورية وبالتالى فهو المختص الوحيد فى هذه الظروف بالموافقة على هذا المشروع المتكامل من عدمه أى مشروع : « **متحف عبد الناصر** » وبينما كنت أشرح له فكرة المشروع وأتحدث فى التفاصيل جاء السادات ولم يكن قد أصبح رئيساً بعد .. وعلى هذا فقد تمت الموافقة على المشروع واقتضى البدء فى المشروع ــ كما يذكر الوزير صلاح هدايت ــ أن يجرى أخذ الصفة التشريحية للوجه (الجمجمة) والذراع والكف والأصابع للرئيس جمال عبد الناصر فوافق .. لكنه استوقف صلاح هدايت الذى كان قد نهض ليبدأ التنفيذ وقال له :

لا تنسى تجيب لى شوية شعر من راسه علشان عايز أحللهم !!

و يعلق صلاح هدايت على طلب حسن التهامى الذى كان بموافقة السادات الذى كان حاضراً ولم يعترض ، يعلق عليه قائلاً : أصل التهامى بيحب الحاجات دى ، فهو قد يرى فى بعض التصرفات إشارات عن جرائم .. فهو يتمتع بالحاسة البوليسية (!!)

وهكذا خرج صلاح هدايت من مكتب التهامى وذهب للبحث عن مثّال يقوم بعمل الصفة التشريحية لعبد الناصر .. ولمّا لم يكن يعرف أحداً فقد لجأ ــ وهذا أمر طبيعى ــ إلى الدكتور أحمد الحسينى عميد كلية الفنون الذى قاده إلى المثّال مصطفى متولى رئيس قسم النحت بالكلية الذى قبل المهمة وذهب معه إلى قصر القبة .. الخ ..

> **ولا خلاف بعد هذا على ما حدث ولا على ما ذكره المثّال مصطفى متولى إلاّ على نقطة واحدة وهى أظافر عبد الناصر فالسيد صلاح هدايت ينفى أنه تعرض لقص أظافر عبد الناصر لأخذها وتسليمها للسيد حسن التهامى لتحليلها بل أنه لا يعرف شيئاً عن هذا الموضوع ، لكنه اعترف بأنه أخذ خصلة من شعر عبد الناصر ووضعها فى مظروف صغير أبيض وسلمها مع الصفة التشريحية (القناع والذراع والكف) إلى السيد حسن التهامى باعتباره الوزير المسئول ..**

وكان من الطبيعى أن أعيد عليه السؤال للتأكيد :

ــ أين خصلة الشعر التى أخذتها من شعر عبد الناصر مساء الثلاثاء

١٩٧٠/٩/٢٩ حالة تواجد جثمان الزعيم فى قصر القبة .. وأين الصفة التشريحية للزعيم .. ؟

وأجاب صلاح هدايت :

— سلمت كل هذا للسيد حسن التهامى وزير شئون رياسة الجمهورية وانقطعت صلتى بالموضوع بعد أن علمت أنه لا توجد رغبة لدى حسن التهامى ولا لدى قيادة البلاد — وقتئذ — فى إقامة متحف لعبد الناصر ..

● هل سألت الوزير حسن التهامى عن هذه الأشياء ؟

— نعم ، ذهبت إلى قصر القبة بعد أسبوعين من وفاة الرئيس عبد الناصر لأعرف عما إذا كانوا جادين فى تنفيذ مشروع المتحف .. لكن وجدت تخاذلاً ، وسألت عندئذ عن القناع والذراع والكف وخصلة الشعر الخاصة بالرئيس عبد الناصر إلاّ أننى فوجئت بالتهامى يقول لى بأنه لا يعرف أين ذهبت هذه الأشياء .. ، وعندئذ أدركت أنهم غير جادين فى عمل شىء ..

● وإذن فلماذا كان حسن التهامى وزير شئون رياسة الجمهورية حريصاً على الحصول على خصلة الشعر وبالطبع حصل — من قبل — على الأظافر .. والصفة التشريحية للرئيس جمال عبد الناصر ..

— لا أعرف ..

● ألا يمكن أن يكون حسن التهامى قد سلم هذه الأشياء لأسرة الرئيس جمال عبد الناصر .. ؟

— لم يقل ذلك ، والأسرة لم تتسلم هذه الأشياء بل ربما لا تعلم أنه أخذ خصلة من شعر الرئيس ..

● كيف ؟

— فى الذكرى الأولى لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر ذهبت إلى منشية البكرى لتقديم العزاء للأسرة ، وقابلنى فى البيت خالد عبد الناصر وسألنى : « **سمعت أنهم عملوا قناع وذراع وبصمة كف لوالدى .. فين هيه الحاجات دى .. ؟** »

أجبته : فعلاً وهى موجودة عند التهامى ..

وبالطبع عدت أسأل التهامى فعاد وأنكر، ثم حدث والتقيت بخالد عبد الناصر مرة ثانية وسألنى فعدت للمرة الثالثة وسألت التهامى فأنكر وقال إنه لا يعرف أين وضعها .. وقلت هذا لخالد عبد الناصر.. ، وعلى هذا فأسرة جمال عبد الناصر لم تتسلم هذه الأشياء والمسئول عنها حسن التهامى ..

□ كان هذا اللقاء بينى وبين الوزير صلاح هدايت فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٨٨ ..

وذهبت فى نفس اليوم .. وقابلت حسن التهامى فى بيته بمصر الجديدة وسألته عن الصفة التشريحية لجمال عبد الناصر والمكونة من القناع والجمجمة والذراع والكف والأصابع ثم خصلة الشعر والأظافر.. وقلت له إن الوزير صلاح هدايت قرر لى أنه سلمك هذه الأشياء مساء الأربعاء ١٩٧٠/٩/٣٠ باعتبارك كنت وزيراً لشئون رياسة الجمهورية ووافقت مع السادات على إقامة متحف باسم: «متحف جمال عبد الناصر» ويضم هذه المقتنيات وهو الاقتراح الذى تقدم به إليك الوزير هدايت بقصر القبة وفى حضور السادات ولم يكن قد أصبح بعد رئيساً للجمهورية .. أين هذه المقتنيات العزيزة .. ؟

أجاب حسن التهامى الوزير السابق لرياسة الجمهورية واليد اليمنى للرئيس السادات ــ فيما بعد ــ فى مشاريعه للقاء مع الإسرائيليين ، قائلاً :

فعلاً ، جاءنى الأخ صلاح هدايت مساء الثلاثاء ١٩٧٠/٩/٢٩ وجثمان عبد الناصر ما زال فى ثلاجة قصر القبة وقال لى ما يصحش يكون واحد زى جمال عبد الناصر يموت وما نعملش له متحف يضم آثاره ومقتنياته وصفته التشريحية .. وبالطبع أخذ تصريحاً منى بتنفيذ ذلك وكذلك صرحت له بأخذ خصلة من شعره ..

- **هل صرحت له بأخذ خصلة من الشعر بناء على طلبه أو بناء على طلبك .. ؟**

— بناء على طلبه هو.. ، وأتذكر أنه جاء لى بمظروف صغير أبيض يحتوى على خصلة الشعر ووضعه على مكتبى ..

ثم استطرد من تلقاء نفسه :

إلا أننى أدركت فيما بعد أن خصلة الشعر هذه لن تكون ذات فائدة لأن سم الأكونتين يتلاشى أثره من الجسم تماماً بعد ساعتين قبل أن يصل إلى الشعر أو الأظافر.. (!!)

انتفضت وقلت لحسن التهامى :

لكننى لم أسأل عن سم الأكونتين .. فهل تعتقد أنه السم المستعمل .. ؟ ثم ما الذى جعلك تذكر الأكونتين ؟

أجاب حسن التهامى :

ذكرت سم الأكونتين لأنه السم المستعمل فى انتحار المشير عبد الحكيم عامر عقب هزيمته فى يونيو سنة ١٩٦٧ .

- وأين خصلة الشعر ؟

ـ تركت خصلة الشعر فى الخزينة بقصر القبة ، وأذكر أن خصلة الشعر لم تكن خصلة بالمعنى المفهوم ، لقد كانت بضعة شعيرات نصفها أبيض والنصف الآخر حائل اللون ، .. المظروف اللى كان فيه الشعر إمّا أن يكون بالمكتب أو فى خزينة من خزائن الرئاسة ، والواقع أن المظروف كان مظروفاً صغيراً لا ينتبه إليه شخص وكان على المكتب ولما عرفت معلومة أن سم الأكونتين لا يستمر فى الجسم أكثر من ساعتين وبالتالى لا يمكن أن يصل إلى الشعر أو الأظافر.. لما عرفت ذلك لم أعبأ بالمظروف .. أو قل فقدت الاهتمام به ..

- أى أن المظروف الذى يحتوى على خصلة من شعر الرئيس جمال عبد الناصر كان أمامك وعلى مكتبك إلى أن وصلتك المعلومة الخاصة بسم الأكونتين .. وعندئذ اختفى المظروف لأنك فقدت الاهتمام به .. ؟

ـ ده كان مظروف صغير ولا يسترعى انتباه أحد ..

- والأظافـــر.. ؟

ـ لم أشاهد أظافر للرئيس عبد الناصر..

- والقناع والذراع والكف التى صنعها المثال مصطفى متولى رئيس قسم النحت بكلية الفنون ؟ !

— الحاجات دى أخدها صلاح هدايت وعمل منها تمثالاً لعبد الناصر وموجودة فى المتحف .. ؟

• أى متحف تقصد .. ؟ هل يوجد متحف باسم جمال عبد الناصر فى مصر؟

— لا أدرى ، وعلى كل حال ففيه تمثال لعبد الناصر استخدم فى صنعه القناع .. ويمكن تجد هذه الحاجات محفوظة فى بيت عبد الناصر بمنشية البكرى ..

• هذه الأشياء لا وجود لها فى بيت عبد الناصر ولم تصل إليه ، والدليل على ذلك أن خالد عبد الناصر سأل عنها صلاح هدايت أكثر من مرة ، فلو كانت فى البيت فما الداعى إلى أن يسأل عنها .. ؟!

— لا أعـرف ..

كان من الواضح أن حسن التهامى يخفى سراً والدليل على هذا التغير السريع فى أقواله الخاصة بخصلة الشعر فيقول فى البداية — مثلاً — أن خصلة الشعر بالخزينة ثم يذكر أنها اختفت من على مكتبه ، ثم يتراجع عن كل هذا و يدعى أن كل هذه الأشياء لدى صلاح هدايت وأخيراً يقول إنها ببيت الرئيس فى منشية البكرى .. ، وقد عدت إلى الوزير صلاح هدايت وعرضت عليه ما قاله حسن التهامى فأصر على أنه سلم هذه الأشياء لحسن التهامى وأنه استلمها منه يداً بيد ، و بالتالى فقد عدت إلى سؤال التهامى بعد أن لخصت له ما قاله صلاح هدايت .. فرد عليه بأنه لم يظل طويلاً فى منصبه كوزير لرياسة الجمهورية ، وقال إنه ترك الرياسة بعد وفاة جمال عبد الناصر وأن السيد سامى شرف وزير الدولة لشئون الرياسة تسلم مكتبه منه بكل ما فيه وما يحتوى عليه من خزائن وخلافه .. ، سامى شرف هو الذى استولى على كل ما كان فى مكتبى ..

□ قابلت السيد سامى شرف وزير الدولة فى عهد جمال عبد الناصر وعرضت عليه أقوال السيد حسن التهامى فقال بأنه أرسل بعض موظفيه فعلاً لاستلام مكتب السيد التهامى بقصر القبة .. ولم يكن من بين ما جرى استلامه لا خصلة الشعر ولا الأظافر ولا القناع أو الذراع أو بصمة الكف .. وأن هذه الأشياء قد خرجت من قصر القبة .. إلى أين ؟ هذا ما يعرفه جيداً حسن التهامى !!

ومـن الواضح أن خصلة شعر وأظافر عبد الناصر تمثل الفاتورة التى يجب أن تقدم لـدفـع الحسـاب .. فـالـشعر والأظافر يثبتان نجاح العملية و بالتالى فالفاتورة تستحق الـسـداد .. و بـالـعـملة الحرة ، بالدولار ولهذا لا يمكن أن يكون لخصلة الشعر والأظافر وجود لا فى قصر القبة ولا بيت الرئيس فى منشية البكرى ولا لدى صلاح هدايت .. !

■ □ ■ □ ■ □ ■

٨

إذا كنـا فى بـدايـة صـفـحـات الكتاب تحدثنا عن السم كسلاح لقتل الزعيم ، وانتهـيـنـا إلى أنه من المستحيل أن يكون الزعيم قد مات عن طريق تسرب السم من سـاقـه إلى الـدورة الـدمـويـة ، وأنكرنا أن يكون هؤلاء الذين أشارت إليهم أصـابـع الاتهام لم يدخلوا بيت الرئيس عبد الناصر.. إلا أننا ، ودون قصد منا ، وجدنا أنفسنا مرة أخرى ، من خلال الصفحات القليلة الماضية ، أمام السم .. وأمـام أدلـة دامـغـة عبـث بها المتآمرون وجثمان الرئيس مازال ساخناً فى قصر الـقـبـة ، أدلـة حـصـلوا عليها ليطمئنوا على عملهم ــ السيئ ــ الذى قاموا به ، ويـقـدمـوا فـاتورة الحساب : خصلة الشعر وأظافر اليد اليمنى ، وهى أدلة يؤدى تحليلها إلى حسم قضية السم .

ولا يـنـال من ذلك ما ادعاه السيد حسن التهامى ، وزير شئون رياسة الجمهورية (صـدر قـرار بتعيينه وزيراً لشئون رياسة الجمهورية فى ٢٦/٤/١٩٧٠ ، واستمر فى هذا المـنـصـب إلى أن اتخـذه الـسـادات مساعداً له ، وعين بدلاً منه سامى شرف الذى أصبح يجـمـع بين مـنصبى وزير الدولة ووزير لشئون رئاسة الجمهورية ومدير المعلومات بقرار من الـسـادات فى ١٨/١١/١٩٧٠) إن خـصلة الشعر لم تكن بذى فائدة تذكر لأن السم المـسـتـخـدم هـو الأكـونـتين الـمتداول فى المخابرات ، والذى انتحر به المشير عبد الحكيم عـامـر ، إثـر هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ .. وإذا ما كان الأمر كما ادعى السيد التهامى فلِمَ

لَـمْ يترك خصلة الشعر والأظافر والصفة التشريحية ، ولماذا احتفظ بها لنفسه ولم يسلمها لخلفه السيد سامى شرف .. أو يسلمها إلى أسرة الرئيس بمنشية البكرى ، أو يحفظها ضمن وثائق الدولة .. ؟ وإذا كان السيد التهامى ينكر وجود هذه الوثائق والمتعلقات الخاصة برئيس الجمهورية والتى تمثل فى حد ذاتها أدلة جنائية و يدعى فقدانها .. وضياعها .. بينما كانت فى حوزته وأمانة سلمت إليه بواسطة السيد صلاح هدايت ـــ المستشار العلمى لرئيس الجمهورية مساء الأربعاء ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٧٠ .. إذا كان الأمر كذلك .. فليقل لنا هذا الوزير والمساعد للرئيس السادات ، ليقل لنا لمن سلم هذه الأدلة .. وإلى أية جهة أجنبية آل إليها مصير هذه الأدلة .. ؟!

ونحن نعلم أن السيد التهامى سيلتزم الصمت التام وهذا طبيعى .. ومن هنا فلنضرب بحصارنا على الآخرين إذ يبدو أنه كانت هناك خطة تبادلية بحيث لا يفلت الزعيم حياً فإمّا بالسم فإن أفلت فالبدائل موجودة وجاهزة .. وعلى ضوء هذا التصور نطرح عدداً من الأسئلة فى هذا الفصل الأخير من الكتاب ..

أولاً : لماذا لم ينقل الرئيس جمال عبد الناصر إلى مستشفى المعادى العسكرى فور شعوره بالتعب الذى بدا عليه منذ صباح الاثنين ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ إثر تعاطيه حقنة الأنسولين .. وتصاعد هذا التعب بين كل لحظة وأخرى بحيث كان واضحاً لكل مرافقيه ومعاونيه .. ؟!

أجاب طبيبه الخاص الدكتور الصاوى حبيب أنه لم تكن فى مصر غرفة للعناية المركزة ..

وأجاب السيد شعراوى جمعة وزير الداخلية وأمين التنظيم السياسى بأن نقل رئيس الجمهورية إلى المستشفى قرار سياسى لا يمكن أن ينفرد به طبيبه الخاص ، ولم يقل لنا السيد شعراوى جمعة متى يُصدر هذا القرار السياسى .. هل يصدر بعد الوفاة أم قبلها .. ؟!

- وفيما يختص بادعاء الدكتور الصاوى حبيب وزميله الآخر د. منصور فايز الذى وجد الجرأة ليصدر كتاباً هزيلاً بعنوان « **مشوارى مع عبد الناصر.. مذكرات الطبيب الخاص لعبد الناصر** » يؤيد فيه ادعاء د. الصاوى حبيب .. فإن ما يدحض هذا الادعاء هو الكتاب الصادر عن المستشفى بمناسبة مضى ٢٠

عاماً على إنشائه و يتضمن الإقرار بأنه منذ افتتاحه رسمياً فى أكتوبر سنة ١٩٦٥ وهو يحتوى على غرف عديدة للعناية المركزة !

- و يقرر الوزير محمد أحمد السكرتير الخاص لجمال عبد الناصر لأكثر من ١٨ سنة أنه دخل غرفة العناية المركزة بمستشفى المعادى العسكرى وعولج فيه عام ١٩٦٨ !

- و يقرر — أيضاً — اللواء طبيب الدكتور عبد المنعم عاشور الأستاذ بكلية طب عين شمس والذى كان يعمل رئيساً لقسم الأعصاب بمستشفى المعادى العسكرى عام ١٩٧١/٧٠ ، يقرر فى شهادة له — نصها بقسم الوثائق — أن مستشفى المعادى العسكرى كان به أربع غرف للعناية المركزة بعضها لما بعد العمليات الجراحية (الإفاقة) و بعضها للقلب بالذات ، وواحدة للأعصاب و واحدة للحالات الملوثة (العفنة) .

- و يقرر الأستاذ الدكتور طه عبد العزيز كبير أطباء رئاسة الجمهورية — حالياً — وأخصائى القلب المشهود بكفاءته ومقدرته أنه عندما عاد من انجلترا عام ١٩٦٥ أُلحق بالعمل بغرف العناية المركزة الخاصة بالقلب خاصة وكان عائداً من دورة تدريبية على استخدام أجهزة الإفاقة وتنظيم ضربات القلب ..

فالتذرع بعدم نقل الرئيس عبد الناصر إلى غرفة العناية المركزة بمستشفى المعادى العسكرى بحجة أنه لم يكن هناك وجود لمثل هذه الغرف .. غير مقبول نظراً لأنه لا ينهض على أساس سليم من الواقع أو الحقيقة ..

ثانياً : نفى الدكتور الصاوى حبيب طبيب عبد الناصر أنه أعطى الرئيس جمال عبد الناصر ٣ حقن واحدة أنتستين ، ٢ بانتوبون بناء على تشخيص خاطىء بإصابة الرئيس بجلطة فى الشريان التاجى وهى عادة تكون مصحوبة بآلام حادة إلاّ فى بعض الحالات الخاصة ، وقد نقل السيد صلاح الشاهد وأكد ما قاله الدكتور رفاعى كامل أن هذه الحقن مثبطة للقلب وقد أصابته بهبوط شديد مما عجل بوفاته ..

وقد نفى د. الصاوى حبيب ذلك بادعاء أنه لا توجد حقن أنتستين بل الأنتستين عبارة عن أنستستين بر يفين و يستعمل كنقط للأنف كما أنكر وجود عقار يسمى بأنتو بون ..

وهذا الكلام لا ظل له من الحقيقة فالأنتستين عقار مضاد للحساسية ومشبط و ينتج على شكل نقط للأنف وأقراص وحقن وقد رجعت إلى نشرة الأدو ية التى تصدرها وزارة الصحة المصر ية عن الأدو ية المتداولة فى الأعوام ٦٥ـــ ١٩٧٠ ، ٧٠ـــ ١٩٧٥ . وتأكدت من وجود الأنتستين على الأشكال الثلاثة المتقدم ذكرها و ينتج هذا العقار بواسطة شركة « **سويس فارما** » بتصر يح من شركة « **سيبا جايجى** » بسو يسرا ، وترد حقن الأنتستين فى نشرة وزارة الصحة تحت عنوان : Antihistaminics طبعة عام ١٩٧٠ ص ٧٣ .. فحقن الأنتستين موجودة !!

أما عقار الـ Patopon فوجود بمصر وخاصة فى أوائل السبعينيات و بالطبع متوافر أكثر فى صيدلية رئيس الجمهور ية و يرد اسم هذا العقار فى النشرة الدولية للأدو ية والعقاقير رقم ٢٨ المسماة Martindale وتنتج هذا العقار شركة روش Roche وتحتوى الحقنة على مليمتر من مشتقات الأفيون (هايد كلور يد الأفيون) على النحو الآتى : ١٠ مليجرام مورفين ، ٨, ١ مليجرام كودايين ، ٢٢ مليجرام فوسكايين ، ٢ مليجرام بابافر ين .

ولا تعطى حقن الـ Pantopon إلاّ فى الحالات المصحوبة بألم شديد للغاية ، وتستعمل بصفة خاصة فى الأمراض السرطانية وعند التهيج الشديد .. أما أن يكون المر يض ـــ فى حالتنا ـــ فى حالة غيبو بة سكر أو غيبو بة لأى سبب و يعطى الـ Pantopon فإنه يعنى الحكم عليه بالموت السر يع ..

ثالثاً : يصر الطبيبان منصور فايز والصاوى حبيب طبيبا عبد الناصر أن سبب الوفاة هو جلطة بالشر يان التاجى للقلب ولا يقدمان أدنى دليل على صحة هذا الزعم لا من خلال رسم كهر بى للقلب ولا من خلال تحليل للدم ، و يقرر الدكتور أحمد عبد العز يز إسماعيل أستاذ ورئيس قسم الأمراض الباطنية

بالقصر العينى فى رسالة منشورة ومؤيدة بحديث شخصي فى ١٩٨٨/٧/٢٤ رداً على ما أثير حول زعم أطباء عبد الناصر بموته بالجلطة القلبية ، يقرر الدكتور أحمد عبد العزيز بصراحة وحسم :

إن المعروف طبياً وندرسه للطلبة ونؤكده لهم أن نقص السكر يسبب اضطراب ضربات القلب بسبب إفراز الإدرينالين ونقص البوتاس ، بل قد يحث على إحداث جلطة بالشريان التاجى وقد يؤدى إلى توقف القلب ، وعلى العموم فلن يعرف السبب الحقيقى لموت عبد الناصر ما دام الطبيب المعالج لم يفحص نسبة السكر بالدم عند شعوره بالإرهاق ، إن نفى أن يكون السبب هو نقص السكر ، أو تأكيد أن السبب هو انسداد بالشريان التاجى ، أمر مستحيل الجزم به حالياً فى ضوء المعلومات التى لدينا ..

وأضاف الدكتور أحمد عبد العزيز إسماعيل عند مناقشته حيث أوضحت له بأن تحية هانم قرينة الرئيس قدمت إليه كوباً من عصير البرتقال وهذا فى حد ذاته قد يحل مشكلة نقص السكر، أضاف :

إن مقدار السكر الموجود فى كوب عصير البرتقال هو ٣٠ جراماً وهو مقدار لا يقدم ولا يؤخر، حتى لو كان المقدار الذى قدم كوبين من عصير البرتقال فإنهما غير كافيين لإخراج شخص من غيبوبة نقص السكر أو منعها إذا كانت على وشك الحدوث ، والحل الوحيد فى هذه الحالة هو إعطاء المريض كمية السكر المطلوبة عن طريق الوريد ..

إن كمية الأنسولين التى تعاطاها جمال عبد الناصر فى الصباح يمكن أن يمتد مفعولها إلى ما بعد الظهر، لكن إذا كان قد بذل مجهوداً كالمجهود الذى بذله فى توديع الملوك والرؤساء الذين حضروا مؤتمر قمة الهيلتون .. فإن كمية السكر تكون قد احترقت وأصبح فى حاجة إلى سكر جديد .. وهكذا ..

هذا بالإضافة إلى أنه من المستحيل التفرقة بين اضطرابات القلب الناتجة عن حدوث جلطة وبين اضطرابات القلب الناتجة عن نقص السكر أو اضطرابات القلب فى بدء انسداد الشريان التاجى هذا بالإضافة ــ كما سبق القول ــ أن نقص السكر قد يسبب انسداد فى الشريان التاجى ..

وفى هذا المجال ــ مجال تخبط وجهل القائمين على علاج عبدالناصر بحسن نية أو سوء نية لأن النتيجة سواء ــ يقرر الدكتور جمال غوردون رئيس الجمعية المصرية لرعاية مرضى السكر ورئيس الجمعية المصرية للتشريعات الطبية والحاصل على دكتوراه فى الغدد .. أنه عندما تقدم إلى الدكتور أنور المفتى « ليقدم لى أول كتاب كتبته فى مرض السكر سنة ١٩٦١ ، كان اللقاء فى صيف هذا العام ، قلت للدكتور المفتى : إننى أشك فى أن يكون عبد الناصر مصاباً بالسكر، ولم تكن تربطنا علاقة أستاذية ولا تعليمية بأنور المفتى فسألنى على الفور: ومن أين جاءك هذا الشك ؟ قلت لأننى شاهدت يد الرئيس وهو يلوّح إلى الجماهير عند عودته بعد ظهر يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٦١ ، وقد رأيتها داكنة اللون رغم أنه لم يكن قد أمضى سوى ثلاثة أيام بالإسكندرية ، وسمرة البحر تختلف عن هذا اللون تماماً ، وقلت إن ظنى أنه إذا كان الرئيس يعانى مثلاً من مرض السكر فأغلب الظن أنه مصاب بالنوع البرونزى الذى يفسد البنكرياس والكبد نتيجة لارتفاع نسبة الحديد فى الدم ، وهذا النوع لا يعالج إلاّ بحقن الأنسولين فقط ، فنظر الدكتور المفتى إلىّ وقال : ترجونى أن أقدم لكتابك بعد ما ثبت لى أنك استطعت أن تشخص مرض السكر عن بعد ، وقد أصبت فى تشخيصك ..

« ... ومرت الأيام وعلمت أن علاج الرئيس يأخذ شكلاً متخبطاً ، فتارة يكون بالأقراص المنشطة للبنكرياس التى قدمها د. فايزر من جامعة أولم بألمانيا ، وتارة بالأنسولين الذى كان يدعو له دكتور بولسون وهو مستشار أكبر شركة لصناعة الأنسولين فى العالم ، وبدا لى من بعيد كما لو كان هناك صراع بين نظريتين علميتين دون أن يكون المرض هو الحكم على العلاج الأصح ، وقد علمت من الدكتور المفتى أنه ترك علاج الرئيس لأحد الزملاء الآخرين قبل وفاته بعام تقريباً !

وكانت نصيحتى لزملائى الذين يعالجون الرئيس هى الالتزام بالعلاج بالأنسولين بصفة مستمرة مع التحليل اليومى بانتظام حيث إن المخ يعجز أحياناً عن التحكم فى وظائف كثيرة عندما ترتفع نسبة السكر فى الدم بشدة ..

إن وفاة الرئيس جمال عبدالناصر ما زالت حائرة بين أمرين فإما أن تكون الوفاة قد حدثت بسبب انخفاض شديد فى نسبة السكر فى الدم كما شكت فى

ذلك حرم الرئيس وقامت بتقديم عصير البرتقال إليه فور وصوله ، وإما أن تكون جلطة كبرى قد سدت شرايين القلب فجأة وتسببت فى توقف القلب بما نسميه السكتة القلبية ..

وبالنسبة لعوارض انخفاض نسبة السكر فى الدم وهو ما يعرف الآن عند شبابنا الريفى المريض بالسكر بـ« الهيبو» فإن الأعراض الأولى هى العرق الشديد مع رعشة خفيفة بالأطراف وتنميل بالشفتين وامتقاع اللون وسرعة ضربات القلب وتوتر المزاج والأعصاب ، وكلها متداخلة مع هبوط القلب ، إلاّ أنه فى حالة « الهيبو» تعود الصحة لطبيعتها بمجرد تناول كوب من الشراب المحلى بالسكر أو عصير الفاكهة وما إلى ذلك من أغذية حلوة ، أما فى حالة هبوط القلب فتستمر العوارض وتشتد إلى أن ينقذ المريض و يكتب له العمر أو يموت بسبب اضطراب عضلة القلب ..

وجدير بالذكر أن « الهيبو» وهو حالة تأتى نتيجة ارتفاع كمية الأنسولين المحقونة علاجياً أو إغفال المريض تناول طعام بعد تناول الأنسولين أو قيام الشخص بحركة عضلية شديدة تحتاج لمزيد من السكريات . أقول إنه جدير بالذكر أن نذكر هنا أن حالات « الهيبو» الشديدة عند مرضى القلب تسبب أزمة قلبية جديدة . أى أن الحالة الأولى قد تسبب الحالة الثانية وتتداخل معها ، ولقد نسينا بين كل هذه التعليلات ظاهرة المواءمة ، تلك الظاهرة الهامة التى كثيراً ما تُنسى كسبب للوفاة المفاجئة ، فهى مجموعة من العوارض ذات مراحل أربع تأتى فى أعقاب الإجهاد الشديد أو التعرض المفاجىء لحرارة شديدة أو برودة شديدة أو لصدمة عصبية شديدة ، كلها تأتى بإفراز هرمونات بنسب عالية قد لا يتحملها الجسم وتنتهى بوفاة مفاجئة فى الأربع والعشرين ساعة التالية على حدوثها بسبب اختلال هرمونى شديد فى أعقاب الإرهاق الشديد ..

إلاّ أن الفيصل فى تحديد سبب الوفاة هو رسم القلب الأخير للمتوفى ، لأن قراءته تظهر الفارق بين تأثر القلب بانخفاض نسبة السكر فى الدم أو بجلطة كبيرة سدت شرايين القلب .. !

رابعاً : لا نعرف حتى الآن السبب الحقيقى لاختلاق رواية فتح الرئيس عبد الناصر للراديو فى الساعة الخامسة لسماع خبر مّا لم يرد ثم أسلم الروح بعد ذلك ، وقد أخذت هذه الرواية حيزاً غير عادى من اهتمام الناس ،

لا نظراً لدراميتها إنما لحبكتها الروائية غير المألوفة .. ، وقد اعترف أخيراً الأستاذ محمد حسنين هيكل فى حديثه لصلاح منتصر بالعدد ٦٠٦ من مجلة أكتوبر الصادرة فى ١٩٨٨/٦/٥ بأنه كان مصدر هذه الحكاية ، يقول بالنص :

« حكاية أن عبد الناصر كان ينتظر سماع خبر مهم فى الراديو قبل وفاته وما يقولونه عن هذا الخبر ، فمن الغريب أن الذين يروون هذا الكلام ينسون أن واقعة الراديو أنا الذى كتبتها بالأهرام . وأنا الذى كنت مصدرها لأننى حضرت هذا المشهد . ولو أنه كان هناك خبر بهذا الحجم ينتظره جمال عبد الناصر فأنا الذى كان مسئولاً عن إذاعته باعتبارى كنت وزيراً للإعلام فى ذلك الوقت . وللحقيقة فإن ما كان يريد عبد الناصر أن يسمعه فى ذلك اليوم وقد سألنى فيه قبلها صباحاً وظهراً هو ردود الفعل الخارجية فى العالم لمؤتمر القمة العربية بشأن المقاومة الفلسطينية فى عمان ، وهو الذى كان معقوداً وكان حضور عبد الناصر له ومتابعته له وتوديع الملوك والرؤساء الذين حضروه هو آخر نشاط قام به فى حياته . أما أن يحول هذا إلى أسطورة وكل إنسان يقول إنه كان يريد أن يقول كذا وكان يقصد أن يقول كذا وإنسان منعه فهذا نوع من التعسف .. »

وهذه الرواية عن فتح الراديو والتى يعترف هيكل بأنه كان مصدرها لأنه حضر هذا المشهد دليل واضح على فداحة التضليل الذى اكتنف مأساة وفاة جمال عبد الناصر ..

- ففى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ كان عبد الناصر مستغرقاً فى حالة الغيبوبة التى انتهت بوفاته ..
- وفى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ لم يكن فى حجرة جمال عبد الناصر أحد سوى ثلاثة أطباء هم بالتحديد : منصور فايز ، الصاوى حبيب ، زكى الرملى . ولم يحضر هيكل إلا فى الساعة الخامسة و ٥٠ دقيقة وسبقه إلى الحضور كل من السادة : شعراوى جمعة ، سامى شرف ، على

صبري ، الفريق فوزي .. وكلهم ــ بلا استثناء ــ أقروا بأنهم حضروا والرئيس صامت لا يتكلم ولا يرى ولا يسمع ولا ينبض قلبه .. وكانوا متوهمين أنه ما زال على قيد الحياة ، إلى أن انكشف السر وأعلن كبيرهم د. منصور فايز أن الرئيس مات منذ أكثر من ساعة وكانت الساعة عندئذ السادسة والربع .. فأين كان السيد هيكل .. ؟!

وعلى كل ، فإن هذه الرواية رغم اختلاقها ما زالت تمدنا بمعين لا ينضب من الادعاءات ..

فلنبدأ مع الرواية وكيف ظهرت خطوة خطوة ..

كان هيكل هو أول من نشر الرواية فى أهرام ١٦/١٠/١٩٧٠ تحت عنوان « **٢٨ سبتمبر الأربع والعشرون ساعة الأخيرة** » حيث قال بالنص : استمع الرئيس إلى مقدمة نشرة الأخبار ثم قال لم أجد فيها الخبر الذى كنت أتوقع سماعه . ولم يقل شيئاً عن الخبر الذى كان ينتظر سماعه ، وتقدم منه الدكتور الصاوى وقال : « **ألا تستريح سيادتك .. إنك فتحت جهاز الراديو ثم قفلته ولا داعي لأى مجهود الآن ..** »

ثم أسلم الرئيس الروح فى الساعة الخامسة و١٥ دقيقة .

وعاد هيكل فى عام ١٩٧٥ ليعيد هذه اللقطة الدرامية بقوله : إن الرئيس « استدار وفتح الراديو الذى إلى جانب سريره ، سمع دقات الساعة الخامسة ثم سمع موسيقى العلامة المميزة لنشرة الأخبار ثم الموجز وكان صوته خافتاً عندما قال : مفيش حاجة !

وقال له طبيبه الدكتور منصور فايز : سيادة الرئيس .. مفيش داعى للمجهود .. الخ »

(لاحظ أنه فى هذه المرة استبدل د. الصاوى بالدكتور منصور فايز)

وعندما سئل على صبرى عن الخبر الذى كان عبد الناصر يريد سماعه عندما أدار مؤشر الراديو .. أجاب :

كان جمال عبد الناصر قد وصلته معلومات أن هناك مجموعة سوف تغتال الملك حسين ، وهو فى طريقه إلى المطار ، ورفض جمال عبد الناصر أن

يحدث أي اعتداء على الملك حسين ، وأعطى أوامر باحتجاز هذه المجموعة ، وكان الخبر الذي يريد أن يسمعه أنه لم يحدث اعتداء على الملك حسين وأنه وصل عمان !

أما طبيبه الخاص الدكتور منصور فايز فإنه ذكر بالنص في الصفحة ١٧٥ من كتابه « **مشوارى مع عبد الناصر** » الصادر في أكتوبر سنة ١٩٨٨ :

وفي تمام الساعة الخامسة مد جمال عبد الناصر يده إلى جهاز الراديو بجانب سريره واستمع إلى موجز نشرة الأخبار من إذاعة القاهرة وقال : « مفيش حاجة ، ثم طلب قفل الراديو واستطرد : نيكسون كان عامل لى مظاهرة فى نابولى وكنت عايز أعرف إيه الأخبار » !!

وكان نيكسون قد حضر بنفسه إلى نابولى لحضور مناورة تقوم بها أقوى قطع الأسطول السادس وذلك من باب التهديد لجمال عبد الناصر ..

وفى الوقت نفسه كان جمال عبد الناصر يريد أن يعرف ردود الفعل الخارجية لمؤتمر الهيلتون وكان قد سأل وزير الإعلام (هيكل) عن ذلك من قبل ..

أىّ هذه الروايات نُصدق .. ؟

هل نصدق هيكل فيما قاله من أن الرئيس فتح الراديو ثم سمع الموجز وقال إنه لم يجد الخبر الذى توقعه .. وأن د . الصاوى حبيب قال له لا داعى لأى مجهود ؟

أم نصدق روايته الثانية بأن الرئيس فتح الراديو ثم أغلقه بعد أن سمع الموجز وقال مفيش حاجة . وأن طبيبه د . منصور فايز وليس د . الصاوى حبيب قال له : سيادة الرئيس مفيش داعى للمجهود .. ؟

أم نصدق رواية هيكل الأخيرة (١٩٨٨/٦/٥) بأنه كان يريد سماع ردود الفعل الخارجية لمؤتمر القمة .. ؟

أم نصدق على صبرى عندما قال إن الرئيس كان ينتظر سماع فشل الاعتداء على الملك حسين .. ؟

أم نصدق ما جاء فى كتاب د . منصور فايز الذى حمل عنوانا مثيراً « **مشوارى مع عبد الناصر بقلم طبيبه الخاص د . منصور فايز** » أن عبد الناصر كان يريد سماع

ما فعله الطلاينة فى نيكسون الذى كان فى نابولى .. ؟

لابد أن نختار رواية واحدة من هذه الروايات و بالتالى نسقط الروايات الأخرى فى بحر الكذب والاختلاق .. لكننا لن نختار ولا رواية .. لأنه كما سبق القول كان جمال عبد الناصر فى ذمة الله عندما دقت الساعة الخامسة من مساء يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ .. والذين كانوا إلى جانب فراشه هم أطباؤه فقط .. !!

خامساً: ونصل إلى السؤال الأخير و يتضمن الشقة أو عدم الثقة فى تقرير كبير الأطباء الشرعيين الدكتور كمال مصطفى وكيل وزارة العدل للطب الشرعى وقتذاك ، وهذا التقرير مؤسس و بناء على التقرير الذى وضعه أطباء عبد الناصر بعد الوفاة ليكون بمثابة حيثيات للوفاة و يقع فى ٣ صفحات فولسكاب مكتوبة على الآلة الكاتبة وموقع عليه من الأطباء الخمسة الذين حضروا الوفاة وهم على الترتيب التالى :

(١) د. رفاعى كامل
(٢) د. منصور فايز
(٣) د. زكى الرملى
(٤) د. الصاوى حبيب
(٥) د. طه عبد العزيز

وقد قرأ الدكتور منصور فايز هذا التقرير — قبل التوقيع عليه واعتماده من كبير الأطباء الشرعيين — فى الاجتماع المشترك للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ومجلس الوزراء والذى عقد الساعة العاشرة مساء يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ بقصر القبة .. وذلك بعد أن طلب السادات ممن يمثل الهيئة الطبية التى عالجت الرئيس أن يشرح للمجتمعين ما حدث للرئيس وأسباب وفاته ..

وكان التشخيص الوارد فى التقرير هو:

انسداد حديث مفاجىء بالشريان التاجى للقلب حيث قام الأطباء بعمل الإسعافات اللازمة ، وعملت رسومات كهربائية للقلب أثناء هذه الأزمة ،

وقد استعمل جهاز تنظيم ضربات القلب فى أثناء العلاج حيث إنه يوجد بجوار غرفة الرئيس غرفة للعناية الخاصة ، وكذلك فإن نوبتجية الأطباء مستمرة طوال هذه الفترة من سبتمبر ١٩٦٩ (تاريخ أول أزمة قلبية) حتى الآن .. وبالرغم من ذلك فقد وافاه الأجل المحتوم نتيجة لذلك فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشرة فى حضور السادة الأطباء المعالجين .

وفى نهاية التقرير سجل كبير الأطباء الشرعيين قراره بخط يده ، حيث أثبت ما يلى :

تبين لنا من الفحص الظاهرى (!!) لجثمان الرئيس جمال عبد الناصر فى الساعة الواحدة و ٤٥ دقيقة **(أى بعد حوالى ٩ ساعات من الوفاة)** من صباح يوم الثلاثاء ١٩٧٠/٩/٢٩ **(لم يحدد كبير الأطباء مكان الفحص !)** أنه خلو تماماً عن أى دلائل مادية ذات شبهة من أى طراز كلية ، وأخذاً بما جاء فى هذا التقرير الطبى المقدم عن الحالة حيال الحياة مضافاً إلى الصورة البادية للجثمان تكون الوفاة فجائية مرضية نتيجة ذبحة صدرية من سدة بالشريان التاجى للقلب ، وقد مضى على الوفاة لحين الفحص بضع ساعات ..

١٩٧٠/٩/٢٩ — توقيع : د. كمال السيد محمد مصطفى
كبير الأطباء الشرعيين

والتقرير والاعتماد على هذه الصورة يتعرض لعدم المصداقية للأسباب التالية :

أن كبير الأطباء الشرعيين أخذ بما جاء فى التقرير الطبى مضافاً إلى ذلك الحالة البادية للجثمان .

أن كبير الأطباء لم يطلع على الرسومات والتحاليل التى تؤيد أو تنفى ما جاء فى التقرير .

أن كبير الأطباء أجرى الفحص الظاهرى على الجثمان فى غير مكان الوفاة بمنشية البكرى .. والمحتمل أنه أجرى الفحص الظاهرى بقصر القبة ونقل الجثمان من مكان إلى آخر من شأنه أن يؤثر على الأدلة الجنائية .

أن الفحص الظاهرى جرى بعد أكثر من ٩ ساعات على الوفاة وهى مدة كافية لتتلاشى معالم هامة فى الجثمان تفيد فى أى تحقيق .

أن الفحص الظاهرى للجثمان لم يتم بطريقة علمية وطبية سليمة بدليل أن التقرير والاعتماد خليا من الإشارة إلى وجود أكثر من ثقب فى صدر الرئيس عبد الناصر . .

أن كبير الأطباء الشرعيين اعتبر مهمته قد انتهت بعد أن اعتمد تقرير الأطباء المعالجين مما أدى إلى العبث بالجثمان وذلك بعمل قناع للوجه والذراع و بصمة لليد اليمنى وأخذ خصلة من الشعر وأظافر اليد اليمنى . .

أن كبير الأطباء الشرعيين لم يرد أو يناقش الشكوك التى أثيرت حول أسباب وفاة عبد الناصر . .

.

أمّا فيما يختص بصلب التقرير الطبى فلنا عدة ملاحظات أهمها ما يلى :

١ - أن توقيع الدكتور رفاعى كامل على التقرير الطبى جاء بطريق الخطأ تأسيساً على الاعتراف الرسمى الذى ذكره الفريق أول طبيب رفاعى كامل أمام رئيسه الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية يوم السبت الموافق ١٩٧٠/١٠/٣ بأنه لا يوافق ولا يقر ما جاء فى التقرير بأن سبب الوفاة هو جلطة بالشريان التاجى . . وكرر هذا الاعتراف أمام كل من السيدين عبد اللطيف البغدادى النائب السابق لرئيس الجمهورية والفريق أول محمد صادق وزير الحربية الأسبق الذى نشره فى عدد من الصحف المصرية والعربية . .

٢ - كذلك فإن الدكتور طه عبد العزيز لم يوقع على التقرير والتوقيع الموجود على التقرير ليس توقيعه . . و يلاحظ القارىء الفارق الواضح بين التوقيع المزور الموجود على التقرير و بين التوقيع الحقيقى المأخوذ عنه من على روشتة عيادته . .

٣ - أن الدكتور زكى الرملى صاحب التوقيع الثالث على التقرير الطبى لم يعد يوافق على السيناريو القائل بأن الوفاة نتيجة جلطة فى الشريان التاجى للقلب ولذا فلم يعد يتصدى للدفاع عن هذا السيناريو بدليل أن البيان الصادر فى

١٩٨٨/٧/١ والمنشور فى الأخبار والذى يقرر أن وفاة عبد الناصر كانت بسبب جلطة فى الشريان التاجى لم يوقعه سوى طبيبين هما : د. منصور فايز، د. الصاوى حبيب ..

فكيف يمكن الاعتداد بتقرير طبى يتنكر أغلبية الموقعين عليه مما جاء فيه ؟!

وإذا ما سلمنا بهذا فليقل لنا الدكتور كمال مصطفى كبير الأطباء الشرعيين ــ والذى ما زال يعيش بيننا أمد الله فى عمره ــ ليقل لنا عن السبب الحقيقى لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر ..

ويضاف إلى ذلك : أن التقرير أورد وقائع لا نصيب لها من الصحة ، مثل :

أ- الادعاء بوجود غرفة للعناية الخاصة إلى جانب غرفة نوم الرئيس جمال عبد الناصر ..

ب- الادعاء باستعمال جهاز تنظيم ضربات القلب فى الوقت المناسب .. لأن الجهاز لم يستعمل إلا بعد الوفاة بساعة كاملة وكان استعماله من باب « **سد الخانة** » و« **الروتين** » ..

جـ- الادعاء بعمل الإسعافات اللازمة بالطريقة الطبية السليمة .. وهذا لم يحدث ..

د- الادعاء بأن الرئيس تناول الأدوية الخاصة بعلاج حالته دون ذكر أو بيان هذه الأدوية .. للتلاعب بأسماء الأدوية والعقاقير الصحيحة التى أعطيت له وفى غير وجهها الصحيح ..

من أجل كل هذا فنحن لا نعتد بالتقرير الطبى ، ولا نعتد بتقرير كبير الأطباء الشرعيين المؤسس على هذا التقرير .. لأن ما قام على الباطل فهو باطل ، وفاقد الشىء لا يعطيه ..

رحم الله عبد الناصر وأسكنه فسيح جناته ..

الـوثـائــق

تقرير طبي لتاريخ صحي خاص

بالمغفور له الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

في شهر سبتمبر ١٩٦٩ أصيب سيادته بانسداد بالشريان التاجي للقلب (Anterior Wall Infarction) بالجدار الامامي للقلب .
وكان سيادته يعاني من مرض السكر بالدم قبل ذلك بعشر سنوات . وقد استلزم ذلك الراحة التامة لمدة شهرين مع العلاج تحت اشراف :-

- الاستاذ الدكتور محمود صلاح الدين
- الاستاذ الدكتور منصور فايز
- الاستاذ الدكتور علي المفتي
- الاستاذ الدكتور زكي الرملي
- الاستاذ الدكتور علي الشرقي
- الاستاذ الدكتور ناصح امين

علاوة على اطباء رئاسة الجمهورية وهم :-

- الدكتور الصاوي محمود حبيب
- الدكتور محمود محمد فراج
- الدكتور طه محمد عبد العزيز

وقد زار سيادته - في هذه الفترة - الدكتور شزوف " طبيب القلب المشهور بالاتحاد السوفيتي .

وكانت في هذه الاثناء تعمل جميع الابحاث والفحوص الطبية ورسومات القلب والتسجيل الصوتي للقلب وذلك بصفة دورية مستمرة وقد عمل له حجرة عناية خاصة (Intensive Care) وكان يوجد طوال هذه الفترة طبيب لوتجي مستمر مدة ٢٤ ساعة بالتناوب . وبعد ذلك تحسنت حالة القلب واصبح القلب متكافئ

بعده

□ وثيقة تقرير طبي خاص بالمرحوم له الرئيس جمال عبد الناصر

وتحسنت حالة السكر بالدم ، واصبح العلاج بعد ذلك يتمثل في تناول الأدوية كالاتي :-

١- Anticoagulants

٢- Atromid S

٣- Hypoglycaemics

٤- Caronary Dilatars

وذلك مع المقويات وباقي العلاجات اللازمة مع الرجيم الخاص ، وكان يحدث لسيادته بعض النزلات الشعبية والتهابات بالجيوب الانفية ، وذلك بالنسبة لان سيادته كان يعاني من تمدد الشعب بأسفل الرئة اليمنى .

وكان سيادته يأخذ العلاج اللازم من المضادات الحيوية مع مقويات لعضلة القلب ، وكان يشرف على علاج الانف الاستاذ الدكتور على المفتي . وقد فحص سيادته بالاتحاد السوفيتي مرتين اثناء هذه الفترة . وقد اقر الاطباء الاخصائيون هناك العلاج المتبع .
وكان يجرى لسيادته فحص دورى بواسطة السادة الاساتذة الاطباء المختصين المذكورين ، وذلك علاوة على فحص دورى يومي مع عمل تحاليل للبول عدة مرات يوميا وعمل رسام للقلب بصفة دورية وكذلك تحليل الدم للسيولة والكولسترول والسكر بصفة دورية .

وفي اثناء الشهر الماضي لم يحدث اى تغيير يستلزم تغيير العلاج المذكور .

وفي صباح يوم الوفاة عمل رسام للقلب ولم يوجد به أى تغيير عن الرسومات السابقة .

بعده / ٣

تابع وثيقة تقرير طبي خاص بالرئيس جمال عبد الناصر

وفى اثناء توديع سمو أمير الكويت اليوم شعر سيادته بدوخة وعرق شديد وهبوط مفاجئ ، وتوجه سيادته فورا الى منزله بمنشية البكرى حيث حضر على الفور الاطباء :-

- الاستاذ الدكتور منصور فايز
- الاستاذ الدكتور زكى الرملى
- الفريق طبيب رفاعى كامل
- الدكتور الصاوى محمود حبيب
- الدكتور طه محمد عبد العزيز

وكان التشخيص السداد حديث مفاجئ بالشريان التاجى للقلب ، وقاموا بعمل الاسعافات اللازمة وعملت رسومات كهربائية للقلب اثناء هذه الازمة وقد استعمل جهاز تنظيم ضربات القلب فى اثناء العلاج حيث انه يوجد بجوار فراش سيادته حجرة للعناية الخاصة ، وكذلك فان نوبتجية الاطباء مستمرة طوال هذه الفترة من سبتمبر ١٩٦٩ حتى الآن

وبالرغم من ذلك فقد وافاه الاجل المحتوم نتيجة لذلك فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشر فى حضور السادة الاطباء المعالجين .

٧٠/٩/٢٨   ٧٠/٩/٢٨   ٩/٢٨   ٩/٢٨   ٩/٢٨

"بسم الله الرحمن الرحيم"
تبين لنا من الفحص الظاهرى لجثمان المغفور له السيد الرئيس جمال عبد الناصر الساعة ٤٥ ، ١ من صباح يوم الثلاثاء الموافق (٢٨ من رجب سنة ١٣٩٠ - ٢٩ من سبتمبر ١٩٧٠)
أنه مطابق تماما لما ... ولا دليل مادية ذات شبهة من أى طراز كانت .
وأيد ما جاء فى هذا التقرير الطبى المقدم عن الحالة حال الحياة مضافا الى الصورة البادية للجثمان تكوين الوفاة فجائية مرضية نتيجة ذبحة صدرية من جلطة بالشريان التاجى للقلب .
وقد مضى على الوفاة لحين الفحص بضع ساعات
١٩٧٠/٩/٢٩

دكتور كمال المصطفى
رئيس الاطباء الشرعيين
ووكيل وزارة العدل لشئون الطب الشرعى

التوقيع المزوّر للدكتور طه عبد العزيز

الدكتور

طه عبد العزيز

دكتوراه الأمراض الباطنية والقلب (لندن)
عضو كلية الأطباء الملكية بلندن
باطني ومستشار أمراض القلب
مركز القلب هليوبوليس
ومستشفى الزهراء الجامعي (طب الأزهر)

Dr.

TAHA ABD EL AZI Z

DM. DCV. DCH

M. R. C. P. Uk

Consultant Cardiologist

التاريخ ١ / ٢ / ١٩٨٠

عيادة : مدينة الأحلام عمارة ٦٨ بجوار مسرح البالون بالعجوزة ت ٣٤٧١١٧٦
مركز القلب ٤٦ ش نزيه خليفة مصر الجديدة
مركز القلب ٢٥٨٢٩٤٠ – ٢٥٨٢١٧٦

□ تقرير د. طه عبد العزيز

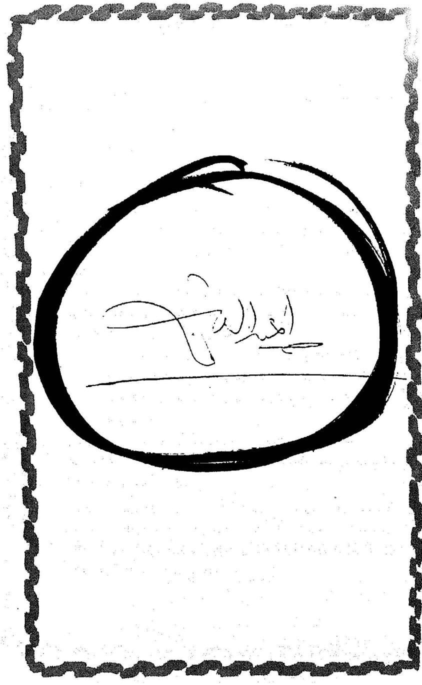

□ التوقيع الصحيح للدكتور طه عبد العزيز

القاهره فى: ١٩٨٦/٩/٣٠

السيد/ ابرهـــيم نافـــع

رئيس مجلس الاداره ورئيس التحرير

مؤســـة الأهـــرام

تحية واحتراما وبعد ،

أطلعنا على مانشره " الأهرام" تحت عنوان " مجرد رأى " على الصفحـــة السابعة من عدد ٢٨ سبتمبر الجارى بتوقيع السيد صلاح منتصر، وماجاء فيه من ادعـاءات غير صحيحة تتصل بوقائع يوم وفاه الرئيس جمال عبدالناصر وببعض أطبائه، نصححها بذكـــر الحقائق التاليـــة :

١ـ أن الموقعين أدناه هم الذين كانوا بجوار الرئيس الراحل جمال عبدالناصر بعد ظهـــر يوم الاثنين ٢٨ سبتمبر حين عاد الى منزله من وداع أمير الكويت بمطار القاهـــــرة الدولى والى ان فاضت روحه الطاهرة الى بارئها :

أ ـ الاستاذ الدكتور منصور عبدالرحمن فايز: استاذ ورئيس قسم الأمراض الباطنيـــة بكليه الطب جامعة القاهرة سابقا،والمشرف على علاج الرئيس الراحل .

ب ـ الأستاذ الدكتور زكى الرملى : استاذ ورئيس قسم امراض القلب بكليه الطب جامعه القاهره سابقا.

ج ـ الاستاذ الدكتور الصاوى محمود حبيب: استشارى الامراض الباطنية والقلب .

٢ ـ لاصحة اطلاقا للادعاء بأن الرئيس الراحل جمال عبدالناصر قد فاجأته غيبوبة وهو فى المطار، أو أنه قد عاد الى منزله فاقد الوعى .

٣ ـ اتضح لنا من الكشف الاكلينيكى الذى وقعه كل منا على الرئيس ، وكذا من الرسومـــات الكهربائية للقلب التى أجريناها على الفور وقمنا بدراستها ، أن الرئيس جمال عبدالناصـــر قد أصيب بجلطه ثانية وانسداد فى الشريان التاجى للقلب . وكان الرئيس قد أصيـــب بالأزمة القلبية الأولى فى ١١ سبتمبر ١٩٦٩ .

□ تصحيح للادعاءات التى جاءت بمقال السيد صلاح منتصر

٤ـ لم يشمل علاجنا للرئيس فى ذلك المساء الا العلاج المعروف والمستقر فى حالات الأزمات القلبية. وكان الرئيس جمال عبدالناصر متنبها تماما طوال توقيعنا الكشف عليه والعلاج.

٥ـ عرض الاستاذ الدكتور منصور فايز التقرير الطبى لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة المشتركة بين اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى ومجلس الشورى التى عقدت عقب وفاة الرئيس ، وسلم التقرير وشهادة الوفاة الى المسئولين.

برجاء العمل على نشره تصويبا للوقائع وتثبيتا للحقائق .

وتقبلوا الاحترام !

أ.د. منصور عبدالرحمن فايز | أ.د. زكى الرملى | أ.د. الصاوى محمود حبيب

تابع تصحيح الادعاءات

المحامى امام محكمة ا...
٢٢ - شارع قصر النيل (عمـار ...)
ت : ٧٥٤٠٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

انه فى يوم

بناء على طلب السيد / عبد الرؤف سامى شرف الشهير بسامى شرف المقيم برقم ٦ شارع محمد جلال (مصر الجديدة) ومحله المختار مكتب الاستاذ الدكتــــــور عصمت سيف الدولة المحامى برقم ٢٢ شارع قصر النيل بالقاهرة ، الوكيل عنه بمقتضى توكيل خاص رقم ٥٥٦٥ لسنة ١٩٨٤ صادر بتاريخ ١٩٨٤/٨/١٣ وموثق لدى مكتب التوثيق بمصر الجديدة .

انا   محضر محكمة   قد انتقلت الى حيث موطن :

(١) السيد / محمود جمال الدين ابراهيم حماد الشهير بجمال حماد المقيم برقم ٣ شارع اسوان المتفرع من شارع جامعة الدول العربية قسم   واعلنته بالاتى مخاطبا مع :

وانه فى يوم

انا   محضر محكمة   قد انتقلت الى حيث مقر مجلة "اكتوبر" برقم ١١١٩ شارع كورنيش النيل قسم بولاق بالقاهرة واعلنت :

(٢) السيد / انيس منصور رئيس تحرير مجلة "اكتوبر" مخاطبا مع
(٣) السيد / انيس منصور بصفته رئيس مجلس ادارة مؤسسة دار اكتوبر مخاطبا مع

وانه فى يوم

انا   محضر محكمة   قد انتقلت الى حيث مقر وظيفة :

(٤) السيد الاستاذ المحامى العام لنيابة شمال القاهرة الكائــــن

واعلنته بالاتى مخاطبا مع

□ القضية المرفوعة من السيد سامى شرف ضد مجلة أكتوبر

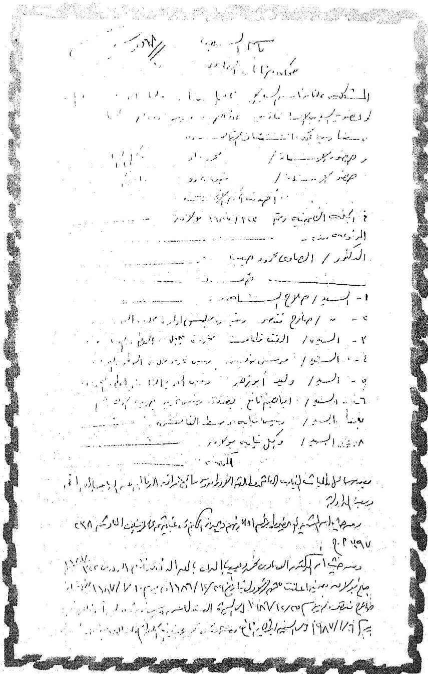

في الجنحة المباشرة رقم ٢٢٤ / ١٩٨٧ بولاق

المرفوعة من :

الدكتور / الصاوى محمود حبيب

ضــد

١ - السيد / صلاح الشاهد

٢ - السيد / صلاح منتصر رئيس مجلس إدارة ...

٣ - السيد / ...

٤ - السيد / ...

٥ - السيد / وليد أبو زهر ...

٦ - السيد / ابراهيم نافع ...

٧ - السيد / ...

٨ - السيد / وكيل نيابة بولاق

□ القضية المرفوعة من د. الصاوى حبيب ضد السيد صلاح الشاهد، مجلة أكتوبر، مجلة الوطن العربى، جريدة الأهرام.

باســــم الشعب

محكمة جنايات القاهرة

المشكلة علنا برياسة المستشار سليمان أيوب رئيس المحكمة

وحضور السيدين [illegible]

المستشارين بمحكمة استئناف القاهرة

والسيد [illegible] وكيل النيابة والسيد / [illegible] أمين سر المحكمة

أصدرت الحكم الآتى : [illegible] ٢٢٩/٨٧ [illegible]

فى قضية النيابة العامة رقم ـــــ سنة ١٩٨ (ورقم ...... سنة ١٩٨ كلى)

المرفوعة من / د . الصاوى محمود حبيب

ضد

السيد [illegible]

عمره ـــــ سنه ـــــ صناعته ... سكنه ...

المحكمة

بعد مطالعة الأوراق وسماع المرافعة الشفوية والمداولة

وحيث إن المعارضة قد استوفت [illegible] المقررة فى القانون [illegible]

وحيث إن [illegible] المعارض [illegible]

[illegible]

[illegible] ٢٢ [illegible] ١٩٨٧ [illegible] الأستاذ [illegible]

[illegible] المعارضة [illegible]

[illegible] طبيب [illegible] دكتوراه [illegible]

[illegible] عشرة ملايين [illegible] المعارض [illegible]

الأخيرة بالعقوبة المنصوص عليها فى المواد ١٨٥ / ١٩٥ / ٢٠٢ / ٢٠٥ / ٢٠٧ من قانون

العقوبات [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مطبعة ديوان عام وزارة العدل (٣٣٦/٨٦)

القضية المرفوعة من د . الصاوى حبيب

ومن حيث أن نص المادة ٣ من قانون الإجراءات الجنائية على أنه لا يجوز أن ترفع
الدعوى الجنائية إلا بناء على شكوى شفهية أو كتابية من المجني عليه أو من وكيله الخاص
إلى النيابة العامة أو إلى أحد مأموري الضبط القضائي في الجرائم المنصوص عليها في المواد ١٨٥، ٢٧٤، ٢٧٧
٢٧٩/٢٩٢/٢٩٣/٣٠٣/٣٠٦/٣٠٧/٣٠٨ من قانون العقوبات وكذلك في الأحوال
الأخرى التي ينص عليها القانون، ولا تقبل الشكوى بعد ثلاثة أشهر من يوم علم المجني
عليه بالجريمة وبمرتكبها ما لم ينص القانون على خلاف ذلك [illegible]
عليه صراحة أو دلالة [illegible]
بالشكوى [illegible]
الأخرى من [illegible] التنازل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

فلهذه الأسباب

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

صدر هذا الحكم وتلي علنا بجلسة يوم الأربعاء الموافق ١٩/١/١٩٨٨

[illegible] [illegible]

[illegible]

١٤ شارع طلعت حرب ــ القاهرة
ت مكتب : ٧٥٠٩٤٤ ــ ٧٥٧٦٣ ــ منزل ٥٤٠٦٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

محكمة جنايات القاهــــرة

الدائرة العاشـــــرة

مذكـــــرة

بدفاع : السيد / صلاح الشاهـــــد   معارض

ضـــــد

الدكتور / الصاوى محمد حبيب   مدع بالحق المدنـــــى

فى القضية رقـــم ٣٢٢ سنة ١٩٨٧ جنح بولاق ٨٨ سنة ٨٧ مصر جنايات
المحدد لنظر المعارضة فيها جلسة ١٩٨٨/١/١٧

الدفع بعدم قبول الدعـــويين : المدنية والجنائيـــة

١ ــ أثار السيد / المدعى بالحق المدنى الجنحة المباشرة وأعلن بها السيد / صلاح الشاهد كبير الأمناء السابق برئاسة الجمهورية بدعوى انه قد قذف فى حقه بأقوال وردت فـــى حديث منسوب اليـــه نشر فى مجلة الوطن العربى بتاريخ ١٩٨٦/٧/١١ ــ ونقـــل المدعى باجزاء من الوارد فى تلك المجلة بذاتها ونصهـــا ثم بين أن بعض الجرائد العربية والمصرية أشارت الى هذا الحديث ، اذن فالأصل فى الحديث ــ ان صح صدوره من المعارض ــ هو ما أكده المدعى بأن علمه أصل تأكيدا من اطلاعه علـــى مجلة الوطن العربى الصادرة فى ١٩٨٦/٧/١١ والذى قدم عددها كمستند أول فى حافظة

ولما كانت الفقرة الثانية من المادة الثالثة من قانون الاجراءات الجنائية تنص على انـه لاتقبل الشكوى بعد ثلاثة أشهر من يوم علم المجنى عليه بالجريمة ومرتكبهـــا ــ وقد استقر قضاء النقض على ان تحريك الدعوى الجنائية بمعرفة المدعى بالحق المدنى باقامة الجنحة المباشرة يغنى عن تقديم الشكوى ويجرى على صحيفة الجنحة المباشـــرة

مذكرة دفاع السيد صلاح الشاهد ضد د. الصاوى حبيب.

لقطات نادرة

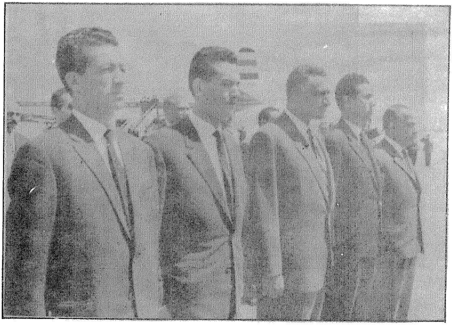

□ أبطال الجزائر بزعامة بن بيلا عندما حضروا إلى مصر لأول مرة فى بورسعيد .

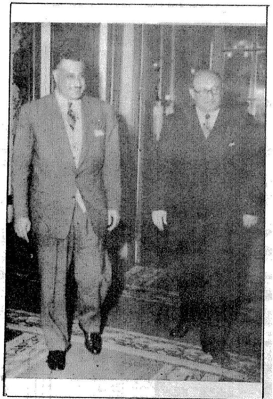

□ أيام الوحدة : عبد الناصر وإلى جانبه صبرى العسلى رئيس وزراء سوريا .

□ عبد الناصر.. بصعوبة يتحامل على نفسه ليخرج من السيارة وإلى جانبه سكرتيره الخاص اللواء فؤاد عبد الحى أمين عام وزارة الخارجية الآن.

□ عبد الناصر فى حديث مع يوسف رشاد كبير الأمناء ووراءهما صلاح الشاهد نائبه فى هذا الوقت.

□ الوزير السابق صلاح هدايت المستشار العلمى لعبد الناصر الذى أشرف على الصفة التشريحية لعبد الناصر وصاحب مشروع إنشاء متحف عبد الناصر.

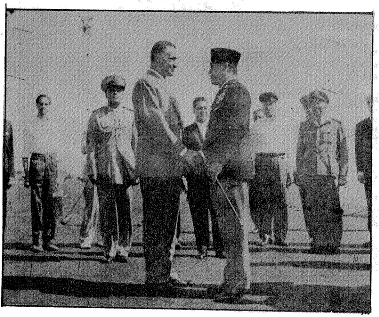

□ أول لقاء بين الزعيمين عبد الناصر وسكارنو زعيم أندونيسيا الذى اغتالته المخابرات الأمريكية. ودبرت إنقلاباً ذهب ضحيته ٥ ملايين أندونيسى.

□ فى أحد المراكز الإسلامية بيوغسلافيا : عبد الناصر وراءه كبير الأمناء .. وعبد اللطيف البغدادى يوقع على دفتر الزيارات الخاص بالمركز ثم محمد أحمد ومحمود الجيار.

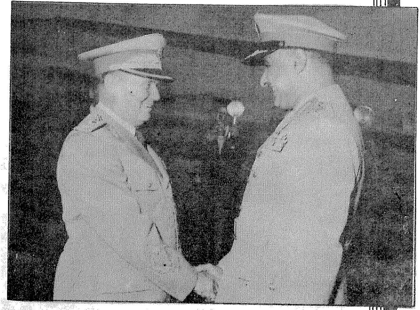

□ أول لقاء بين تيتو وعبد الناصر فى يوغسلافيا .

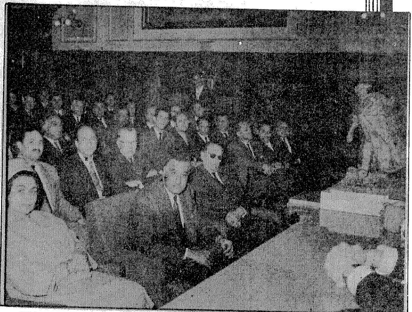

□ فى اللقاء الأول بين عبد الناصر وتيتو وقرينته ووراءهما زكريا محيى الدين وكمال الدين حسين .

□ عبد الناصر بين طلبة ثانوي الأرض المقدسة عندما حضر وفد منهم إلى القاهرة.

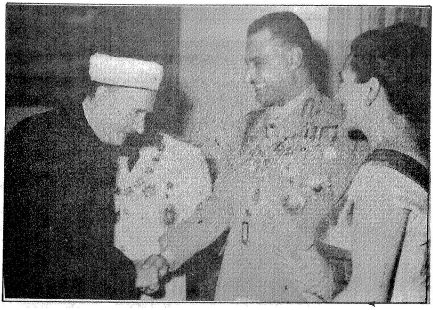

□ فى يوغسلافيا : زعيم المسلمين يصافح الرئيس عبد الناصر وإلى جانبه قرينة الرئيس تيتو.

□ مكاريوس زعيم القبارصة اليونانيين فى أول زيارة له للقاهرة.

صوره نادرة بالمايوهات جمع الرئيس جمال عبد الناصر، جمال سالم وصلاح سالم وعبد الحكيم عامر.. وأحمد أنور (القبضة الحديدية لعبد الناصر) بالقميص والبنطلون والقبعة..

□ صورة نادرة تضم : جمال عبد الناصر، الملك حسين ، الجنرال جلوب ، المشير عامر، اللواء على ابراهيم ، صلاح الشاهد ، جمال حماد .

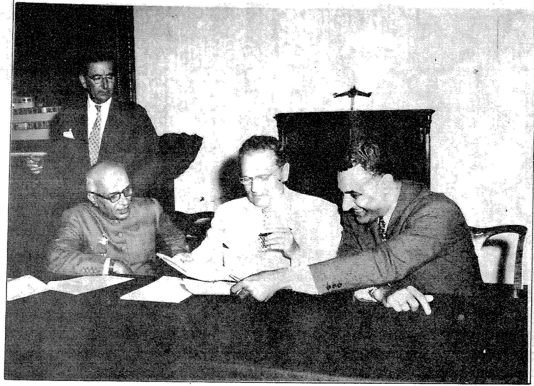

□ أقطاب عدم الانحياز الثلاثة : عبد الناصر، تيتيو، نهرو في بيوجراد .

□ عبد الناصر يستقبل رئيس وزراء تايلاند عام ١٩٥٥ بالقاهرة.

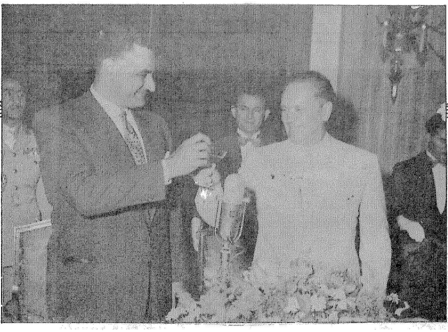

□ نخب الصداقة بين الزعيمين ناصر وتيتو فى بيوغراد .

□ فى القصر الجمهورى ببلجراد ، حفل استقبال لعبد الناصر بين تيتو وقرينته .

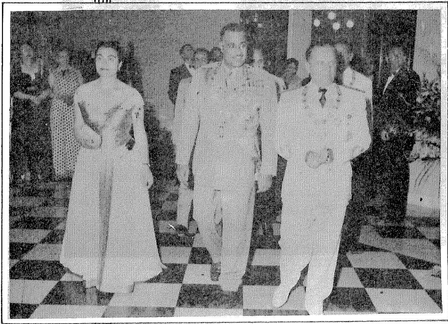

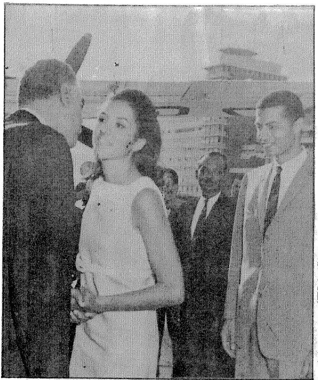

□ قبلة متوقعة بين الأب عبد الناصر وابنته هدى ووراءهما زوجها حاتم صادق.. ويبدو اللواء محمد عبد الكريم ــ أمن الرئاسة.

□ عبد الحكيم عبد الناصر وهشام سامي شرف، الأول ــ كما هو واضح ــ أصغر أبناء عبد الناصر، والثاني ابن سكرتير الرئيس للمعلومات وأقوى رجل في مراكز القوى، يجمعهما حارسهما الحاج عبد الواحد

□ اتفاق عربي : عبد الناصر، المشير عامر، د . محمود فوزي .. وفي الصف الأخير محمود الجيار وصلاح الشاهد .

□ فى مطار القاهرة د. طه عبد العزيز كبير أطباء رئاسة الجمهورية الآن. عند استقبال الرئيس إثر عودته من موسكو فى يوليو سنة ١٩٧٠ ..

□ عبد الناصر صاعداً درجات الرئاسة يستقبله صلاح الشاهد وإلى جانبه سكرتيره الخاص محمد أحمد .. وممدوح طه رئيس قسم الأخبار بالأهرام سنة ١٩٥٤ .

□عبد الناصر وسكارنو.. ومحمود فوزى وزير الخارجية وصلاح الشاهد كبير الأمناء.

□ فى طريقه إلى «تسخالطو» بالاتحاد السوفيتى.. يصافح اللواء محمد عبد الكريم وكيل أمن الرئاسة.

□ إتفاقية الدفاع المشترك : صبرى العسلى (سوريا) ناصر (مصر) الملك سعود (السعودية)
الملك حسين (الأردن) .

□ عبد الناصر فى إحدى زياراته ووراءه عدد من الصحفيين .. منهم الراحل على أمين .

□ صورة نادرة تجمع بين الصديقين الذين فرقت النكسة بينهم : عبد الناصر، عبد الحكيم عامر.. ثم صلاح الشاهد كبير الأمناء، محمود الجيار ياوره الخاص..

□ فى نادى ضباط الجيش : عبد الناصر والملك حسين والأمير بدر وأنور السادات وكمال الدين حسين (١٩٥٥).

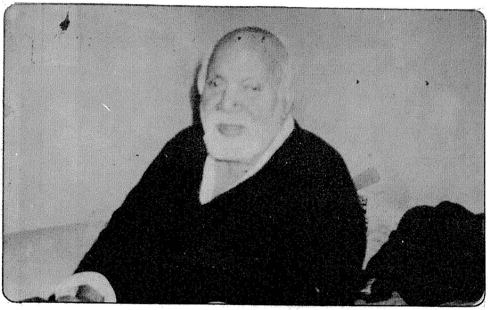

▫ الفنان مصطفى متولى أستاذ النحت بكلية الفنون الذى صنع قناع عبد الناصر.

▫ الأستاذ الدكتور عبد المنعم عاشور رئيس غرفة العناية المركزة بمستشفى المعادى عام ١٩٧٠ .. على عكس ما ادعى طبيب عبد الناصر من عدم وجود غرف للعناية المركزة بمستشفى المعادى عام ١٩٧٠.

• محتويات الكتاب •

* المقدمات ٣
* ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .... ٢٥
* شهادة الدكتور رفاعى كامل ٦٧
* شهادة الفريق محمد فوزى ٨٧
* شهادة الدكتور الصاوى حبيب ١٠١
* شهادة السيد فؤاد عبد الحى ١٤٣
* شهادة الفريق أول سعد الدين متولى ١٧١
* شهادة السيد شعراوى جمعة ١٨٩
* شهادة الوزير محمد أحمد ٢٠٧
* شهادة السيد حسين الشافعى ٢٢٥
* النقط فوق الحروف ٢٢٩
* الوثائق ٣٢١
* لقطات نادرة ٣٣٥

كتب للمؤلف

١ - قراءة جديدة لحادث ٤ فبراير	الناشر: دار الشعب ١٩٧٥
٢ - حالة متأخرة جداً (مسرحية من فصل واحد)	الناشر: هيئة الكتاب ١٩٧٧
٣ - صوت مصر: (أحمد شوقى أمير الشعراء)	الناشر: هيئة الكتاب ١٩٧٥
٤ - الغضب: (مسرحية من فصل واحد)	الناشر: هيئة الكتاب ١٩٧٨
٥ - البوليس السياسى يحكم مصر (طبعة ثالثة)	الناشر: القاهرة للثقافة العربية ١٩٧٥
٦ - الصامتون فى الميزان (طبعة ثالثة)	الناشر: القاهرة للثقافة العربية ١٩٧٦
٧ - التنظيمات السرية لثورة يوليو (طبعة ثانية)	الناشر: مكتبة مدبولى ١٩٨٢
٨ - دكتاتورية السادات (طبعة ثانية)	الناشر: مكتبة مدبولى ١٩٨٣
٩ - يوميات ببغاء (للأطفال)	الناشر: هيئة الكتاب ١٩٨٣
١٠ - عصابة الخمسة والمهراجا (رسوم حجازى)	الناشر: مؤسسة الاتحاد بأبوظبى ١٩٨٦
١١ - الطائر الأزرق (للأطفال)	الناشر: هيئة الكتاب ١٩٨٧
١٢ - القط والجرس (للأطفال)	الناشر: هيئة الكتاب ١٩٨٨
١٣ - معروف الاسكافى (للأطفال)	الناشر: ألف باء (تحت الطبع)
١٤ - اجازة للنهار (للأطفال)	الناشر: هيئة الكتاب (تحت الطبع)
١٥ - دموع التماسيح (للأطفال)	الناشر: هيئة الكتاب (تحت الطبع)
١٦ - شهيد الشجرة (للأطفال)	الناشر: هيئة الكتاب (تحت الطبع)
١٧ - حكاية جمال عبد الناصر جـ (١)	الناشر: دار المستقبل العربى ١٩٨٥
١٨ - حكاية جمال عبد الناصر جـ (٢)	الناشر: دار المستقبل العربى ١٩٨٥
١٩ - حكاية جمال عبد الناصر جـ (٣)	الناشر: دار المستقبل العربى ١٩٨٥
٢٠ - حكاية جمال عبد الناصر جـ (٤)	الناشر: دار المستقبل العربى ١٩٨٥
٢١ - فطيرة الدم (قصة اغتيال الأب توما)	الناشر: دار الشعب (تحت الطبع)
٢٢ - الناصرية الجديدة	الناشر: مكتبة مدبولى ١٩٨٧
٢٣ - شبهة جنائية فى وفاة عبد الناصر	الناشر: الصاوى للنشر ١٩٨٩

صدر عن دار الصاوى للنشر

[١] « توظيف الأموال والمستقبل الغامض » ..
للكاتب الصحفى عبد الستار الطويلة

[٢] « صديقى الرئيس » ..
بقلم أحمد الشايب

[٣] « شبهة جنائية فى وفاة عبد الناصر » ..
للكاتب الصحفى جمال سليم

تحت الطبع :

- مجموعة كبيرة من قصص الأطفال .
- « عالم اللحم الرخيص فى القاهرة » للصحفى محمد حسن الألفى .
- مجموعة مسرحيات (مسرح على النيل) للكاتب المسرحى على سالم .
- دليل خدمة المواطن (عن محافظة الجيزة) .
- مجموعة كتب عن أشهر رسامى الكاريكاتير فى مصر والعالم العربى .

وقريباً جداً .. انتظروا مفاجأة « الصاوى للنشر » .. الكتاب الذى سوف تتحدث عنه الأوساط الثقافية فى مصر والعالم العربى .

[........ ؟]

مكتبة
ا.د
قدري حفني

رقم الايداع : ١٩٨٩/١٩١٧

طبع بالمطبعة الفنية ت : ٣٩١١٨٦٢

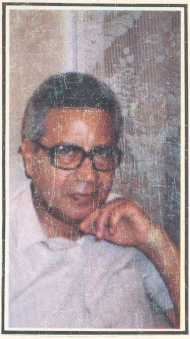

هـذا الكتـاب

منذ اللحظات الأولى لوفاة عبد الناصر مساء يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ كان هذا السؤال يتردد : كيف مات عبد الناصر ؟ وطوال الثمانية عشر عاماً الماضية لم يُغلق هذا الملف أبداً .. ظل الملف مفتوحاً يتلقى كل يوم ورقة جديدة ، أو دليلاً هاماً ، أو بصمة فى القضية .. وتبارى الكتّاب ورفاق عبد الناصر والناصر يون فى الملعب ، بعضهم يحاول إغلاقه و بعضهم يحاول فتحه .. بين هذا وذاك ظل الملف كما هو : نصف مفتوح ونصف مغلق ، ولا أحد يدرى ولا أحد ير يد حسم القضية بدليل يثبت : هل مات عبد الناصر مقتولاً أم مات بجلطة فى الشر يان التاجى .. ؟!

كانت هناك عدة دول وأنظمة تر يد التخلص من عبد الناصر وتصفيته نهائياً للقضاء تماماً على ما جاء به هذا الثائر العظيم واقتلاع ثورته من جذورها .. وكان لكل دولة ونظام رجال أقو ياء يعملون فى صمت ليصلوا إلى عبد الناصر و ينفذوا الجريمة التى لم يفلت منها زعماء آخرون مثل : مكارنو واللندى ولومومبا وجيفارا وغيرهم وغيرهم .. هل وصل هؤلاء فعلاً إلى مخدع عبد الناصر وقتلوه .. ؟

و بعيداً عن كل ما نشر .. وعن كل ما لفقه تجار الكتب ولصوص الأفكار وأثر ياء الفضائح والجنس .. استطاع الكاتب الصحفى الناصرى « جمال سليم » أن يعيش داخل القضية وأن يلتقى مع رفاق عبد الناصر والمحيطين به ، وأن يضع يده على وثائق هامة ويحققها و يعيد ترتيب وتحليل وقائع اليوم الحز ين « يوم ٢٨ سبتمبر » .. وانكشف أمامه طر يق يفضى إلى عالم من الشبهة والشك والر يبة فى أن يكون عبد الناصر قد مات بجلطة .. وإنما كانت وفاته بفعل فاعل .. وأنظمة ومؤسسات .. هذا ما يجيب عنه هذا الكتاب . وهذا هو موضوعه .

[النـاشـر]

Bibliotheca Alexandrina
0647249

الصاوى للنشر
ت ٨٦٢٤٤٨